

اكتب تاريخي .. انا انثى !
وللحديث بقية ...
فاستمعوا لهمس الجواري
هل تستغربون التسمية؟!
هل هي قديمة العهد ؟!
لاتستغربوا ...
متى استبيح ضعف الانثى
نزلت لمرتبة الجارية
في زمن انقرض
فيه الجواري
لكنهن ما زلن يبعن
سرا وعلانية
تحت مسمى جديد
" انثى " !
سلسلة قلوب تحكي .. الجزء الثاني
أكتبُ تاريخي .. أنا انثى !
بقلم كاردينيا73
حصريا لشبكة روايتي الثقافية
تصميم كاردينيا73


٩٧
أكتب تاريخي
أنا أنثى
سلسلة قلوب تحكي .. الجزء الثاني
للكاتبة
كاردينيا73
Design
بحر الندى
أكتب تاريخي .. أنا أنثى ! (٩٧) للكاتبة : كاردينيا٧٣
أكتب تاريخي .. أنا انثى !.
وللحديث بقية ...
فاستمعوا لهمس الجواري
هل تستغربون التسمية؟!
هل هي قديمة العهد ؟!
لاتستغربوا ...
متى استبيح ضعف الانثى
نزلت لمرتبة الجارية
في زمن انقرض فيه الجواري
لكنهن ما زلن يبعن سرا وعلانية
تحت مسمى جديد
" انثى " !
www.rewity.com

مقدمة

(" بابا اين مرام ؟؟"

" لا ... لا تقلق ايمن .. مرام .. سبقتنا للبيت "
تحشرج صوته وهو يضيف بينما خطواته
تتسارع " مؤكد سبقتنا .. مؤكد سنجدها
هناك ....")

تناهى اليها صوتهما بينما يرحلان ،الاب يحمل
ابنه او نسخته المصغرة لكنه بدى اكثر
طفولية من صغيره وقد كسا ملامحه القلق
والتيه!

"هل يحبها لهذه الدرجة ؟!" سؤال لامعنى له
تردد صداه في نفسها .

" اذن هذه مرام ،الزوجة الثانية لاحمد "

هذه كانت محاولة منها لتقبل واقع ولم يكن
تساؤلا تطرحه او تريد تأكيدا لحقيقته .

اغمضت شهد عينيها وألم غريب يكتسحها ،

الزوجة الاولى اسمها سهام ... اجل ..

ومرام هو اسم الثانية ...

هذه المعلومات وصلتها طواعية من ام سعيد
احدى الجارات التي زارتهم فجأة قبل ايام في
بيتهم ،

لتدرك بعدها ان هناك من استقصى عنها
ولتتفاجئ اكثر ان من فعل هذا كان من طرف
احمد ; انها والدة زوجته الاولى !

عندما رمت ام سعيد بكلمة (الاولى) خفق
قلبها بقوة ... ولم تملك الا ان تسأل هل هذا
يعني ان هناك ثانية ؟!!! وهكذا ابهجت
المرأة الثرثارة بفسح المجال لها لتلقي اليها -
بحراً لاينضب - من المعلومات عن احمد ....

اجل ... احمد.. توأم الروح كما كان يحب ان
يناديها .. حبيبها الذي لم تعرف الحب قبله ولا
بعده ... احب اخرى...! ليس هذا فقط بل
وتزوجها ... مرام ... انها الزوجة الثانية !

زوجته الاولى سهام كان زواجه منها تقليديا
لكن الغموض يشوبه رغم وضوح حقيقة
واحدة انه زواج فاشل ليتلبس الغموض اسباب
فشله !

اما الثانية فهي...... (الاخرى)... الاخرى التي
احبها حقا وتزوجها ...

همست الكلمة باختناق " الاخرى " ...

لسنوات خلت اعتبرت نفسها حب احمد الوحيد
.. وكان هذا يرضي انوثتها .. يرضي
كبرياءها التي لم تشعر باهميتها الا مع احمد
...

حتى عندما تزوج بسهام هذه كانت تدرك انها ردة فعل على رؤيته لها صدفة في الشارع وهي ... وهي ... حا .... لم تستطع ان تنطقها !
وكعادتها تجاهلت الذكرى هاربة من ألمها ...

عادت لحاضرها ..

ها هي تواجه غيرتها من حب جديد دخل حياته .. حب ال(اخرى) ... غيرة ليست من حقها هي تعلم هذا وتوقنه ... ولكنها لا تملك الا ان تتساءل لو ان احمد علم بتحررها من زواجها قبل سنة فهل كان سيفكر بالزواج منها هي ؟؟!!! هل كان حبه لها سيحيا من جديد ؟؟

همست في سرها تساءل نفسها " وماذا عنك شهد ؟؟ هل ما زلتِ تحبينه ؟ ام ما زلت ترين فيه الخلاص ؟! "

توهج الحنين في قلبها لايام ماضية .. كان يحب شعرها الاسود ويحب ملامسته على الدوام ... كان يشعرها انها ملكة .. ملكة تملك قلبه ووجدانه .

لم يكن يعلم انه كان يحررها ولو وقتيا من عبودية الجواري ... لم تجرؤ يوما على البوح ... لم تخبره كيف هي حياتها حقيقة واكتفت باعطائه خطوطا عريضة فقط !

كان يمازحها ويقول انه سيكتشف ما تخفيه عنه بعد الزواج ... انه سيكتشفها بكل جانب فيها ... لكنه لم يكتشف ! فالزواج الذي حلما به .. لم يحدث .....!

اخوها مؤيد رفضه مرارا وتكرارا وبعد ان يئست من قبوله لجأت لمحررها ... هربت اليه .. الى احمد... تحتمي به ... تطالبه بتحرير ابدي رغما عن ارادة الجميع ... لكنه خذلها ...! خذلها بأسم اعراف وتقاليد اذلتها وتذلها لهذه اللحظة ... خذلها وهو يخبرها ان سمعتها كفتاة ستتحطم ... وصمها بانوثتها المستضعفة ونظرة المجتمع لها ... لاول مرة يقيدها ... لاول مرة ترى وجها آخر له ... وجه الواقع الذي يحرمها حق الاختيار في كل ما يخص حياتها !!

عادت ... تجر اذيال الخيبة لتمد معصميها نحو اخيها فيضع حولهما قيد جديد ... زواجها من .... عدنان ....

انثى جديدة تباع تحت غطاء شرعي .. لتتحول تسميتها من فتاة لامرأة ... من انسة لسيدة ... مجرد تحول خارجي يخفي الحقيقة المرّة التي تتهامس بها مثيلاتها ... انه همس الجواري !

الفصل الاول

" شهد .. شهد ! اين تسرحين ؟؟!! المدير ينظر نحوك ولايعجبه شرودك هذا .."

التفتت شهد نحو زميلتها رشا لتقول بنبرة مكتئبة " سآخذ اجازة لبقية اليوم .."

عبست رشا وهي تقول " لماذا ؟! ماذا حصل ؟ "

تحركت شهد مبتعدة وهي تخفي تعابير وجهها قائلة " لاشيء ... اشعر بالارهاق فحسب ... ساعود للبيت ، وليخصم المدير من راتبي اذا شاء "

ساعات وهي تسير على قدميها هنا وهناك ... مرّت بشوارع مختلفة تناظر المحلات التي اصطفت بتنسيق عشوائي .. لكنها تحب هذه العشوائية تشعر انها تضيع فيها وهي تحتاج للشعور بهذا الضياع ... انها لاتحتاج للتفكير الان فهي مرهقة ... مرهقة جدا ...

تمر عبر اجساد بشرية فتبدو لها كاارواح هائمة .. ام ان روحها هي من تهيم تكاد تنفر من تواجدها المادي الخانق لها !

عيناها تلتقطان بعض هذه (الارواح) ..

هذا عجوز يتوكأ على عصاه بينما يده الاخرى تحمل مسبحة .. شفتاه تدمدم بما يفترض انه تسبيح للّه عز وجل لكن عينيه لم تمانعا الرنو لجسدها والتحديق فيه !

وتلك فتاة عشرينية تصاحب امرأة بضعف عمرها او يزيد ومرجح انها والدتها من الشبه الواضح بينهما .. لم تكونا بمفردهما .. كان يصاحبهما شاب مليح الوجه مبتسم بلطف هادئ الخطوات...

اما الفتاة وامها -المفترضة- فكلتاهما بدتا بوجهٍ مورد مستبشر بالفرح .. ودخولهما محل الصاغة قد يفسر حقيقة واحدة ... ان عرس الفتاة على الابواب ...

ترى .. هل يحبها ؟ ام انه زواج تقليدي فحسب ... ام انه ببساطة يدفع ثمنها الان ببضع مصوغات ذهبية ودفع تكلفة الزواج ؟! ثمنا لتكون امرأته ليمتص رحيقها ويرميها بعد بضع سنوات وهو يعاني ملل التعود !

هزّت شهد رأسها تنفض هذه الافكار السوداوية التي تسيطر عليها وتجعلها في مزاج اسوأ ...

همست في سرها بأسى " هل كان يجب ان تأتي لهذا المحل بالذات يا احمد ؟ الم يكن يوجد غير محل الاطفال الذي اعمل فيه لتشتري لابنك لعبة ؟! هل كان يجب ان اراك تحمل طفلك وتلاحق طيف حبيبتك الغاضبة وخشية تلاشيه تعثر خطواتك ... ترى .. ما الذي جعلها تغضب منك هكذا ؟! هل يعقل لانها .. تغار عليك مني ؟ هل حكيت لها عني ؟؟"

اغمضت عينيها للحظة تحبس دمعة حنين وحزن على ذكرى احمد في قلبها ...

تأوهت واحدهم يرطم كتفها بكتفه ليحرص على اعتذار سمج وابتسامة مستفزة تشق شفتيه ... قابلته بصمت وملامح جامدة لتخيب آماله بتقبلٍ لتعارف قد يؤدي غرضه في النهاية ...

قادتها خطواتها مرة اخرى لتغرق بعشوائية البشر ... تحاول ان تستشعر الدفء من اي شيء حولها ...

من ابتسامة طفل وهو يقضم من لوح شكولاته ...

او امرأة تضم رضيعها النائم لصدرها..

او رجل لايجد في النظر لمثيلاتها متعة مباحة !

لاتعرف كيف ولكنها في النهاية وجدت نفسها تترجل من احدى الحافلات والحق يقال انها لم تترجل بل تم دفعها مع الامواج المغادرة كما يحصل يوميا .. لتحمد الله انه لم تمتد لها يد تدّعي الاسناد بينما غرضها التلمّس !

بيتها يقع في اخر الشارع ...

بيتها ؟! هل هو بيتها حقا ؟ لم تستشعر يوما هذا ... انه مكان النوم والاكل المدفوع الاجر رغم انه يوما ما كان مجانيا ! الا انها لم تعد تتمتع بهذه الرفاهية ... هذا البيت المتوسط الحال والذي جار عليه الزمن بناه والدها رحمه الله منذ اول زواجه بامها ... ما زالت تذكر هذا الاب كمجرد هيئة تواجدت قريبا منها في فترة طفولتها وبعض مراهقتها ... سؤال يتبادر لذهنها دوما كلما تطلعت لصورته التي توسطت الحائط في غرفة المعيشة ... هل السبب انها كانت في الخامسة عشرة فقط عندما توفي ام لانه كان رجلا لايستهويه التقارب مع ابنائه ؟!

مجرد رجل موظف بسيط في احدى الشركات المغمورة ورث بعض المال من عائلته فمكنته بظروف المعيشة البسيطة آنذاك من بناء هذا البيت المتواضع للزواج والاستقرار فيه .

وهكذا انتهت مهامه !

بنى بيتا .. تزوج من احدى النساء المناسبات لترعى هذا البيت وترعاه هو شخصيا وتنجب اطفالا منه لترعاهم هم ايضا .. دوامة من الرعاية تقع على عاتق الام فهل كان هناك من يرعاها هي ؟!! لقد استنزفت هذه الام خصوصا مع موت المعيل لتضطر للعمل بنفسها حتى تجد لقمة العيش لابنائها الاربعة ...

ماجد نجوى مؤيد و ... هي شهد .... وماذا جازاها الابناء ؟! ماجد هاجر الى كندا حالما تخرج من كلية الهندسة وبعد تباعد في ارسال الرسائل وصل للانقطاع !

نجوى ... ذات السمار الحالك والعينان الجاحظتان .. هذا ما كانت تصف به نفسها وهي تنظر بغيرة تنهشها نحو اختها الجميلة التي تصغرها بتسع سنوات !

لم تعترف نجوى يوما ان سر عدم زواجها او كما يقال كتسمية مخجلة (عنوستها) لا يكمن لان اللّه لم يمنحها جمالا ملفتا وانما قدّر لها بقلب غيور متكبر .. فرغم ان كل من تقدم لها كان ملائما ومقبولا الا انها رفضتهم جميعا !

ويا ليتها رفضت لانها لم تقتنع بشخص العريس فعلا او لانها لاتريد ان تكون مجرد زوجة تتبع نزوات زوجها -كما اتهمتها يوما- بل كانت ترفض لان هيئته الخارجية لاترضي ذوقها !

وهكذا قضت السنوات تجتر غيرتها وتتوقد احقادها وهي تنظر لاختها الصغيرة تجتذب انظار النساء منذ ان بانت معالم انوثتها ليخطبنها لاولادهن او اخوانهن .. متجاوزْنَ الكبرى ... عرض وطلب ... وصاحب المزاد ... اخوها مؤيد ...

تعثرت بحجارة كبيرة ملقاة على قارعة الطريق واوشكت ان تقع لولا لطف اللّه ...

مؤيد الذي يكبرها بخمسة اعوام فقط كان اكثر من مستعد ليلعب هذا الدور في حياتها ... بعد وفاة الاب و هجران ماجد اصبح مؤيد ذو القساوة المتأصلة فيه منذ صغره هو المتحكم النافذ باحكامه ... اما الام فقد هدّها التعب واجهدتها سنوات العمل المرهق فاستسلمت لتحكمات ابنها وهو يقرر مصير اخواته ... وكان مؤيد يعوّل دوما على شهد .. الجميلة التي تجتذب الانظار ... بينما اعتبر نجوى بضاعة بائرة خصوصا مع طباعها الجافة المنفرة ...

ارتعشت شهد من نسمة هواء باردة تخللت قميصها ... هل يمكن للذكريات ان تتسلل دفعة واحدة هكذا ؟؟ بل هل يمكن ان تنسى ؟ كيف تنسى تحطم امالها لبدأ حياة جديدة بعيدة عن هذا الأسر ؟

كيف تنسى ان صاحب المزاد قرر ان يرسي
المزاد اخيرا على ابن الخالة ... الثري ...
عدنان ...

وتم البيع .... وتم الزواج..... واستلم اخوها
الثمن والثمن كان في مهر لم ترَ منه شيئا !

ثم اتى دورها لتجازي امها تلك المرأة
المكافحة بأن تعود اليها مخذولة وبعد اقل
من اربع سنوات ...

سيارة حديثة سوداء خطفت جنبها وقد
يكون سائقها مهملا او ربما ببساطة غير مبالٍ
لان يتجنب برك المياه الصغيرة المتناثرة هنا
وهناك فتطايرت حبات الماء لتبلل ساقيها

المكشوفين .. تلك البرك التي تحمل
حكاوي نساء الحي اللواتي يسردنها وهن
يتخذن من غسل مرآب البيت ذريعة ليقفن عند
الباب فيتحاورن فيما بينهن عن اخر الاخبار ...
من تزوج .. من خان زوجته .. من ضربها ! ... من
طلق .. من مات .. من هاجر .. ومن ومن ... ألسنة
تلوك الكلام ليأكلوا في لحم الناس ميتا
بينما ايديهن تمسك خراطيم المياه بلا فائدة
ترجى ، فقط الماء يُهدر ليتجمع في تلك
البرك على جانبي الطريق فأما ان تجف
بجفاف الحكاوي او تتحول الى مياه آسنة
فتفوح رائحة الحكاية في الحي كله
فتزكم الانوف !

اخرجت شهد بضع مناديل من حقيبتها لتجفف ساقيها بتمهل كئيب ....

صوت توقف السيارة ثم صوت مميز لتراجعها للخلف بشكل عكسي جعلها تتوقف عمّا تفعل فرمت المناديل على قارعة الطريق وتحركت بخطى حذرة متوجسة من تكرار مشهد سئمته وسئمت خوفها منه ، رأسها مطرق للاسفل تراقب ارضية الرصيف باهتمام مبالغ فيه تتجنب النظر لصاحب السيارة الذي تماهل بسيارته قبل ان يصل اليها ...

ابتلعت ريقها وهي تشعر بتشنج عضلاتها بينما تتمسك بحقيبتها وكأنها مصدر حمايتها !

صوت ساخر وصلها مع رائحة السجائر ما ان انفتحت نافذة السيارة " هل يجب ان اعتذر عن فعلة سيارتي الحمقاء ؟" التفتت نحوه لتتطلع للرجل بدهشة ثم قالت بنبرة تعبر عن دهشتها تلك " اسامة ؟!"

اتسعت ابتسامته وهو ينظر اليها مقيّما مظهرها العملي البسيط ثم قال " مرحبا بابنة الحي شهد .."

ردت شهد وهي تستعيد اطمئنانها شيئا فشيئا " مرحبا أسامة ... انا بخير الحمد للّه ... " تلاعب تعبير مغيظ على ملامح وجهه وهو يسألها " لماذا بدوتِ مرتعبة هكذا ؟ هل اثرت فزعك ؟!"

قالت باحراج وهي تعيد بضع خصل من شعرها خلف اذنها " لا .. انا اسفة لاني اعطيتك هذا .. الانطباع .. لكني لم .. اتعرف عليك وانت تقود هذه السيارة المظللة كما لا اذكر اني رأيتك فيها سابقا ..."

رد باسلوب ساخر " انها سيارتي الجديدة ... اشتريتها قبل اسبوع فقط ... هذه ضريبة النجاح ... التبجح بتجديد مترف ؟ "

ابتسمت بأدب وهي تتململ في وقفتها بينما هو يعود لنظراته المقيّمة حتى ظنت انه يوشك على ابداء ملاحظة غير مناسبة عن طريقة لبسها البسيطة الحال لكنها تنفست الصعداء حالما انهى الحوار وهو يقول " حسنا ... اراك بخير شهد .. علي التحرك الان نحو بيت عمي .."

جملة افلتت منها وهي تقول " يسرني انك ستفعل هذا ، فعمك سيفرح لزيارتك له وهو بوعكته هذه .."

قال هازئا " اعترف ان لي اغراضاً اخرى ، فرغم ان زوجة عمي لاترحب بي لكن متعة الشعور بغيظها لوجودي في بيت عمي دون ان تملك القدرة لطردي يستحق رؤية وجهها المقيت لبضع ساعات ... "

ضحك وهو يضيف " لااستغرب ان تلجأ يوما للسحر والشعوذة حتى تقطع تواصلي المتباعد مع عمي ما دامت عجزت عن قطعه بنفسها ... "

اوشكت ان تسأله عن استغرابها لان زوجة عمه تتحمل زياراته دون ان تطرده الا انها احنت راسها تتخفى خلف خصل شعرها من احساس بالخجل لتدخلها فيما لايعنيها ، فما كان منه الا ان قال بلهجة مبهمة " آسف لاني احرجتك بطريقة كلامي لكني لن ادّعي الجهل بمعرفة جميع سكان هذا الحي الفضولي بعلاقتي (المميزة) مع زوجة العم الغالية ... "

ثم ببساطة رفع يده ملوحا بوداع وهو يتحرك بسيارته لكنها لمحت نظراته التي تركزت عليها عبر المرآة الجانبية .

اكملت طريقها وذكرياتها عن اسامة تتداخل مع ذكرياتها الشخصية المريرة ... فهذا الرجل الساخر لم يكن الا طفلا ضعيف البنية عانى من قساوة زوجة عمه منذ ان حضر ليقيم في بيتها بعد وفاة والديه وهو بعمر الحادية عشرة ..

عمه خليل طه استاذ مادة التاريخ في المدرسة الابتدائية التي ارتادتها شهد كما ارتادها كل اطفال الحي ومن ضمنهم اسامة الذي يماثل اخاها مؤيد عمراً وهذا كان لسوء حظه

فقد عانى من قساوة مؤيد الفطرية ورغبته المرعبة في تعذيب الاضعف منه ...

الاستاذ خليل والذي حرم من نعمة اطفال كان رجلا رقيق الطباع لطيف التعامل على العكس من زوجته العبوس القاسية والتي تمكنت من السيطرة عليه تماما والتحكم بقراراته ومقدرات حياته بكل تسلط وهيمنة ، ومن ضمن هذه القرارات ما حصل لاسامة وهو بسن الثانية عشرة ، فتلك المرأة القاسية القلب والفؤاد دفعت زوجها الاستاذ خليل ليلقي بأبن اخيه الى احدى دور رعاية الايتام بعد ان ادّعت ارهاقها من العناية به !

هذه الحكاية لاتذكرها شهد بوضوح لانها لم تكن بوقتها تتجاوز عامها السابع ولكنها سمعت تفاصيلها مرارا من نساء الحي الثرثارات وعلى مر السنوات كلما جاءت سيرة عائلة الاستاذ خليل ، ورغم ان شهد لم تكن في عمر لتدرك فداحة ما حصل له الا انها لم تستطع نسيان تعابير وجهه عندما التقت به بعد عام كامل .. عندما عاد لبيت عمه مرة اخرى !

لم يعد اسامة الا بمساع حثيثة قادها الاستاذ ابراهيم مدير المدرسة وصاحب الشخصية الابوية المميزة ،

فخلال هذا العام لم يكل هذا الرجل عن السعي للضغط على الاستاذ خليل لاعادة ابن اخيه تحت جناحه مرة اخرى ، ورغم ان الموضوع اثار حفيظة الحي باكمله لكن لم يتحرك بشكل جديّ احد سواه ، وهكذا وبعد الحاح مستمر نخّ الاستاذ خليل لهم مستسلما لضعفه هذه المرة امام شعوره بالخزي لاستهانة الجميع برجولته ..

وهكذا عاد اسامة ... بنظرات جامدة ووجه كالح ملامحه نُحتت بالقسوة !

ارتعشت شهد والصورة المريعة للفتى تستيقظ من سبات ذاكرتها ، همست بارهاق وهي تكاد تصل لبيتها " ما هذا اليوم ؟! "

دفعت شهد الباب الحديدية الخارجية الصدئة لتصدر صريرا مزعجا كالعادة كاعلان باهت ملول عن وصولها .

هل يمكن لشعور بضيق الصدر ان يكتنف الانسان كلما دخل بيته ؟! هل كتب عليها ان لاتجد ملاذا تلتجيء اليه لتتخلص من هذا القيد الذي يربطها بهذا البيت ويحكم عليها بالرزوح تحت وطأة الخوف من المستقبل والاستسلام لمشاعر البغض والاستهانة ..

رأت نجوى تعمل شايا لنفسها في المطبخ فالقت اليها سلاما دون ان تتأمل برد منها ! هذه نجوى وهي تمر باحدى ازماتها النفسية فلا تعد تنتمي للواقع وانما تعيش على هامشه متقوقعة على كآبتها .

تحركت شهد عبر غرفة المعيشة نحو غرفة النوم الوحيدة في الطابق الاول ، غرفة النوم التي تتشاركها مع امها العليلة ، فتحت باب الغرفة على مهل خشية ان توقظ امها من نوم تحصل عليه بشق الانفس .

تسللت على رؤوس اصابعها وهي تغلق الباب خلفها ، وضعت حقيبتها على كرسي خشبي قريب ثم خلعت حذاءها لتتسلل هذه المرة للسرير الذي تتشاركه مع امها ايضا ، كانت شديدة الحرص وهي تستلقي بجانبها تقترب منها تتشممها .. تبحث في رائحتها عن بعض امانها المفقود !

تنظر لوجهها المتغضن وتكتم شهقات تخنقها ، همست بصوت متحشرج " لقد رأيته اليوم امي ، رأيت احمد ، لقد ... لقد عشق اخرى امي ، لقد نسي شهد ونسي عشقها ! "

انهمرت دموعها بصمت لتقترب اكثر من كتف امها وتهمس بضعف اكبر " اعلم انه لم يكن بيدك شيء ، اعلم انك كنت اضعف واقل حيلة من ان تخالفي مؤيد ، لكن .. لااملك الا ان افكر بحالي لو كنت تزوجته

، لو كنت حظيت بفرصة لحياة جديدة معه

بعيدا عن كل هذا الظلم والاستبداد ! "

غفت شهد بينما الاحلام تتداخل فيما بينها

لتخلط الماضي بالحاضر ، احمد ينظر اليها

بعاطفة جياشة يبتسم لعينيها يلامس خصلات

شعرها ثم فجأة.... اصبح يشد تلك الخصلات

ليجعلها تتألم بشدة ! اخذت تنظر اليه بعدم

تصديق وقد تحولت ملامحه الحبيبة

لتكسوها قساوة ضارية بينما اصابها الخرس

لتخنقها الكلمات التي تأبى الخروج على

لسانها !

ازداد رعبها مع ازدياد الألم ثم هالها ان ترى

ملامح احمد تتغير وشيئا فشيئا تحولت تلك

الملامح لتمثل وجه اخيها مؤيد ! اخذ مؤيد

يشد شعرها بقساوة اكبر وهو يبتسم ابتسامة

مرعبة ، ما زالت عاجزة عن الكلام فقط

دموعها تسيل ووسط كل هذا رأته من بعيد ،

يقف هناك بمفرده .. ببنيته التي اشتد

عودها ووجهه الكالح وملامحه الجامدة ،

اسامة وهو بسن الثالثة عشرة عيناه تحملان

من البؤس والقسوة بمقدار واحد !

شهقت اخيرا لتأخذ نفساً احتاجت اليه بيأس

فايقظها من حلم خانق ! هبت جالسة في

السرير وهي تتنفس بصعوبة ،

اختلطت دموعها بحبات العرق التي تصببت منها بغزارة وهي تعاني احدى كوابيسها ، لكنه مؤكد لم يكن الاسوأ .

التفتت لتنظر لامها فارتاحت بعض الشيء لانها لم توقظها بكوابيسها ، غادرت شهد السرير على مهل ثم توجهت نحو الخزانة الخشبية العتيقة التي تحتل جانب الغرفة فتحتها ومدت يدها لتخرج ملابس نظيفة ومنشفة ثم عادت لتغلقها بحذر حتى لاتصدر صوتا وتحركت نحو باب الغرفة لتفتحها وتخرج قاصدة الحمام .

كانت تنشف جسدها عندما علا صراخ اختها نجوى ! لم تعرف كيف ارتدت ملابسها وهي ترتجف هلعا هكذا ، ولم تمض الا دقائق حتى كانت شهد تقف داخل غرفة امها تنظر بلا استيعاب لمنظر اختها نجوى تصرخ بلوعة وهي تحتضن امهما التي لانت ملامحها على غير العادة !

مرت الايام ثقيلة بعد انتهاء عزاء الام ، تعيش وحدة اكبر من اي شيء شعرت به سابقا ! تبلّدت مشاعرها وسيطر عليها جمود مخيف احساس بالخواء ورغبة كريهة بأن تصبح منسية او حتى ان تختفي من على وجه الارض ..

عادت لعملها ورغم اعتراض المدير على ارتدائها ملابس الحداد الا انها اصرت ، وها قد مر شهران كاملان وهي تعيش بلا روح ،

تذهب صباحا لعملها لتعود بعد الظهر تجد اختها نجوى على حالها من الصدمة التي لازمتها منذ وفاة الام اما مؤيد فقد كان الوحيد الذي عاد لحياته الطبيعية !

في الصباح يكون في عمله كمدير مسؤول عن احدى المحلات التجارية المعروفة فيعود بعد الظهر يطلب طعامه بطريقته الجافة وما ان يتناوله حتى يذهب لينام في غرفته ولا يستيقظ الا بعد غروب الشمس فيخرج مرة اخرى لعمله وينهي سهرته بصحبة اصدقائه فلايعود الا بعد منتصف الليل .

لم يسأل يوما عن احوال اختيه فقط يلقي بتلك الكلمات المجحفة بحق نجوى وهو ينعتها بالطفيلية لانها لاتجد عملا اخر بدلا من العمل الذي خسرته لسوء خلقها وسلاطة لسانها ! وانه لن يصبر عليها اكثر لتجد عملا تحصل منه على دخل حالها كحال شهد فتواجهه نجوى بصمت كئيب وترفض الرد حتى ، لتتركه وتصعد للطابق الثاني حيث (جحرها) كما تتعمد تسمية غرفة نومها الصغيرة .

اما هي شهد فيختصها مؤيد بصفة الغباء لانها
تستهلك شبابها دون ان تجد رجلا غنيّا
يتزوجها !

كل هذا لم يعد مهما ، فليرحل الشباب
وليرحل الجمال ولتبور البضاعة التي ضربت
بمقتل وهي تحمل علامة (مستهلكة) .

دخلت البيت كالعادة في نفس الموعد لكنها
تفاجأت بسماع اصوات قادمة من غرفة
الضيوف الصغيرة ، كانت الاصوات لرجلين
ميزت احدهما صوت اخيها مؤيد اما الآخر
فتوجست وهي تكتشف انه لغريب !

نظرت نحو نجوى لتسألها بقلق " من مع مؤيد
في غرفة الضيوف ؟" رد نجوى بفظاظة " رجل
!" فتحاملت شهد على نفسها لتسألها مرة اخرى
والقلق يتصاعد " ارجوك نجوى فقط
اخبريني هل تعرفين من هذا الرجل ولماذا جاء
به مؤيد لبيتنا ؟"

ردت نجوى وهي تنظر لشهد ببرود " حسب
خبرتي اعتقد انه عريس محتمل للجميلة شهد
"

شعرت شهد بالدوار وتقبضّت يداها وهي تسأل
بصوت متحشرج " هل .. هل هو من قال .. هذا
؟" ردت نجوى بابتسامة كريهة " لقد ألمح انه
شخص مهم وسأل عنك "

ارتعشت شهد وشعور بالغثيان يداهمها قالت بضعف وهي تتطلع لاختها باستعطاف " لاتقولي لي انه عجو... عجوز كالمرة السابقة ؟!"

للحظة .. للحظة فقط شابت نظرات نجوى بعض التعاطف والشفقة ! لكن هذه اللحظة مرت سريعا لتقول لها بجمود " اسفة لتخييب رجاءك ! اجل انه عجوز ، يبدو في نهاية الستينات وربما اكثر لااعلم .. ادعي اللّه ان لايرغب بك كما فعل سابقه بعد ان علم انك لست فتاة بكر ! "

ثم التفت نجوى لتغادر المطبخ وهي تقول بصوت منخفض " اوصاني مؤيد ان تدخلي اليهما بالعصير حالما تصلين من عملك "

الدموع هطلت لتتساقط بغزارة على قميصها الاسود همست بتظلم ملتاع " يا ربي .. لماذا يجب ان اتعرض لهذا ؟! لماذا لايتركوني في حالي ؟!"

صوت مؤيد علا وهو يحاول ترقيقه جاهدا ليناي قائلا " اين العصير يا بنات ؟!"

دخلت شهد بخطوات متعثرة تكاد الصينية التي تحمل قدحيّ العصير تسقط من يديها ، لم ترفع رأسها وهي تلقي بالتحية ،

املت ان الرجل سيجد في ملابسها السوداء ووجهها الشاحب الكئيب ما ينفره من الرغبة في الزواج منها .

قدمت العصير له فشكرها بانفاس ثقيلة كرهتها واصابتها بالقرف تحركت سريعا نحو اخيها لتقدم له العصير ايضا وتنسحب بعيدا لكن الرجل لم يمهلها ليطلب بصفاقة ان تشاركهما الجلسة !

عندها فقط رفعت عينيها نحوه ويا ليتها لم تفعل ! كان ضئيل الجسم يرتدي ملابس بالوان مبهرجة ، وجهه حالك السمرة ، بشرته متغضنة بتجاعيد تخبرها بعمر يتجاوز السبعين فيتنافر منظر هذه التجاعيد مع لون شعره الاسود كجناح الغراب ! عينان كريهتان ، بياضهما مصفر وبؤبؤاهما يتراقصان عليها بنظرات تتفرس بجسدها ينهم نهما فيه بينما ابتسامته البشعة الجائعة تتسع ، يبدو ان (البضاعة) اعجبته ! فلم تؤثر فيه ملابسها الرخيصة ولم يحبطه لون الحداد الاسود .

التفتت نحو مؤيد لتراه راضيا مستبشرا فانقبض قلبها وفقدت القدرة على التصرف لكن كلمة منه جعلتها تستفيق ، قال مؤيد بلهجة ناعمة مبطنة بالتهديد " اجلسي شهد السيد ساجد يريد التكلم معك قليلا "

جلست شهد باضطراب واضح تشد تنورتها السوداء لتتستر قدر الامكان امام تلك النظرات الفجّة .

التزمت شهد بردود مقتضبة على اسئلة الرجل السخيفة بينما تحاول امتصاص نقمة اخيها مؤيد الذي اخذ يرمقها بنظرات محذرة .

انتهت الجلسة الكارثية وقد انتفخت اوداج ذلك العجوز المتصابي فبدى عليه الرضا وهو يغمرها بنظرات لاتحمل الا صفة القذارة وعلى مرآى شقيقها !

واخيرا لجأت شهد لغرفتها تجلس على سريرها والذي كانت ترقد عليه امها منذ شهرين فقط كجثة هامدة ! ها هي تجلس عليه تضم ركبتيها لصدرها وترتجف من مصير اسود قادم .

دون استئذان دخل عليها مؤيد يضع يديه في جيبيه ويرمقها بنظرات جليدية ثم قال بلهجة تعكس نظراته " السيد ساجد اعجب بك ويريد الزواج منك "

لم يرف جفناها وهي تتطلع لهذا الاخ الظالم ، لم يمر يوم دون ان تشعر بمرارة ظلمه لها بل لم تمر ساعة لم تستشعر سواد هذا الظلم الذي ملأ قلبها قيحاً ، لكنها لم تعد تحتمل !

بل لم يعد هناك ما يدفعها للاحتمال ، امها التي كانت تشعر نحوها بالذنب .. ماتت ... ليست مجبرة لتحمل هذا القهر اكثر .

تحركت لتنزل من السرير وتقف على قدميها باهتزاز لكن كلماتها خرجت بثبات وهي تقول " انا لست موافقة ، لااريد الزواج "

تشوهت سحنة مؤيد وهو يتقدم نحو اخته ليقول من بين اسنانه " ماذا قلتِ؟!"

ردت والضعف اللعين يتسلل اليها كالمرض الخبيث " قلت انني لااريد الزواج لا من السيد ساجد ولا... من غيره "

اتسعت عيناه بنظرة حادة غاضبة وفي لحظة كانت اصابعه تمسك شعرها من الخلف بقساوة لاترحم وهو يقول بوحشية " ستتزوجينه يا شهد ستتزوجين هذا الرجل رغما عنك ، لدي مصالح معه ولن افسدها بسبب جاحدة مثلك !"

خرج صوتها مختنقا بالألم وهي تلتجأ للتوسل قائلة " ارحمني مؤيد .. لاتبعني لهذا العجوز !"

صرخ بها بعنف " ايّ بيع يا تافهة ؟!! انه زواج .. زواج على سنة اللّه ورسوله ، ام انك تريدين البقاء هكذا حتى تتعفني في سرير والدتك !"

انتفضت كرامتها ما ان ذكر امها فهتفت به " لاتذكر امي .. انا افضل ان اتعفن على سريرها هذا على ان استسلم لصفقاتك القذرة !"

وكأن ابواب جهنم فتحت على مصراعيها امامها ! لاتعرف من اين اخذت تنهال عليها الصفعات ..

لاتعرف ما حصل بعدها فما بين صفعاته وبين صراخ نجوى وهي تحاول انقاذها من تلك الوحشية وجدت نفسها تركض لتخرج من البيت تهرب من الايادي التي تمتد من كل حدب وصوب بينما ظلت الاصوات المختلطة تلاحقها !

لم تدرك انها تركض في الشارع بشعر مشعث، حافية القدمين حتى اخذت الجروح تخط خطوطها القاسية فيها !

النظرات لاحقتها لكنها لم تتوقف ... لم تتوقف حتى ارتطمت به ! لتسقط على صدره وهو يمسكها بقوة من ساعديها لينظر اليها بحاجبين معقودين ويقول

" ماذا حدث ؟! من فعل بك هذا ؟!!"

الفصل الثاني

لم يصدق عينيه وهو يرى هذا المشهد الصادم !

شهد بملابس الحداد البالية تركض في الشارع حافية القدمين بشعر مشعث متناثر ووجه متورم وقد خطت اثار الضرب على بشرتها !

لم يشعر بنفسه الا وهو يوقف سيارته على قارعة الطريق ليترجل منها مسرعا نحوها ، بدت هستيرية وكأنها لاتعي وضعها بينما

بضعة نسوة سخيفات كنًّ يرمقنها بفضول لاهث دون ان يبادرن لتهدأتها !

ارتطمت بصدره وهاله ان يرى على وجهها كل هذا الألم والرعب وشعور غامض آخر لم يستطع تحديده ، لكنه كان منشغلا بتدارك ما لاتعيه هي لتتداركه .

امسكها من ساعديها بقوة متعمدة لتسترجع زمام نفسها لكن اثار الاصابع على وجهها ايقظت ذاكرته فجأة ووجد نفسه يقول وهو يصر على اسنانه " ماذا حدث ؟! من فعل بك هذا ؟!!"

تطلعت نحوه بصدمة ، وكأنها ادركت للتو انها في مكان غير المكان الذي اعتقدت نفسها فيه !

لاحظ شفتيها المتورمتين وقد سال الدم ببضع قطرات يتيمة من جانب شفتها العليا ، ارتعد من ثورة قديمة اخمدها من سنوات فعادت لتتمرد عليه وتقرع الطبول ايذانا باستيقاظها مرة اخرى !

لم تدم اللحظة ، فسرعان ما انتُزعت شهد من بين يديه قبل ان تنطق بحرف واحد رغم كل ما نطقته عيناها من انكسار وذل !

سلمها اخوها مؤيد لاختهما نجوى التي كانت كما يبدو تلاحق الاثنين ! ثم اقترب مؤيد من اسامة قائلا بشراسة " اياك ان تلمس اختي مرة اخرى "

هدأت الطبول وتقهرقر الثوار وعادوا خائبين بعد ان هدّهم ظلم سيطرة الحاكم ! فالحاكم امر بالانصياع لعهد قطعوه ان لايثقلوا عليه بثورات قد تحرق الاخضر واليابس ! كلمات الاستاذ ابراهيم ما زالت تطن في اذنيه " سيطر على غضبك يا اسامة ، لاتدعه يحكم تصرفاتك فيخونك ذكاؤك وتكون من الخاسرين !"

نظر اسامة ببرود ثلجي لوجه مؤيد الغاضب ثم قال بابتسامة مستفزة ساخرة " لم اكن المسها فيكفي لمساتك التي تكاد تشوه وجهها "

اوشك مؤيد ان يضربه لولا تجمع الناس حولهم فالقى نظر خلفه ليجد نجوى قد تصرفت واخذت شهد عائدة بها الى البيت فعاد بنظراته لاسامة ليهمس له بغضب " عليك ان تكون ممتناً لاني اخاف على سمعة اخواتي والا كنت سالقنك درسا كما كنت افعل معك وانت طفل ضعيف منبوذ ومتباكٍ "

ابتسامة اسامة اتسعت وهو يرفع حاجبا واحدا ويقول " كم اتمنى لو تحاول ان تفعلها يا مؤيد على الاقل ستكون فرصة لتصفية حساباتك المتأخرة مع ذلك الطفل المنبوذ "!

رمقه مؤيد بنظرة مشمئزة قبل ان يستدير ببرود عائدا لبيته لاحقا باختيه .

تطلعت نجوى لرأس اختها المنكس وجلستها الذليلة على حافة سرير امهما جسدها يرتعش وقدماها يسيل منهما الدم !

قالت بغيظ لاتعرف اسبابه الحقيقية " ماذا فعلت يا مجنونة ؟! هل كان يجب ان تركضي في الشارع بهذه الحالة المزرية ؟ هل تدركين اننا سنكون حديث الحي لاشهر قادمة !

واخوك مؤيد سيصب جام غضبه علينا خاصة وقد رآى ذلك المنبوذ يمسك بك هكذا ! ألم تصادفي غيره ؟!! "

صوت راعد جاء من عند الباب قائلا " اخرجي نجوى .."

جمدت شهد دون ان ترفع رأسها بينما التفتت نجوى نحو اخيها لتحاول التمسك بفظاظتها وعنجهيتها كسلاح لايقاف القادم " انت لاتملك ان تأمرني هكذا ، انا افعل ما اريد ، هل نسيت انني اكبرك سناً ؟! "

اعاد مؤيد كلماته بعنف اكبر " اخرجي نجوى والا اقسم ساعلمك درسا قاسيا انت الاخرى "

ابتلعت نجوى ريقها وبان على وجهها شيخوخة مبكرة .. انها شيخوخة الروح وعجز الحيلة! اطرقت تستسلم لحكم القدر عليها ارادت ان تمد يدها نحو اختها الصغرى تلامسها كبادرة للمساندة والدعم ولكنها خجلت .. خجلت من هذا البادرة الجوفاء !

تحركت تجر اذيال ضعفها الذي تخبؤه خلف قناع من سلاطة اللسان وقسوة الالفاظ التي تنتقيها انتقاءا .

كالمشلولة وهي قابعة في السرير سمعت شهد خطوات نجوى المبتعدة ثم تبعها صوت مؤيد وهو يقول بقساوة " اغلقي الباب خلفك نجوى .. "

واخيرا صوت اغلاق باب الغرفة الذي اطبق على انفاسها واغرقها في دوامة من مشاعر مختلطة ، رعب... تمرد.. رغبة بالهرب.... رغبة بالمواجهة ! لكن ... اين هي واين المواجهة منها ؟!

شعرت بتحركه ليقف قريبا منها ، ما زالت تأبى النظر .. ما زالت تأبى الاعتراف انها لاتملك الخيار!

صوته على انخفاضه كان حادا كسكين اعدت لذبح خروف العيد " انت ستتزوجين السيد ساجد خلال اسبوعين لاغير ، هذا افضل ما عرض لك بعد خيبتك الكبيرة مع عدنان"

ثم مال نحوها يلامس شعرها بانامله فارتعشت ثم انكمشت ! فهمس لها بقساوة " لن تخذليني اختي الصغيرة ، انا ابحث لك عن الافضل ولن تجدي رجلا وسيما من احلام المراهقات يرضى بامرأة مطلقة ! " ثم اضاف ساخرا " رغم ان هذه المطلقة الغبية كانت قاب قوسين او ادنى من ان تصبح ارملة ثرية ! "

قال جملته وهو يشد شعرها بقساوة حتى اختنقت من الألم ، ثم تركها ليتحرك نحو الباب وهو يقول بترفع " استيقظي شهد لن تظلي فتاة صغيرة للابد فتتمنعي على هذا وذاك ولتكن اختك نجوى مثالا تعتبرين منه لكي لاتسلكي مسلكها وتبوري مثلها .."

ثم ببساطة ... فتح الباب وخرج ليغلقه خلفه بهدوء شديد !

الظلم ظلام ... ظلام دامس .. ظلم تجسد عبر سلسلة طويلة من الاقدار المجحفة ، طفولة جافة الا من بعض الرقة التي منحتها اياها امها .. تعليم متوسط تمثل في معهد فني لقصر ذات اليد فلم يحظَ بتعليم جيد غير الولدين .. ماجد ومؤيد .. ثم خسارة حب احمد التي عنت خسارة الامل لحياة مختلفة .. وتلك الخسارة كان بداية لخسارات افدح ، فهل هناك اكثر من خسارة الانسان لذاته .. لقيمته .. لاحترامه لنفسه ؟!

لازالت تذكر ليلة الزفاف كحدث مؤلم ومخجل ! اخجلها ان يلمسها رجل لاتشعر نحوه بأي عاطفة ، مزقتها ذكرى ابتسامة احمد الولهانة ومداعبته لها عن ليلة زفافهما المرتقبة، دموعها سالت فلم تثر حنان عدنان او اهتمامه !! انه لم يهتم حتى باثارة مشاعرها كأنثى ، لم يهتم بطمأنتها وهي مقبلة على علاقة شديدة الحميمية تتطلب التماهل

والتدرج بالاقتراب الجسدي والروحي معا ! بل
اخذ براءتها بعنجهية ذكورية وخشونة اقرب
للاغتصاب ليبتسم مفاخرا بنفسه ما انتهى
كل شيء ثم اخذ يربت على شعرها مفاخرا
هذه المرة ببراءتها التي كانت من نصيبه !

لازالت تذكر ارتعاش جسدها بعد ان تركها
موليا اياها ظهره ليغط بعد لحظات في نوم
عميق يتخلله شخير منفر بينما تقوقعت هي
على نفسها تحتمل رائحته التي علقت بها كما
علقت في ذهنها صور ليلة الزفاف ، الرائحة
تلاشت لكن الصور ظلت عالقة !

اجترعت المرارة وعانت الخيبة وهي تستسلم
له ليلة بعد ليلة ينتهك حقوقها كانسانة

لها مشاعر وهو يستلب منها حقوقه كرجل .
لتأتي النهارات تواجه فظاظته التي شكلت
جزءا لايتجزأ من شخصه ! بينما كانت تتوسل
الحنان ، حنان تهفو ذاتها اليه منذ وعت
لوجودها في هذه الحياة ..

مع ذلك .. حاولت ان تتغاضى .. حاولت ايهام
نفسها برضا قادم ، اغلقت على مشاعرها التي
اعطتها يوما لاحمد وقررت بداية لحياة
جديدة قد لم تتوضح بعد ، حياة قد تجد
فيها مكانا حقيقيا لها مع عدنان .

لكن ... للاسف ظل الرضا وهماً والحياة
الجديدة حلما بعيد المنال ..

" شهد ... شهد .."

رفعت جبينها الذي كانت تسنده لركبتيها ..
صورة اختها نجوى كانت ضبابية امام عينيها
..

قالت بدهشة وتيه " لم اسمع صوت الباب يفتح
؟"

اقتربت نجوى وهي تقول " فتحته على مهل
حتى لااصدر صوتا .. شهد ... ماذا ستفعلين ؟"

لم تعي كلماتها وهي تتسرب منها قائلة
بتشوش " هل كان يجب ان ارضى بهوان نفسي
مع عدنان ؟ هل كان يجب ان اتعايش مع
امتهان انوثتي قبل كرامتي ؟ فقط لاحتمي
امام الناس بظل رجل ؟!"

اقتربت نجوى اكثر لتجلس امامها على السرير
ثم قالت بهدوء " لا .. ما فعلته كان من
حقك .. حتى لو لم يعترف بهذا احد عداك
.."

لم ترد شهد بينما قالت نجوى بصوت جدي
يتخفى خلف الهمس " ابحثي عن حل شهد ،
يجب ان تجديه لااعلم كيف لكن يجب ان
تجديه "

ثم وقفت على قدميها وعيناها لاتفارقان وجه اختها الهائم في الفراغ لتهمس لنفسها " حتى الجمال سلاح ذو حدين .. نعمة او نقمة .. "

ثم التفتت لتغادر بخفة لتتلاشى دون تشعر بها شهد وكأنها لم تكن هنا حقا ولم تقل ما قالته !

غادر غرفة عمه بهدوء واغلق الباب خلفه ، لم يتطلع للمرأة التي تجلس على كرسي كبير قماشه مهترئ ولونه داكن كدكنة قلبها !

تجاهل وجودها القاتم وتقدم نحو طاولة الطعام التي تأخذ جانبا من غرفة المعيشة .

كم مرة جلس على هذه الطاولة ينظر للطعام امامه دون ان يملك الاخذ منه ودون ان يملك حق المغادرة حتى ! هذه كانت احدى العقابات التي تلقاها في هذا البيت ،

عمه يأكل بخنوع متجنبا النظر لابن اخيه اليتيم بينما زوجته تأكل بنهم مبالغ فيه وتستلذ بكل لقمة اما هو فيتغذى الحسرة والغضب والكراهية .

ذكرى بعيدة... لكنه قادر على تجاوزها كالعادة ،

مد اسامة يده لجيبه واخرج ظرفا ابيضا وضعه بعناية على سطح الطاولة ثم قال دون ان ينظر نحوها " امرأة تدعى ام حسن كانت ممرضة سابقة ستأتي ابتداءا من الغد لتعتني بعمي ، لااريدك ان تتكلمي معها حتى .. دعيها فقط تقوم بعملها دون مشاكل .."

اصدرت المرأة صوتا كريها ثم خرجت كلماتها مغلفة بالحقد " تجيد لعبة السيد المسيطر يا فتى الملاجئ ! "

تبسّم دون ان يكلف نفسه عناء الالتفات نحوها ثم تحرك نحو باب البيت ليقول وهو يضع يده على مقبضها " واستمتع بكل لحظة .. عمتي.... زليخة .."

ثم خرج مغادرا هذا البيت الذي شهد اسوأ ايام حياته ... خرج وهو ينفض عنه ذرات الغضب التي علقت بتلابيب روحه ، لن يستسلم لاغواء الغضب ... ليس الان ... ليس بعد كل ما حققه وهو يكظم هذه البراكين ... الغضب وقود .. وقود هائل ! والذكي من يستخدمه لمصلحته .

اشعل سيجارة قبل ان يفتح باب السيارة ويدخل فيها ، تحرك بسيارته ... اتخذ افرعا مختلفة حتى مر امام بيت بعينه ... بيت شهد ..

كان يقود بتماهل غريب عن طبعه سيجارته المشتعلة معلقة بجانب فمه تعكس مزاجا لامباليا بينما في الحقيقة ذهنه متوقد متنبه .. متسائل ... وعيناه تسترقان النظر نحو ذلك البيت الكئيب فيتساءل " هل هذا الهدوء المخيم على هذا البيت دلالة سيئة ام حسنة ؟! "

ابتسامة جانبية صغيرة وافكار ساخرة تطل برأسها في عقله " هل تصالحا مثلا ؟ هل اعتذر منها مؤيد في حدث كوني عجيب ! ذلك البائس الحقير ... " عبس مفكرا " تُرى لماذا ضربها هكذا ؟! "

ام سعيد ثرثارة الحي لمحته وهي تسير في الشارع كعادتها اليومية وهي تتنقل باخبارها من بيت لبيت ، اخذت تلوح له ببشاشة مفتعلة بينما عيناها تتسللان بفضولهما المقيت لتقرأ نظراته ... تستكشفها ...

لم يغير سرعة سيارته ليغيظ ذلك الفضول دون ان يوصله لاغراضه !

واستمر على نفس السرعة بينما يغادر هذا الحي الذي شهد على طفولته ومراهقته البائسة .

فتحت الظرف ولهفة النظر للمال تنغصها معرفة مصدره ! لاتعرف كيف استطاع ذلك الفتى الفقير المقيت ان يتحول لرجل صاحب مال ؟!

راقبته بكره ولسنوات عديدة يكبر امامها يذكرها دوما بعجزها وعقمها فلم تنجب طفلا! طفل مؤكد كان سيفوقه ذكاءا وحظا .. هذا المحظوظ الذي استطاع بادعائه الخنوع والمذلة اقناع عمه بدخوله للجامعة ، كان يعمل كل شيء واي شيء ليوفر مصاريفه ويكمل دراسته دون ان يكلف عمه قرشا واحدا ، حتى انه لم يكن يتواجد في البيت الا اخر الليل فيلجأ لسريره ثم يغادره مبكرا مع خيوط الفجر.

سحقت زليخة اسنانها غيظا وهي تتذكر صمته على كل ما فعلته به خلال مراهقته ، لقد ارادت دفعه ليترك البيت ويهرب او حتى ليفشل ! لكنه كان يقابل قهرها لضعفه بصمت مغيظ ، فقط عيناه ... تلك العينان كانتا تنطقان بالف حكاية غضب وتمرد وانتقام .. لكنه لم يقدم على عمل شيء ... فقط الصمت ..

اعادت المال للظرف وحشرته داخل ملابسها لتهنئ بالشعور انها على الاقل تأخذ منه ماله ... مال يكد في جمعه منذ بلغ الثامنة عشرة وهو يعمل كبائع متجول للادوات الكهربائية المستعملة حتى اصبح مالكا لشركة استيراد وتصدير محترمة وهو في الخامسة والثلاثين .

قالت لنفسها بصوت ينضح بغضا " فليقنع نفسه ان المال لعمه لكنه في الحقيقة يدخل جيبي انا ، اصرفه كما اشاء وادخره كما اريد "

وعند هذه الفكرة ابتهجت وشعرت كأنها تقتطع منه .. من لحمه الحي .. وهذا جعلها تستلذ بشعور الغلبة .

صباح اليوم التالي

نظرت لوجهها في المرآة ، لامست بانامل مرتعشة تلك الخطوط المحمرة فبدت كآثار السياط !

الدمع أبى مطاوعة النفس لمواساتها وبث شكواها فتجمدت العينان بجفاف المآقي وتهافتت آلآم الروح لتتراجع بخجل واستيحاء آلآم الجسد .

اجفلت بقوة والباب يفتح ليطل اخوها بملامحه القاسية الباردة ، تراجعت للخلف واوشكت ان تقع وهي تتعثر دون سبب فلم يهتم مؤيد بارتعابها هذا واكتفى بالقول بلهجة قاطعة " لاتغادري البيت ولأي سبب كان .."

تطلعت نحوه بعينين متسعتين فهمست باضطراب " عم...عملي ..."

حرك اهدابه بتماهل ثم قال " لم يعد لديك حاجة للعمل ، زوجك رجل مقتدر وهو يريد تفرغك له ولذلك اتصلت بمديرك قبل قليل واعلمته باستقالتك "

اطبقت على عنقها انامل ليست مرئية ، جافة خشنة قاسية لكن كلمة واحدة تحشرجت وهي تخرج من بين شفتيها " زو......زوجي ؟!"

رد مؤيد بشفتين مزمومتين " نعم ... السيد ساجد اصبح في حكم زوجك الآن ، بعد اقل من اسبوعين سيتم زفافكما "

ابتسم والسخرية تكسو ملامحه ثم قال " عريسك مبتهج بك وهو مصر على حفل زفاف سيعقد هنا في بيتنا كما اصر على ارتدائك لثوب ابيض رغم انه لم يعد يليق بك !" ثم هزّ كتفيه ليضيف " يبدو انك محظوظة لترتدينه مرتين .."

كان جسدها يختض بعنف وهي تنظر اليه ، لاتصدق انهما شقيقان حقا ! لاتصدق انهما ينتميان لنفس الدم ! الا يشعر بها ؟ الا يرأف بحالها ؟

استدار موليا اياها ظهره وهو يقول بلهجة حادة صارمة " اياك مخالفة امري شهد ، اياك والخروج لاي سبب ، حتى الجيران لا اريدك ان ترين احدا منهم ولا حتى ان تستقبليهم هنا ، ستظلين بصحبة نجوى حتى ترحلي لبيت زوجك "

تحرك خطوتين ثم توقف ليضيف بلهجة اكثر ارعابا " واقسم باللّه اذا افتعلت فضيحة بمحاولة اللجوء لاي انسان .. ايّ انسان يا شهد .. فاقسم سأقتلك بيدي "

وهكذا تحرك ليغادر غرفتها بهدوء وهذه المرة لم يكلف نفسه عناء غلق الباب خلفه!

لاتعرف كم من الوقت قضته واقفة تنظر الى ... لاشيء ! وهل هناك شيء ؟!

خياله اختفى فلم تعد عيناها تبصرانه وصوت خطواته تباعد حتى لم تعد اذناها تلتقطانه لقد تركها ورحل ببساطة ! القى اليها خطة طويلة او قصيرة الامد لحياتها المستقبلية ، وايٌ حياة ؟!

برد ... برد شديد ... لَكَم تكره هذا الشعور بالوحدة .. لَكَم تكره سلبيتها التي اوصلتها للاستسلام التام لتسلط مؤيد وجبروته ليبيعها لرجل عجوز دون اي شعور بالذنب !

حتى ثورتها بالامس ما كانت الا زوبعة في فنجان ليطل النهار بشعور مزرٍ بالضعف !

لفّت ذراعيها حولها تجاهد لتمنح نفسها بعض الشعور بالدفء ، نظرت لنفسها في المرآة كما كانت تفعل قبل ان يدخل عليها مؤيد ثم همست باختناق وهي تشدد ذراعيها حولها " ماذا يجب ان افعل ؟! كيف ساقول لا بينما ضعفي وقلة حيلتي تصرخان نعم !"

كان يقرأ في بعض الاوراق عندما جاءه صوت سكرتيرته عبر الجهاز الصغير الموضوع بعناية على مكتبه لتقول باسلوبها العملي " سيد اسامة .. السيدة عمتك على الهاتف "

ابتسم اسامة وهو يفكر باتصالاتها على هاتفه النقّال والتي تجاهلها منذ الصباح ، انه يعرفها لاتتصل الا اذا كانت تريد شيئا لنفسها فرغم بغضها له الا انها لاتستطيع الاستغناء عن وجوده في حياتها !

رد بسلاسة على سكرتيرته " حولي لي المكالمة "

ثوانٍ وكان يسترخي في مقعده ويبتسم بخبث وهو يقول عبر سماعة الهاتف " مرحبا بعمتي .. لااصدق حظي السعيد وانت تتصلين بي صباحا لتطمأني علي ! رغم اني اعترف سماع صوتك اقرب لرؤية كابوس في ليلة عاصفة "

ردت بغيظ مكبوت " لاتكن وقحا اسامة ! مهما يكن فأنا من آوت... اقصد ربتك في بيتها منذ كنت طفلا ولي حق الاحترام والطاعة "

ضحك اسامة ملئ فمه ثم قال " يبدو ان خروجك لعرس في الحي هذه الليلة مهم جدا "

شعر بكل غضبها الذي تحاول قمعه لتقول من بين اسنانها " اذن جاسوستك اللئيمة ام حسن اخبرتك ! ولذلك لاتكلف نفسك عناء الرد على مكالماتي ؟!"

تلاعبت انامله بقداحة سجائر انيقة كانت مرمية امامه على سطح مكتبه بينما ابتسامته تأخذ منحى آخر ، ابتسامة رضا مذاقه لايقاوم ! لايستطيع ان يكتم احساسه بالابتهاج لهذا الشعور ، شعور انه يتلاعب بها رغما عنها والاروع انها تدرك هذا ولاتملك ان توقفه !

قال باستفزاز متعمد " جاسوستي تخبرني بكل شيء فأنا ادفع لها نظير ذلك ، فكيف تريديني ان اطمأن على عمي مع انسانة انانية جحودة متحجرة القلب مثلك ؟!"

تغاضت مكرهة هذه المرة عن اقواله، فهي ليست غبية لترد عليه الان ، انها تعرف متى ترخي ومتى تشد الحبل ، كل الرجال سواء

وهم يظنون في انفسهم الفطنة والذكاء بينما مكر النساء غلّاب وكما استطاعت السيطرة على زوجها تستطيع ملاعبة ابن الملاجئ هذا لتحصل دوما على ما تريد .

انها لعبة النفس الطويل وكل ما عليها ابقاء خليل تحت جناحيها ليبقى اسامة مربوطا بعمه وبالتالي مربوطا بها هي .

قالت اخيرا بنبرة عادية " ام حسن ترفض البقاء الليلة وكل ما طلبته منها ساعتين او ثلاث لااكثر لاحضر عرس شهد واعود من توي "

اناملها توقفت عن التلاعب بالقداحة وتجمدت ملامحه واسم شهد يقتحم فكره المتراخي ليجبره أن يتأهب !

سأل بهدوء " ايّ شهد ؟ تقصدين اخت مؤيد ؟"

ردت زليخة وقد غلبتها طبع مثيلاتها من النساء الثرثارات المتربصات لفضائح الحيّ " اجل هي شهد .. اخوها سيعقد قرانها ويزوجها الليلة لعجوز في السبعينات وتلك الغبية راضية وخانعة كالعادة ! "

لم يرد اسامة بينما تمادت زليخة في ثرثرتها وهي تخوض في سير الناس " تقول ام سعيد انه احضره للعانس نجوى لكن يبدو انه رآى شهد وفضلها على اختها الدميمة ، ومن يلومه ! "

قال اسامة ببرود " اذن هذا هو سر لهفتك للذهاب ! تريدين التفرج على مصائب غيرك والتلذذ بالتشفي بشقائهم "

ردت زليخة بحدة لم تسيطر عليها " تأدب يا ولد والا ..."

قاطعها بصوت قاس حاد " لم اعد ذلك الولد عمتي زليخة فلا تنسي ذلك ابدا والا .. انت تعرفين كيف ستكون خسارتك "

صمتت يتملكها الغضب ورغبة للانتقام من اذلاله لها هكذا ثم فاجأها بأن سأل " متى سيكون العرس ؟"

دُهشت من استسلامه السريع لكنها ردت قائلة " في تمام السابعة .. "

قال بغموض " ساقنع ام حسن بالبقاء لساعة واحدة فقط لااكثر .."

ودون كلمة اخرى اغلق الخط !

" ماذا افعل بنفسي ؟! الى اين انحدرت بي الحال ؟ هل حقا استسلمت لقدر افضل منه الموت ! "

فستان عرس بهيّ اجمل من الفستان الذي ارتدته في عرسها الاول على عدنان اما الألم فبطريقة ما هو نفس الالم لكن وصفه مختلف !

يوم عرسها على عدنان كانت تشعر بمن ينحر قلبها نحرا اما الليلة فأنها تشعر بأن روحها من تُنحَر .

دخلت نجوى تنظر اليها نظرة تفيض اشمئزازا !
ثم قالت بنبرة تعكس نظرتها " هيّا يا عروس
فمؤيد يطلبك من اجل عقد القران كما ان
الكل يسأل عن سر تأخرك واولهم عريسك
المتصابي! "

الاشمئزاز عبّر عن نفسه بوضوح اكبر على
شفتيها وهما تتخذان اشكالا ملتوية ثم
اضافت " لااصدق كيف ستسمحين له
بلمسك !"

اغمضت شهد عينيها بقوة ترتجف من صور
تتزاحم في مخيلتها ، فجأة فتحت عينيها
وهمست وهي ترفع يدها لفمها " اشعر اني
ساتقيأ !"

ثم هرولت خارج الغرفة نحو الحمام الجانبي
بينما اصوات الزغاريد يزيد من رغبتها بالتقيؤ
.

افرغت ما في جوفها دفعة واحدة والصور
اللعينة تسخر منها في عقلها بينما تستشعر
رفقة اختها حولها والتي اغلقت باب الحمام
لتقترب منها قليلا على قدر ما سمحت به
مساحة الحمام الصغيرة .

لم تلمسها نجوى فقط قالت باشمئزاز اقل " ما
دمتِ تشعرين هكذا لِمَ سكتِ ايتها الغبية
؟!! لماذا لم تجدي حلا وقد كان امامك
اسبوعين كاملين ! كل يوم كنت استيقظ
واتأمل انك فعلت شيئا لاجدك كما انت ..

خانعة شاحبة بلا حول ولا قوة ! تتجولين بين غرف البيت كاشباح الاموات ! "

تهدجت انفاس شهد وهي تأبى النظر لاختها لكن كلماتها مزقت صدرها فقالت بلوعة " لم استطع نجوى .. لم استطع فعل شيء .. وماذا كان بمقدوري ان افعل ولمن التجأ ؟! لااحد ... لااحد على الاطلاق سيورط نفسه معي ليقف في وجهه ، لااحد يريد المشاكل لنفسه .. كما لااحد سيعترف بحقي بالرفض اصلا ليساعدني ويقرر ان ينقذني .."

تشنجت نجوى بينما تغضنت ملامحها لتقول بصوت غاضب يائس " هذه مشكلتك الابدية يا شهد .. دوما تريدين من ينقذك ! فعلتها مع عدنان سابقا وانت تتباكين على فارسك احمد الذي لم يهب لانقاذك ليخطفك عنوة منه ! "

ترقرقت عينا شهد بدموع القهر لتهمس بألم مبرح " لاتذكري احمد اتوسل اليك لاتذكريه ... ليس الليلة ... لااستطيع التحمل !"

ردت نجوى وغضبها يتصاعد " افيقي شهد ... لافرسان في هذا الزمان ... افيقي من استسلامك لضعفك البغيض وتخاذلك المقرف !"

خنقتها شهقة بكاء وشعرت بالظلم يحيطها من كل جانب فهدرت قائلة لاختها الكبرى " انت تتهمينني بهذا يا نجوى ؟!! و ماذا عنك ؟!! انت ايضا لم تفعلي شيئا لحياتك فلماذا تهاجمينني بقسوة هكذا وتعرّين ضعفي دون شفقة او رحمة ؟"

رفّت عينا نجوى بينما تجمدت ملامحها للحظات ثم قالت بصوت ميت " ربما لاني اريدك ان تفعلي ما عجزت عن فعله انا ! "

شاب الألم نظراتها بعد ان استكانت ملامحها وهي تضيف بأسى " ربما لاني تماهلت فاستكبرت حتى عجزت ! اصبحت جزءا من جدران هذا البيت حتى بات سجني روحيا لايتحدد بابعاد مادية .. وربما لانك تملكين ما لااملكه اختي .."

هطلت دموع شهد واكتنفها ألم بطعم مر كالعلقم ، نظرت لبؤس اختها الذي يعكس بؤسها او يزيد ! نظرت لتلك الملامح التي حملت اليأس باكثر معانيه وضوحا .

ترى ماذا ينتظرهما بعد ؟! ماذا يخبئ لهما المستقبل ؟!

استندت شهد لحوض التغسيل بارهاق بينما تتساءل بألم " لماذا نحن هكذا نجوى ؟ لماذا نعاني كل هذا الظلم ؟ ماذا فعلنا لنستحق هذا الامتهان لقيمتنا "

اجفلت الاختان وصوت مؤيد يأتيهما من خلف الباب المغلق ليقول بلهجة تميزان الغضب المكبوت والغيظ المتفاقم " شهد ... نجوى ... ماذا تفعلان بالحمام ؟!"

ابتلعت شهد ريقها واخذ قلبها يخفق هلعا وهي تنظر لنجوى وتكاد ان تنهار !

سارعت نجوى لتدارك الامر فردت على اخيها قائلة بلهجة تتعمد التذمر " شهد افسدت زينتها ! وانا احاول اصلاحها .. خمس دقائق وسنأتي .."

صمت بسيط تبعه صوت مؤيد قائلا بلهجة مبطنة بالوعيد " حسنا تعجلا ..."

ما ان ابتعدت خطواته لتختلط باصوات المدعوين حتى قالت نجوى وهي تنظر لاختها بجمود " تسألين ماذا فعلنا يا شهد ؟ انه شيء لم نفعله بل قدر كتب على جبيننا يوم ولدنا اناثا لتحتضننا جدران هذا البيت فتكون شاهدا على عجزنا "

ثم اطرقت برأسها لتهمس بانكسار " لم يعد هناك فائدة ترتجى من كل هذا الكلام .. لقد تم بيعك وانتهينا .. يا خسارة !"

ثم التفت تفتح قفل الباب وهي تكمل بنفس الجمود " ساخرج قبلك .. لاتتأخري .. فأخوك سيفقد صبره قريبا ولن يتوانى عن سحبك من شعرك وامام عريسك المغفل "

ليلة باردة والحي غارق في الظلمات وقد
توزعت انارات الشارع هنا وهناك بعضها مطفئ
وبعضها خافت فكانت اخف من ان تظهر
حقيقة الوجوه القليلة السائرة مستنيرة بها ،
اصوات العرس تداعب بخجل سكون الليل
فتضفي عليه لمحة من الشجن الحزين ،
الصورة كلها محزنة لمن يراقب من بعيد
ولايشارك العرس المقام في ذلك البيت
القديم المتهالك كارواح قاطنيه .

اثقل السكون الغالب صوت لهاث خائف
وخطوات مسرعة يكتمها الاسفلت !

تركض بثوب زفافها الابيض وطرحتها تتطاير
حولها بينما تكتم نشيجها بكفها ، اين
تقودها خطواتها المتعثرة ؟ لاتعلم ..

انها فقط تركض .... تركض .... والنشيج
يتصاعد مع تصاعد حيرتها عن اي اتجاه
ستسلك ليتصاعد ادراكها و رعبها من هول
فعلتها التي لاتغتفر !

ما هذه الشجاعة الواهنة التي واتتها فجأة ؟!
ولماذا الان ؟! واي غباء جعلها تقدم على هذه
الخطوة دون ان تضع ولو تصور بسيط لخطوات
قادمة !

انها فقط تركض غير مدركة لوجهتها ،
تركض وهي تشق هذه الظلمة وكأنها ترمي
نفسها في غيابتها.. تستجير بها لتخبئها ..
لتحميها .. لتضلل العيون عنها.. عسى ان
ينتسوها .. يتركوها لشأنها .. لتعيش ... فقط
تعيش كانسانة ...

حركة من جوف هذه الظلمة داهمتها فشهقت
بقوة وهي ترتطم بجسد احدهم ثم همس
غامض كبهيم الليل

" يبدو اني يجب ان اتعود على التقاطك وانت
تركضين في الشارع بوضع مثير ؟"

الفصل الثالث

تراخت ساقاها واوشكت ان تقع ارضا لولا امساكه بها من مرفقيها ، همست بتراخ وضعف مذهول " اسامة ؟!"

رد بصوت حازم رغم سخريته الواضحة " اذا كنت ستفاجئيني بالقول انك تركضين في الشارع بثوب العرس هاربة من زواج حقير كهذا فتعالي معي حالا قبل ان اغير رأيي .."

ما زالت تستند اليه وعيناها يغشاهما ضباب كثيف لاتعلم هل هي دموعها ام انها على وشك الاغماء !

همست بتشتت واحساس متأخر بالبرد يتسرب اليها " ماذا ؟! لا .. افهم .."

تطلع اسامة يمينا ويسارا فارتاح لخلو الشارع الكئيب من الناس ولو لهذه الدقائق فقط ..

قال بحزم اكبر " تعالي واركبي سيارتي شهد ، سيأتون للبحث عنك في اية لحظة ، خطوتِ الخطوة فاكمليها .."

رفعت وجهها اليه تحاول استعادة التركيز وهي تنظر لملامح وجهه القاسية فلا تمنحها اطمئنانا ! لكنها كانت تتعلق بقشة ! اي قشة مهما كانت ... فلم تشعر الا وهي تهز رأسها ايجابا واليأس يوهنها اكثر ..

تركت له قيادتها بضع خطوات وهي تتعثر باطراف ثوبها ثم فجأة توقفت وهي تطلق آهة متوجعة فسألها بصوت منخفض حانق " ما بك ؟! اخفضي صوتك بالله عليك .."

قالت بألم وهي تعجز عن متابعة المشي " انا حافية القدمين ! لقد جرحت نفسي .. مرة اخرى وربما .. انفتح نفس الجرح القديم !"

اوشك ان يضحك لولا الوضع الذي هما فيه قال وعيناه تراقبان الشارع حولهما " الا تستطيعين متابعة السير ؟ انها بضع خطوات فقط "

نزلت دمعة تتبعها دمعات بينما تنظر اليه بعجز ! شتم بينما تناهى لمسامعه اصوات قادمة فلم يتماهل لينحني ويرفعها بين ذراعيه ، كان ممتنا لاستسلامها وسارع لقطع الشارع وهو يحملها حتى وصل سيارته على الجانب الآخر ، فتح قفل سيارته بجهاز التحكم عن بعد ثم توجه بشهد ليفتح الباب بجانب مقعد السائق واجلسها عليه باعتناء !

التف بخطوات متعجلة حول السيارة ليركب في مقعده ودون ابطاء شغل المحرك وانطلق .

تميل برأسها جانبا حتى استندت بجبينها على زجاج النافذة البارد ، تضم اناملها لباطن كفها في قبضة متراخية تضعها على فمها وكأنها تخنق عبراتها بينما قبضتها الاخرى مضمومة بنفس الوضع على حجرها ، طرحتها انسدل جزء منها على جانب كتفها بدلال حزين .

نظراتها التائهة تستقر على نقطة وهمية بعيدا عنه .. بعيدا عن كل ما يحيط بها

وكأنها ما زالت تركض هاربة في جوف الليل تهرب دون ان تعرف وجهة هروبها .

الصمت مخيم منذ انطلاقهما وحتى عندما اخذ جسدها يرتعش لم يكلمها فقط اكتفى بتشغيل تدفئة السيارة ليهدأ ارتعاشها الصامت بعد بضع دقائق ..

لكن هذا الصمت لم يستمر اكثر عندما عبس اسامة فجأة وهو يسأل ببعض الحدة " هل .. عُقِد القران ؟"

لم تلتفت نحوه فقط همست " لا .."

ابتسم ابتسامة واسعة وعيناه تلمعان بشدة وهو يقول ساخرا " اذن ... فاجأتني ...!؟"

ماذا رد اسامة ؟ لاتعلم !! تداخلت الكلمات مع بعضها فيصعب تفسيرها ! مع انها ادركت ان اسامة سألها سؤالا وهي ردت عليه لكن .. ماذا كان السؤال بالضبط ؟!!!

كما كان عقلها بطيئا في استيعاب الكلمات كانت عيناها اكثر تباطؤا وهما تلتقطان محيطها ، عجّت الشوارع بالسيارات والناس ، كان الزحام شديدا ، تساءلت بغباء لماذا جاء بها اسامة عبر هذا الشارع المكتظ ؟! ثم وبانتقالة غريبة في افكارها حدثت نفسها " عدنان لم يكن يحب الزحام ولا الضجيج ولا .. الناس !"

انغمست افكارها بشكل عجائبي في حياتها السابقة مع عدنان ! كيف كان يكلمها بفظاظة ويعاملها بدونية ، كان متفضلا عليها لانه اخرجها من دائرة العنوسة !

كانت تبتلع اهاناته الضمنية هذه وتصبر نفسها ، تحاملت على كل شيء وهي تراضي النفس او ربما تخدعها انها بوضع افضل من بقائها في بيت عائلتها حيث لااحترام لقيمتها كانسانة ، انسانة بتعريف انثوي مستعبد .

عدنان كان يكره الزحام وكان يتعلل بهذه الاسباب حتى لايخرجا معا ، لقد تعلل باسباب كثيرة لكي لايفعل اشياء كثيرة !

عجزت عن تغييره ، عجزت عن بذر العشرة الطيبة ليعاملها بالحسنى دون امتهان .

حتى ... حتى ... حملها بطفله لم يجعله يتغير لم يجعله قادرا على منحها بعض الرقة في التعامل .. فقط القليل .. القليل كان سيكفيها.

دمعة تتسابق مع اخرى لتسيلا على خديها تشكوان بصمت شعورا بالألم .. ألم ذكرى طفل فقدته ما ان ولد .. طفل كانت تشتاق اليه وهو ينمو في احشائها يوما بعد يوم .. ساعة بعد ساعة .. فينمو الامل بانتظار اشراقة رؤيته وضمه لصدرها..

صغيرها المسكين ولد منقوصا ، رئتاه الصغيرتان لم يكتمل نموهما لتسعفاه في استنشاق الهواء وهو يواجه الدنيا لاول مرة خارج مأمنه في رحمها ..

خسرته وخسرت معه اي امل مع زوجها الذي تباعد عنها وهي تعاني ألم الفقدان وكأنه يحملها مسؤولية موت الطفل في انتقاص جديد لكينونتها !

اصبح عدنان اكثر جفاءا وقسوة ، اخذ يشعرها صراحة بانتقاص في انوثتها ولم يتوانى عن مصارحتها بملله منها ومن عشرتها .

وانتهى الامر نهاية مفجعة عندما عادت يوما للبيت حاملة اكياس التسوق لتتفاجئ باصوات قادمة من الطابق العلوي ! لازالت تذكر كيف قادتها قدماها بارتجاف لتستكشف مصدر هذه الاصوات ، احساس غريب صور لها القادم يحاربه احساس اخر يرفضه ! لم تفكر للحظة انه هناك لص او ما شابه ، بدا الامر واضحا فجأة حتى قبل ان تراه بأم عينها !

عدنان يخونها على فراش الزوجية ... هكذا ببساطة كانت الصورة تعبر عن نفسها وهي تراه يعاشر امرأة على سريرها هي !

خرجت عن صمتها المصدوم ليجن جنونها وهي تصرخ به بهستيرية ، لازالت تذكر هدوءه الشديد وهو يغادر السرير عاريا ليرتدي ملابسه على مهل بينما (امرأته) اكتفت باستلقائها تنظر باهتمام شديد لاظافرها المطلية بلون فاقع !

وبدلا من شعور بالخزي لفعلته سألها بعنجهية ما الذي ارجعها باكرا ؟!! عندها فقط جاءتها صحوة كرامة ! فاوقفت هستيريتها لتطالبه بالطلاق وهي تشمخ بكبرياء جريح ، للحظة فقط كانت تريده ان يرتبك .. ان يتحايل عليها ... ان يدعي طلب الغفران .. ان يبدي بعض التمسك بها ...

لكن ... كل ما حصلت عليه صفعة من كفه اسقطتها ثم وبكل بساطة رمى عليها اليمين وكأنه لم يصدق !

وهكذا عادت لبيت عائلتها تتجرع مرارة جديدة .. مرارة الفشل ، مؤيد حاربها لتعود لعدنان وامها تهون الخيانة وهي تقول لها ان الرجال غير النساء ولذلك يجب التغاضي عن بعض الهفوات ! بينما نجوى تطالعها بنظرات الاشمئزاز...

واوشكت على الرضوخ وهي ترى امها تبكي وتتوسل لها العودة لزوجها ومؤيد يهددها الطرد ، ولكن القدر سبقهم جميعا .. عدنان مات ...

انقلبت به السيارة على منحدر خطر لينكسر عنقه ويموت .

لازالت تذكر وجه مؤيد المغتاظ وهو يقول لها " ألم تستطيعي الصبر قليلا يا غبية ؟!!"

لم تشعر بنفسها الا وهي تضحك بخفوت ثم علت ضحكاتها ليلتفت نحوها اسامة يرمقها بنظراته ثم يعود لتركيزه على الطريق دون ان يبدي اي ردة فعل حتى انه لم يتفاجئ باختلاط ضحكاتها بشهقات البكاء اخيرا .

هدأت ليتوقف الضحك والبكاء واستكانت لتعود لنفس النظرات التائهة !

لم تبدي اهتماما لتوقف اسامة وهو يركن سيارته على جانب الطريق ، ترجل اسامة دون ان تشعر بتحركه او تتنبه لوجهته ، بعد وقت طال او قصر اجفلها طرق على نافذتها فرفعت رأسها المسند الى الزجاج لترى صورة ضبابية لاسامة وهو يشير اليها ان تبتعد قليلا ، نفذت ما قاله دون تفكير فتفاجأت بفتحه لبابها وهبوب الهواء البارد غامرا اياها بقسوة وكأنه يصفعها !

ارتجفت من البرد بينما تطايرت طرحتها لفت ذراعيها حولها بحركة غريزية تلتمس الدفء ، لكنها اخذت تشعر بعودة غريبة للانتماء الى الواقع فاخذت تنظر لوجه اسامة المتململ وكأنه ينتظر هذه العودة !

لكنها ظلت تنظر اليه ولم تسعفها الكلمات وهي تتخبط وتتبعثر في داخلها دون ان تلملم نفسها لتكون جملة مفيدة !

تنهد اسامة بضجر واضح ثم فاجأها بأن انحنى ليجلس القرفصاء امامها على الرصيف ثم تنبهت لكيس يحمله لتراه يخرج منه اولا غطاء صوفيا رماديا فتحه بعناية والقاه على حجرها ! لم ينظر اليها للحظة وهو يفعل هذا بينما ارتفع حاجبا شهد ورمشت عيناها .

راقبته بانشداه وهو يبحث في الكيس وكأنه حاو سيخرج المزيد من المفاجآت !

وها هو الحاوي يخرج لفافا طبيا ناصع البياض واخر لاصق ثم اخرج قنينة معقم للجروح ،

وبكل بساطة رفع عينيه اليها ليقول بهدوء " اعطني قدمك المجروحة شهد "

لاتعلم الشهقة من اين خرجت بالضبط ولا عن اي شيء تعبر ! لكنها واصلت النظر لوجه اسامة الغامض التعابير وهي عاجزة عن التفاعل !!

بنفس الهدوء والغموض قال " صدقيني ليس مغريا التحرش بك حاليا ، اعطني قدمك لاعالجها فلن اقضي الليل احملك من مكان لآخر !"

باحساس مضحك غريب لألفة غير عادية تفرضها علينا الحياة في ظروف اكثر غرابة حركت ساقيها لتخرج قدميها وتضعها على حافة السيارة السفلية

احنى اسامة راسه ودون تردد امسك بقدميها الواحدة تلو الاخرى يتفحصهما بعناية وكأنه طبيب او كشخص اعتاد على فعل ذلك !!

اما هي شهد فشعورها مختلط بينما سؤال يضج به عقلها " ماذا افعل هنا ؟!!"

سمعت صوته اجشا وهو يقول " ارفعي فستانك قليلا يا شهد انه يعيق عملي "

فعلت ما طلب دون تفكير ، اوجعها الجرح وهو يعقمه فاغمضت عينيها وزمت شفتيها وهي تكتم الألم بينما اسامة يضمد جرح احدى القدمين ويكتفي بوضع لاصق صغير على جرح الاخرى .

فجأة شعرت انه يلبسها شيء في قدمها ففتحت عينيها لترى (الحاوي) قد اخرج خفا جلديا ابيضا من كيسه ليلبسها اياه ، همست بحرج " ما.. ماذا .. تفعل ؟!"

رد وهو يلبسها الخف الآخر " البسك خفا طبيا حتى لايضغط كثيرا على جرح قدمك وانت تسيرين "

ثم رفع عينيه نحوها ليغمز بعبث قائلا بسخرية " وربما احببت ان العب دورا في نسخة ساخرة رديئة من حكاية سندريلا ، لكني للاسف لا اشبه اميرك المنقذ "

تشوش ذهنها من تلك النظرات وذلك المعنى الغامض الذي يغلف كلماته ، قالت بصعوبة " ماذا ... تقصد ؟!"

لم يرد وهو يحني رأسه ليلملم اشياءه ثم يقف برشاقة على قدميه وهو يقول باسلوب عملي " علينا ابدال ملابسك هذه لانها ستجذب الانظار .."

حدّقت فيه واخذت عيناها تتسعان بشدة وهبت فجأة رياح الخوف العاتية مع ادراك وضعها ، فها هي هاربة من بيتها بفستان الزفاف تاركة مؤيد يتعامل مع (عريسها) بينما هي هنا مع اسامة !! اسامة الذي لاتعرف كيف ظهر لها من عمق الظلمة لياخذها بعيدا .. بعيدا ... ولكن الى اين ؟ وهل ستكون بعيدة عن مؤيد وانتقامه منها ؟؟!!!

قال اسامة بثبات " تماسكي ! الموضوع انتهى لافائدة من الخوف الآن ، عليك ان تكملي مشوارك فيما اخترته ولو انك تأخرت كثيرا ببدأ هذا المشوار "

ارتعش راسها وهي تنظر اليه وتقول برعب " مؤيد سيقتلني ، لن يتوانى عن قتلي "

كزّ اسامة على اسنانه وهو يرد عليها " مؤيد اكثر جبنا وحبا لذاته من ان يورط نفسه ويقتلك ! قد يؤذيك نعم ولكن حتى الاذى لن يقدم عليه الا اذا ادرك ضعفك وشم رائحة خوفك منه .."

وبهدوء شديد ابتعد خطوة للوراء ليغلق بابها
لكن عيناه لم تفارقا وجهها الجامد بفعل
الرعب .

ما زالت في ثيابها السخيفة المبهرجة التي
لبستها لعرس اختها تنظر لنفسها عبر المرآة
لتدقق النظر بتفاصيلها ، اعتادت فعل ذلك
لكن هذه المرة لم تكن تنظر بامتعاض
لبشرتها ذات السمرة المنفرة ولا لعينيها
الجاحظتين القبيحتين وانما تنظر لروحها
علّها تجدها اذا بحثت عنها جيدا في المرآة !

لاتعلم لم اختارت غرفة امها ! هل تلتجأ لروح
تلك الام ام تبحث في رائحة شهد عن
السلوان ؟!

لماذا لاتشعر بالغضب من شهد ؟ حتى انها
لاتشعر بالغيرة ؟!! الا يفترض ان تكرهها
لانها اقدمت على الهرب ؟ الايفترض ان تحقد
عليها مرة اخرى لانها تحررت ؟

لا .. انها ليست غاضبة وليست غيورة ... انها
خائفة .. مرعوبة ... خائفة بطريقة لم
تشعرها سابقا !

ما مصير شهد الان ؟ والى اين ذهبت ومن سيلتقطها في هذا الظلام وماذا سيفعل بها ؟!

باب الغرفة فتح بعنف لتطل الهيئة الغاضبة لمؤيد ، بدا العنف رفيق نظراته وهو يحدق في نجوى !

شمخت كرد فعل اعتادت على افتعاله وارادت ان تفحمه بجملة عندما سبقها قائلا " الفضيحة ستقتات على سمعتنا في الحي كما تقتات النار اللاهبة على بيت خشبي قديم نخرته الارضة !"

لم تجرؤ على القول انه هو (الارضة) التي نخرت هذا البيت ! اقترب منها مؤيد وهو يقول بصوت كالفحيح " لاخر مرة اسألك .. اين ذهبت شهد ؟"

هذا السؤال ظل يردده مؤيد طوال الليل وهو يتحرك ببلاهة وصدمة هنا وهناك كأمرأة ثكلى تولول وتنتحب بينما قابله ذلك العريس المتصابي بولولة اكبر على ليلة عرسه التي خربت !

بديا كمهرجين في مسرحة هزلية وسكان الحي هم الجمهور المنبهر وقد جحظت عيونهم دون ان ترمش خوفا من افلات ولو تفصيلة واحدة من هذا العرض الحي النادر لسخريات القدر !

بعدها انفض الجمع بخروج مؤيد ليبحث عن اخته الفارّة واما العريس فقد تمكنت ام سعيد من محاوطته بمخالبها الناعمة وهي تعده بعروس اجمل من شهد واصغر سنا !

عادت نجوى لتنظر لاخيها .. شقيقها الذي حمله نفس الرحم الذي ضمها وضم اختها شهد ! لكن الرحم الذي استلهم اسمه من معناه لم يمنح كل الاجنه رحمة يتشاركوها بينهم وعجبا لمن يجمعهم الرحم والدم لتفرقهم المطامع والاهواء ! ترى ... هل مؤيد تكون من خلل جيني ؟ هل نما كزرع شيطاني ليخرج للحياة ناثرا غباره الاسود فيلتصق كصخام قذر على وجه شقيقاته ؟؟

علا صراخه وهو يهدر " اجيبي على سؤالي وكفي عن نظرات المجانين هذه التي ترسلينها نحوي .."

نظرت اليه نجوى باشمئزاز ثم قالت بقرف " المجنون هو انت ! انظر لوجهك وانت تبدو كالمعتوه الهارب من مستشفى المجانين ! الا تستطيع التصرف كرجل ولو لمرة واحدة ؟! تقبل خسارتك للصفقة يا شقيقي فشهد رحلت ولن تعود .."

حالما افلتت منها الكلمات ادركت متأخرة انها تجاوزت الخط الاحمر الوهمي الذي تضعه بينها وبينه منذ سنوات ، الخوف التمع في عينيها لتلتقطه عيناه !

ابتلعت ريقها ونظراتها تنسحب من وجهه الذي تغيرت سحنته ليديه وهما تحطان على قفل حزامه ، رأته كيف يفتح الحزام ببطئ شديد متعمد وما ان انفتح حتى اخذ يسحبه بنفس البطئ من بنطاله .. قال بصوت مرعب " ساريك شقيقك كيف يكون حقا عندما يصبح مجنونا ؟"

نظر اليها وهي تخرج من غرفة القياس بتنورة زرقاء وبلوزة صوفية بنية اللون ، خطواتها متلكئة و نظرة الضياع ما زالت تلوح في عينيها بينما حمرة الاحراج كست خديها .

قال اسامة بلطف " هذه الملابس تليق بك "

تطلعت نحوه وقالت باضطراب وهي تلامس خصلات شعرها " لااعرف ما الذي افعله هنا ؟! هل جننت ام اني في كابوس ؟"

ضحك اسامة بخفة ثم قال بصوت منخفض " ببساطة انت تتقبلين مساعدتي لك وهذا ذكاء منك "

حدقت في عينيه مباشرة فعجزت عن فهم نظراته ليقول بعدها بغموض " لاتفكري كثيرا ، كل ما هنالك كان عليك خلع فستان العرس لتتحركي دون قيود .."

كانت تعاني من صداع رهيب ،اخذت تملّس على جبينها وهي تسأله بتشتت " ماذا سافعل الان ؟! الى اين سأذهب ؟ ليس لدي نقود ولا ملابس ولا حتى هوية تثبت شخصيتي ! لا شيء على الاطلاق !!"

صمتت للحظة ثم تابعت وقد بدأت تفقد تماسكها الهش ليملأها الرعب مرة اخرى " اين سأذهب ولمن سألتجأ ؟! اين سأمضي ليلتي ؟!!"

رد ببساطة وهو يضع يديه في جيبي سرواله " هل تتصورين اني ساتركك وسط الشارع في هذا الوقت من الليل واكتفي بشراء ملابس لك ؟"

ارتجفت يدها وهي تضعها على فمها وتقول " اسامة .. انا .. ندمت .. ربما من الافضل ان .."

قاطعها اسامة ليقول بهدوء متجاهلا جملتها الاخيرة " الليلة ساحجز لك في فندق اعرفه ، ارتاحي وغدا سنتكلم .."

حدقت فيه وقد بدت عيناها واسعتين جدا وسط ملامح وجهها المرتعب لتهمس بهلع " انا .. خائفة .. خائفة جدا "

ظلا يتطلعان لبعضهما لايفصلهما الا خطوتين لكن تقارب غريب لفّهما في تلك اللحظة ..... رباط خفي امتد بينما اسامة يقول بصوت اجش " اعلم هذا .. صدقيني اعلمه جيدا "

وجدت نفسها تقول بهمس " كيف سارد لك المال ؟"

رد وما زالت عيناه تتطلع لعينيها " غدا سنتكلم .."

سألت بضعف فبدت كطفلة تائهة " كيف ساحجز في فندق ولا هوية تثبت شخصيتي .." قال بثبات وعيناه تضيقان قليلا " لي معارف كثيرين وعندما اطلب حجز غرفة لن يسألوا عن هويتك يكفي ان يعرفوا انك من طرفي .."

انها لاتفهمه .. لاتفهم نظراته .. ولاتفهم ما يجري لها !!

ريبة .. تساؤل.. خوف.. حاجة للمعرفة... حاجة لايجاد تفسير .. اشياء كثيرة ربما متناقضة ولكنها كلها تدعوها لسؤال واحد " لماذا تساعدني اسامة ؟ انت تعرض نفسك للكثير .. هل تدرك هذا ؟"

عندها فقط ... اختار ان يتراجع لتعود ابتسامة ساخرة تلوح على شفتيه وهو يسبل اهدابه قائلا " انت تسألين كثيرا شهد .. "

ثم فجأة رفع عينيه اليها لتصعقها نظراتهما الغريبة ! ليست نظراته فحسب وانما تعابير وجهه ايضا ، بدا غريبا .. مطالبا بشيء لا تفهمه منتظرا لاشارة لاتعرف ماهيتها ! كان هناك .. يقف قريبا وبعيدا .. مخيفا !

همس " لاتخافي مني .." رمشت بينما اختار ان يستدير في تلك اللحظة ليتحرك مبتعدا عنها وهو يقول بنبرة ساخرة " هيا بنا .. صاحبة المحل تتململ في وقفتها هناك ولاتعرف هل سنشتري الملابس ام لا .."

ارتعشت وهي تخطو خطوة خلفه هامسة باضطراب " و... فستان العرس .. ماذا افعل به .."

توقفت خطواته لتتوقف خطواتها هي ايضا ودون ان يلتفت نحوها قال بغرابة " دعيه حيث هو ... لم يعد يمت اليك بصلة "

دخل اسامة شقته الفاخرة وهو يشعر بالتعب الشديد ، رانت عيناه للساعة على الحائط فوجدها تشير الى منتصف الليل .

تحرك راميا سلسلة المفاتيح ذا الميدالية الذهبية على منضدة جانبية ثم قادته خطواته للاريكة الجلدية الكبيرة ليرمي جسده عليها باهمال مستلقيا على بطنه ، اغلق جفنيه بتراخ بينما ابتسامة صغيرة تداعب ثغره !

رن الهاتف الارضي فعبس قليلا قبل ان يرفع جسده قليلا ليمد يده ملتقطا سماعة الهاتف القريبة .

قال بارهاق واضح " من معي ؟"

صوت انثوي رد بعصبية " اسامة ! اين كنت ؟! اتصلت بك مرارا وهاتفك النقال مغلق "

انقلب على ظهره والهاتف على اذنه ليبتسم هذه المرة ابتسامة مختلفة وهو يثني ذراعه الآخر تحت راسه مستندا عليه ثم قال مغيظا اياها " لقد نفد الشحن من البطارية "

صوتها ما زال حانقا محتدا وهي تسأل " اين كنت ؟"

عبس قليلا وهو يقول لها بحزم متعمد " لااحب سؤالك لي بهذه الطريقة "

نبرات صوته اعتادت عليها واصبحت تتقن تفسيرها فتراجعت الحدة ليحل اللين وهي تهمس برقة " أعتذر حبيبي .. لكني قلقت عليك "

رفع حاجبا واحدا والابتسامة تعود وهو يقول بشقاوة " من حسن حظك ان مزاجي رائق هذه الليلة ولذلك اسامحك ؟"

ارتاحت قليلا لعودة مزاجه المتفكه لتسأل بنفس الرقة " وما الذي جعلك في هذا المزاج ؟"

اطلق صوتا صغيرا دلالة الرفض ثم قال " سؤال خاطئ ! يفترض ان تسألي (ما الذي انتَ مستعد لفعله وانت بهذا المزاج ؟) "

ضحكت بينما اضاف بصوت مستمتع " ما رأيك ان تحضري لشقتي الان ؟" هتفت به تدعي الحنق " اسامة !"

لم يلتفت لدلالها بل اكمل بصوت اجش " لي رغبة بأن ترقصي لي "

عادت لتضحك وهي تقول " انت مجنون الليلة بشكل غير عادي !"

قال ساخرا " مجنون لاني اريدك ان ترقصي لي ؟"

ردت بسحر انثوي " مجنون لانك تظن اني قد آتي اليك في جنح الظلام لمجرد ان ارقص لك " ساد صمت بسيط قبل ان تضيف بثقة " قد افعلها ! ولكن ... بعد الزواج اما قبلها ... فلا ..."

الفصل الرابع

" اسامة !؟ اين سرحت ؟!! "

صوت سهر نبهه لصمته في توقيت لايصح معه الصمت ، قال بنبرة ناعمة " سرحت بليلة الزفاف .."

جلجلت ضحكاتها المبتهجة ليقول لها مداعبا " يسعدني ان ليلة الزفاف تثير فرحك هكذا "

ردت من بين ضحكاتها " لافائدة منك .. قلة حيائك هذه اعتدت عليها .."

ابتسم بهدوء بينما اضافت سهر تساله بفضول انثوي " لم تقل لي اين كنت ؟ حتى لو نفد الشحن من هاتفك لديك شاحن في السيارة كما انك لم تعد للبيت لاني كنت اتصل كل ربع ساعة .."

رد هازئا " هل تراقبين تحركاتي كمحقق جنائي فضولي ؟!"

عبست وهي تقول بامتعاض " انا خطيبتك اسامة ولست محقق !" صمتت للحظة ثم اضافت بنبرة شابها تساؤل مريب " رغم اني لااعرف لم لاترتدي الخاتم الذي يعلن عن ارتباطنا هذا ؟!"

شعر بالملل ونفس الموضوع يتكرر ! حتى مزاجه الرائق بدأ ينحرف نحو الضيق .

قال ببعض البرود " الارتباط لايحتاج لخواتم ، تجاوزي هذه الشكليات التي لاأومن بها ، قلتها لك سابقا وساعيدها مرة اخرى ، انا لاارتاح لارتداء خاتم خطبة او زواج ويكفي اني البستك خاتما مبهرا يكفي كاعلان لنا نحن الاثنين " شعر بتغير تنفسها فعلم انه اثار ضيقها لكنه تابع " ما الذي يهمك فيما ارتدي انا اصلا ؟! لااحب ان نعود لنفس الموضوع مرة اخرى ولو تلميحا "

تحشرج صوتها وهي تقول " حسنا اسامة ، لن اضايقك بهذا الموضوع مرة اخرى "

قال بهدوء " انا مرهق جدا واحتاج ان انام لان لدي عمل مهم منذ الصباح الباكر ، تصبحين على خير "

ردت باحباط وهي تمنع نفسها من البكاء " تصبح على خير حبيبي "

اغلق السماعة قبل ان تغلقها هي فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير ! لم تشعر الا بدموعها تهطل بينما تعض شفتها غيظا وقهرا .

مالت بجذعها لتستلقي على سريرها وهي تمسح دموعها بضيق وفجأة تذكرت شيئا لتهمس بحيرة " لم يخبرني اين كان ! "

ما ان اغلق اسامة سماعة الهاتف مع سهر حتى تناول هاتفه النقال من جيبه ، كان قد وضعه على خيار وقف شبكة الاتصال متعمدا منذ خروجه من مكتبه عند المغرب ، لم يكن يريد استقبال اي مكالمة وهو يتوجه نحو ذلك الحي الكئيب ليراقب من بعيد كيف يجري حفل الزفاف البائس .

اعاد خيار تشغيل الشبكة واخذ يبحث عن رقم هاتف احدى العاملين المناوبين هذه الليلة في الفندق الذي حجز فيه لشهد كي تبيت ليلتها ، القلق ما زال يساوره ان يغلبها خوفها وتعود صاغرة لاخيها .

احساس لذيذ يتملكه كلما فكر باحداث الليلة ، لم يكن يحلم وهو يقف في ظلمة ذلك الشارع انه سيرى شهد تركض هاربة من حفل الزفاف !

لقد سبق وراقب قبل سنوات ومن بعيد ايضا زفافها الاول على ابن خالتها عدنان حتى رآها تخرج من بيت عائلتها كسيرة تقطر ألما وحزنا بينما عدنان يسحبها من مرفقها بابتسامة متفاخرة ليركبها سيارته الفخمة ، كان من حق عدنان التفاخر وهو يحظى بشهد ! ليلة طويلة قضاها وهو يتخيلها بين ذراعي عدنان ويتخيل كيف سينسيها عريسها المتلهف الرجل الذي احبته .

تصلب فك اسامة بقوة ثم اجبر نفسه على الاسترخاء وهو يفكر ان الظروف هذه المرة ساعدته وناصرته ليجعله في طريقها في التوقيت الصحيح ، فماذا سيحصل لو لحق بها اخوها او الاسوأ .. ماذا سيحصل لو التقطها غيره ؟

اخذ عدة انفاس قبل ان يضغط على الرقم المطلوب ليتصل ....

انهى المكالمة برضا عميق ، العامل اخبره ان شهد تغط في نوم عميق بناءا على كلام احدى المنظفات التي جعلها تتسلل خفية لتدخل غرفة شهد وتطمأن عليها .

القى اسامة هاتفه جانبا ووقف على قدميه ليتحرك بخطوات مسترخية نحو الشرفة العريضة المطلة على الشارع .

واقف في شرفته عند الطابق الرابع مغمض العينين مستندا بكفيه على السور الحجري الانيق ، لم يستهوه النظر للشارع الساكن في هذا الحي الراقي فكل ما يحتاجه الان صفعات الهواء البارد هذه لتنعشه وتستفز جريان دمه فيشعر بالتجدد في خلايا جسده ، همس لنفسه بابتسامة تحمل الكثير من المعاني " حان الوقت .... "

اغلق الشيخ يحيى باب المسجد وتأكد من قفل الباب قبل ان يستدير ناحية الشارع ليغادر ، زرر معطفه الداكن ليتق هبات البرد ، رفع يده لينظر لساعته فوجدها قد تجاوزت منتصف الليل ، تبسم وهو يفكر بزوجته التي ستؤنبه مرة اخرى لتاخره في العودة ، عليه ان يراضيها الان وربما سيفرحها ان تعرف ان حصاد اليوم من التبرعات للاسر المتعففة افضل من حصاد الامس .

تناول مسبحته من جيبه وهو يتخذ طريقه نحو منزله ، كان يدمدم بتسبيحاته وهو يمشي الهوينا على الرصيف اذا صح اعتبار هذه الارتفاعات الوعرة غير المتناسقة (رصيفا) فعلا !

كل شيء في هذا الحي يحتاج للصيانة كانوار الشارع البائسة هذه التي تراوحت بين الانطفاء والخفوت ، عليه ان يتكلم مرة اخرى مع رئيس الحي علّه يقنعه بتقديم طلب لمنحة مالية من المحافظ مرة اخرى .

تنهد الشيخ يحيى وهو يفكر ان الناس هنا ايضا تحتاج لل(صيانة) ! منذ انتقاله الى هذا الحي بوظيفة مؤذن وامام المسجد قبل عام تقريبا وهو يحاول جهده معهم ، لكنهم لايرون فيه الا رجلا عاديا متوسط الطول والبنية بلحية شابها الشيب وقد تعدت سنيّ

عمره الخمسين ، هيئة مناسبة ليكون شيخ المسجد يصلون خلفه احيانا عندما يؤذن للصلاة !

هبّة باردة جعلته ينكمش على نفسه ويعجل خطواته ليصل بيته حيث الدفء ، رقّ قلبه وهو يفكر بمن لابيت له ولادفْ يحظى به ، دعاء اخذ لسانه يلهج به " اَللَّهُمَّ أدْخِلْ عَلى أهْلِ الْقُبُورِ السُّرُورَ اَللَّهُمَّ أغْنِ كُلَّ فَقيرٍ اَللَّهُمَّ أشْبِعْ كُلَّ جائِعٍ اَللَّهُمَّ اكْسُ كُلَّ عُرْيانٍ اَللَّهُمَّ اقْضِ دَيْنَ كُلِّ مَدينٍ اَللَّهُمَّ فَرِّجْ عَنْ كُلِّ مَكْرُوبٍ اَللَّهُمَّ رُدَّ كُلَّ غَريبٍ اَللَّهُمَّ فُكَّ كُلَّ اَسيرٍ اَللَّهُمَّ أصْلِحْ كُلَّ فاسِدٍ مِنْ اُمُورِ الْمُسْلِمينَ اَللَّهُمَّ اشْفِ كُلَّ مَريضٍ اَللَّهُمَّ سُدَّ فَقْرَنا بِغِناكَ اَللَّهُمَّ غَيِّرْ سُوءَ حالِنا بِحُسْنِ حالِكَ اَللَّهُمَّ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأغْنِنا مِنَ الْفَقْرِ إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ "

وما زال لسانه يردد هذا الدعاء حين تناهى الى مسامعه صوت بعيد لصرخات واستغاثة ! رجح انها لامرأة ، اسرع بخطواته يرهف السمع بين البيوت القديمة يحاول معرفة مصدر هذه الاستغاثات المؤلمة ، لم يمض وقت حتى حدد البيت ودون ابطاء توجه نحوه وهو يستعين بالله .

صباح اليوم التالي

نظر اليها ... وجهها مرتاح تماما فاسعده انها حظيت بليلة نوم عميقة رغم كل الظروف !

تمعن في ذلك الوجه الهادئ وقد خلا من اي مساحيق التجميل تحيط به خصلات شعرها الاسود ، تجلس امام احدى الطاولات المعدة ليتناول النزلاء وجبات الطعام لكنها كما يبدو اكتفت بفنجان قهوة لم تمسه شفتاها ! تنظر بشرود عبر زجاج النافذة المجاورة المطلة على مدخل الفندق ، تضع يدها تحت ذقنها وقد استندت بمرفقها على حافة الطاولة .

اعترف لنفسه ان شهد جميلة جدا ، دوما رآها جميلة هكذا ، دوما زارت خيالاته صبيا ومراهقا وشابا ... خيالات فحسب .. لم يملك الا الخيالات ...

قست نظراته وارتخت شفتاه بتعبير ساخر وهو يتفرس بها وذكريات مختلطة عنها وعنه وعن مؤيد وزليخة وعمه خليل ووجوه مغبرة من الملجئ نظراتها لاحقته في احلامه وما زالت تلاحقه ..

عاد اليه ذلك الشعور المميز اللذيذ وجملة من كلمتين يتردد صداها في نفسه " حان الوقت .. حان الوقت ..."

تقدم نحوها بخطوات متكاسلة مستمتعا باحساسه وهو يراقبها دون ان تشعر به !

قال برقة وهو يقف خلفها تقريبا " قهوتك بردت .."

اجفلت وهي تستدير نحوه فاسعده احمرار خديها وهي تقول بتحشرج " صباح .. الخير "

سحب الكرسي المجاور لكرسيها فجلس عليه بعفوية وهو يقول بابتسامة " صباح الخير .. هل نمتِ جيدا ؟"

ردت وهي تطرق برأسها " نعم .. الحمد لله .. نمت كجثة هامدة ! "

سحره النظر لاناملها الناعمة وهي تداعب صحن فنجانها بشرود ، ابتلع ريقه يحاول السيطرة على ردة فعله نحوها والحرارة تغزو شرايينه عندما هاجمته ذكرى ملامسته لبشرتها وهو يعالج لها الجرح ليلة الامس ، قال بصوت اجش " كنت مرهقة جدا وشيء جيد انك استجبت لحاجة جسدك للنوم "

لم تتوقف عن تلك الملامسة اللعينة ! انتقلت اناملها الان لحافة الفنجان نفسه تمررها ببطئ شديد لترسم دوائر وهمية ، لدهشته شعر بقطرة عرق نضحت من جبينه !

رفع يده ليمسحها بنزق وبقوة ارادته استعاد سيطرته ليقول بهدوء " يجب ان تستجيبي لحاجات جسدك الاخرى ؟"

اناملها توقفت ... جسدها تشنج او الاصح تجمد ! ردة فعلها هذه استجلبت ابتسامة ساخرة لفمه فقال " اقصد حاجته للطعام ، لايبدو انك تناولت فطورك وحتى فنجان القهوة هذا لم تمسيه "

ابعدت يدها عن الفنجان فتنفس الصعداء ثم التفتت بوجهها نحوه .

لحظة او لحظات .. كانت الافضل بالنسبة له ! اجل ... ان ينظر اليها عن هذا القرب وان تبادله النظر بتلك العينين وهي تعي تماما لوجوده ، نظراته انتقلت لشفتيها وهي تقول " اسامة .. انا احتاج للمساعدة .."

ابتسامة جانبية سبقت قوله " وانا وعدتك بها .."

قالت بهدوء وهي تحيد بنظراتها نحو النافذة مرة اخرى " اريدك ان تساعدني بايجاد عمل .. اي عمل .. كما اريد ان تجد لي مكانا اسكنه حتى ولو كانت مجرد غرفة في سكن جماعي .." التفتت نحوه والاحمرار يغزوها " هل اثقل عليك ؟ انا ... "

قاطعها وهو يسبل اهدابه قائلا " ساتدبر لك عملا في احدى المحلات واما السكن سنجد لك مكانا مناسبا فلا تقلقي .."

تنهيدة عميقة خرجت من صدرها قبل ان تقول " القلق ؟! لقد تجاوزت القلق بمراحل ! اشعر كمن يحمل كفنه على يده وينتظر موته في اية لحظة "

رد اسامة بجدية " لاتكوني متشائمة هكذا ، اعلم ان الامر صعب لكنك ستتجاوزينه " صمت قليلا ليضيف بلهجة غريبة " انا ساساعدك لتتجاوزينه .."

نظرت اليه ولم يفته هذا التساؤل الحائر والرغبة في الفهم ، بذكاء سحب تفكيرها لموضوع اخر قائلا بمرح مدروس " حسنا .. اولا سنتناول فطورنا سوية ثم ساخذك بعدها لتشتري بعض الملابس الضرورية "

قاطعته برفض شديد " لا اسامة هذا لايصح "

اكمل متجاهلا اعتراضها " لكن قبل الملابس سنذهب لاستخراج هوية تعريف جديدة لك كبدل ضائع ، لي معارف هناك سيجعلون المهمة سهلة وسريعة "

عادت لتقول باصرار " ارجوك اسمعني .. انا ممتنة لكل شيء لكن .. لاحاجة لشراء الملابس .. كنت محرجة ان اطلب منك مساعدتي باستخراج هوية جديدة لكن الملابس لا .. ارجوك لاتجعلني اشعر اني متسولة .."

عبس اسامة بشدة وخرج صوته حادا وهو يقول " اي متسولة ؟! انت بلا ملابس على الاطلاق ولااعتقد ستذهبين لبيت عائلتك الان تقولين (مرحبا انا شهد التي هربت من العرس ليلة الامس هل يمكنني فقط اخذ ملابسي ؟!) "

عضت شهد شفتيها بقوة وتقبضت يداها لتهمس بصوت مجروح " لماذا لاتشعر بي ؟! لماذا لاتدرك اني في وضع صعب جدا احاول التعامل معه .."

رفعت عينيها الدامعتين نحوه لتقول بألم " انا وحيدة تماما ، امرأة مطلقة هاربة من بيت عائلتها في ليلة زفافها الثاني ، مشردة بلا هوية ولا ملابس ولا مال ولا بيت ولا عمل ولا شهادة محترمة ولا اي شيء ! هل تعلم معنى الشعور بكل هذا الضعف والقهر ، هل تعلم كيف اشعر وانا اتصور معاملة الناس لي حالما يعرفون بما فعلت ليلة الامس ؟؟ لااستبعد ان يرموني بالحجارة حتى الموت "

تصلبت ملامح اسامة واحنى راسه قليلا ليهمس قرب راسها ببعض القسوة " لن يحصل ، انا ساضمن لك هذا ، فقط اطيعيني وكفي على الرثاء على نفسك وتقبلي مساعدتي برحابة صدر لانك لاتملكين البديل .."

مسحت دمعات هطلت وهي ترد " اسامة الامر صعب .. صعب جدا .."

رد بنفس القساوة " انت من يجعله صعبا ! يبدو انني سادفعك دفعا لتنفيذ ما اريد "

علت الدهشة ملامحها فالتفتت نحوه لتصطدم بنظراته المرعبة ! همست بعينين متسعتين " تنفيذ ما تريد ؟!!"

لمعت عيناه فجأة وتراجع قليلا وملامحه تستعيد غموضها ليقول بشبه ابتسامة " اقصد تنفيذ ما فيه مصلحتك .."

لم تجد ردا او تعليقا وقد فضحت تعابيرها خوفا مجهولا لاتدرك حتى هي كنهه !

اضاف بتسلية وهو يقف على قدميه " تعالي وشاركيني الاختيار من المائدة المفتوحة للطعام .. لدينا يوم طويل مرهق ويجب ان نأكل بعض الطعام ليسندنا "

تحرك مبتعدا دون ان ينتظرها فلم تجد الا ان تتبعه بصمت والحيرة وعدم الارتياح ترافق خوفها الغامض ...

بعد اسبوع ....

تأكدت من ترتيب شعرها وهي ترفعه بتسريحة انيقة بسيطة وخففت من احمر الشفاه الذي اجبرت نفسها على وضعه صباحا لتكون كفؤا للوظيفة كعاملة بيع في محل عطور مشهور ، وظيفة أمّنها لها اسامة بمرتب جيد في محل محترم ، لكنها وظيفة بمتطلبات معينة تختلف عن متطلبات بائعة في محل لعب اطفال عادي كما يختلف في نوعية الزبائن .

اهم هذه المتطلبات اهتمام بوضع زينة وجه تجدها مبالغ فيها عدى ارتداء هذا الطقم الاسود بتنورته القصيرة الخاص بعاملات المحل ، وهذا ليس كل شيء فدوام الابتسام امر اساسي والتعامل مع الزبائن وكأنهم يملكون المحل بمن فيه ، تقبل اي كلام منهم مهما كان سخيفا او تافها كما يجب ان تتقبل احيانا نظراتهم المستصغرة وكلماتهم المزدرية .

كل هذا مقدور عليه وراضية به خصوصا انها على الاقل لاتتعرض للتحرش فالمحل محترم جدا وهناك حدود لتصرفات الزبائن .

ما يقض مضجعها هو قلقها من امكانية وصول مؤيد اليها ، لاتستطيع ان تتصور ما الذي سيحدث اذا اكتشف اين تعمل او اين تقيم ، اسامة كان حريصا على اختيار مكان العمل في الجهة الاخرى من المدينة بعيدا محيط مؤيد وابناء الحي عموما واما السكن فقد تدبر لها السكن مع عجوز وحيدة تؤجر غرف شقتها لمن ترتاح لهم من الفتيات والنساء ، عجوز غريبة الاطوار لكنها طيبة القلب واهم ميزة فيها انها لاتسأل عن شيء وتكتفي بما تسمع فقط ، هذا اراحها جدا وجعلها تستعيد تركيزها كاملا لتحاول التخطيط لمستقبلها .

نظرت لنفسها في مرآة الحمام الانيق فداهمتها مرة اخرى صورة اختها نجوى ، قلبها يتفطر ألما وشعور بالذنب يكتسحها لتركها اياها وحدها في ذلك البيت الكئيب ، لم تكف عن التفكير في محاولة الاتصال بها لطمأنتها وربما حثها لتغادر البيت هي الاخرى ، واحيانا تأخذها الاحلام بأن يؤجرا سوية شقة صغيرة ليعيشا فيها بعيدا عن ارهاب مؤيد .

لم تشعر انها تعبس وقد جعلتها ذكرى مؤيد تفكر في اسامة ! هذا اللغز الكبير المحير !!

كانت قد تصورت انه سيكتفي بكل المساعدات الكبيرة التي قدمها لها ليتركها تشق طريقها بنفسها ، لكنه لم يفعل !

لقد ثبت قدمه في حياتها الجديدة يفرض وجوده بطريقته الغامضة غير المباشرة .

يحرص على مكالمتها هاتفيا اذا لم يستطع زيارتها في المحل كما انها اكتشفت انه يكلم السيدة جهينة صاحبة الشقة ليطمئن على الاوضاع !

كل خطوة اقدمت عليها منذ هروبها تلك الليلة كان اسامة شريكا فعليا فيها محرضا ودافعا لها، ليس هذا فحسب بل ان لديها شعورا غير واضح انه يتعمد جعل وجوده مهم في حياتها وكأنه لايريدها ان تتوقف عن الاعتماد عليه وكأنه يريد فرض نوع من السيطرة او التحكم في مصيرها رغم انه حريص جدا على ان لايظهر ذلك صراحة !

شخص غريب ! لم تظن يوما انه بهذه الغرابة ويحمل كل هذا الغموض ، احيانا يرعبها بنظراته التي لاتفهمها .

تنهدت وهي تهمس لصورتها في المرآة " على الاقل لايطالبك بشيء يا شهد ، على الاقل يعاملك باحترام لم تحظي به منذ زمن طويل "

تحركت لتغادر الحمام وهي تفكر كيف ستطلب من اسامة ان يستقصي اخبار نجوى لتطمئن عليها ؟؟

تحركت بصعوبة فهي لم تعتد بعد على لبس تنورة ضيقة لهذا الحد ولا كعب عالٍ لهذه الدرجة ! تنهدت وهي تقنع نفسها بالرضا لانه في نعمة كبيرة انعمها عليها الله وربما ستجد عملا افضل في المحل ، كم تتمنى ان يعطوها فرصة في الحسابات مثلا ، انها ماهرة بالحساب وتحب استخدام الحاسوب وقد كانت هذه الفائدة الوحيدة من زواجها من عدنان ان لبى طلبها بشراء حاسوب ، لكنها للاسف فقدته كما فقدت كل حقوقها حالما تطلقت منه !

" عليك ان تحسّني اداءك في المشي "

صوته الساخر اخرجها من افكارها لتراه يقف امامها يرمقها بنظرات متمهلة ، بدى ساخرا حتى في وقفته المائلة وهو يرتدي بدلة انيقة فضية وسيجارة مشتعلة تعلقت بطرف فمه بينما يداه في جيبيه .

تغاضت عن تلك المشاعر المتوجسة التي تنتابها لتبتسم له بلطف قائلة " مرحبا اسامة ، يبدو اني لن اعتاد هذه الملابس ابدا "

ابتسامته اثارت توجسها الانثوي هذه المرة وهو يقول بصوت اجش " لكنها تناسبك وعليك الاعتياد على كل ما يناسبك .."

عيناها لمحتا بعض زميلاتها وهن يرمقنها بحسد ! تلعثمت قليلا قبل ان تقول " اسامة اعتذر لاني لااستطيع ان اقف طويلا معك لكني اردت ان اطلب منك طلبا صغيرا ، ساقوله لك بسرعة قبل ان يحضر مديري ويؤنبني "

اقترب منها بثقة ثم اخرج يده اليمنى من جيبه رافعا اياها ليسحب السيجارة من فمه وهو يقول " لااحد يملك تأنيبك هنا ما دمت المعني بالامر "

ارتبكت اكثر وهو يقف قريبا جدا منها وكأنه يتحدى من يتجرأ ويقول عكس كلامه .

رائحة سيجارته كانت مميزة لكنها اشفقت عليه من الاذى الذي سيلحق به بسبب شراهته للتدخين .

اضاف بابتسامة شقية لينقذها من ارتباكها " انا رجل متطلب وعليك ارضاء ذوقي وانا اشتري عطرا هدية لشخص يهمني "

ابتسمت بامتنان وهي تسأله بعفوية " عطر رجالي ام نسائي ؟"

اتسعت عيناه قليلا وهو يرد بجذل " نسائي .. نسائي جدا ، فتاة جميلة في الخامسة والعشرين محببة ومبتهجة دوما .. هل لديك شيء مناسب تعرضينه عليّ ؟"

احمرت بشدة ولاتعرف كيف تفسر احمرارها او تحدد اسبابه ! هل هي نظراته المشعة من جعلها تشعر بكل هذا الخجل ؟! وللحظة دار في خلدها هل اسامة على علاقة عاطفية بالفتاة ؟؟

همس لها " وبينما تحاولين ارضاء ذوقي الصعب المعقد يمكنك اخباري بطلبك الصغير .."

كان يقود سيارته ببطئ وعيناه تبحثان عن شخص محدد ، ليس هناك غير ام سعيد من ستنفعه بالمعلومات حتى لو كانت مغلوطة ، على الاقل يأخذ المعلومات المغلوطة من المصدر بدلا من تشويهها اكثر على لسان زليخة ، وفوق هذا لايريد ان يثير ريبة زليخة اذا دفعها لتتكلم .

ابتسم وهو يرى ضالته تتهادى في مشيتها الفخورة لكونها بئر لاينضب من الاخبار بينما عيناها كالعادة تتلصصان هنا وهناك لالتقاط ما يمكن التقاطه .

اقترب بسيارته منها وهو ينزل نافذته ويلقي عليها تحية عابثة " مرحبا بسيدة الانباء .."

التفتت ام سعيد مجفلة قليلا ثم ابتسمت ابتسامة واسعة فخورة باللقب دون ان تتكهن انه يسخر منها فعليا !

قالت ام سعيد " مرحبا اسا... سيد اسامة .. هل جئت لزيارة بيت عمك ؟"

رد اسامة وهو يميل براسه جانبا " نعم ... انا في طريقي لبيت عمي لكني رأيتك فقلت القي التحية واستمع لاخر ثرثرات الحي فمزاجي مبتهج اليوم واحب ان اسمع منك ، لديك طريقتك الحماسية وانت تتكلمين عن كل صغيرة وكبيرة .."

ضحكت ام سعيد بقوة حتى اخذ جسدها البدين بالاهتزاز وكأنه يؤدي رقصة خاصة به وحده !

قالت بعد ان افرغت حاجتها للضحك " هل ابدأ لك باكثر الاخبار اهمية ؟ "

هزّ راسه موافقا وهو يدعو اللّه ان لا تختار (فضيحة) بعيدة عن مقصده ، اوشك ان يتنفس الصعداء عندما قالت بعينين متسعتين حماسة " هل تعلم بهروب شهد اخت مؤيد ليلة زفافها ؟"

للحظة اراد اخبارها انه يعلم ليختصر الكلام ويوجهه نحو نجوى لكن دافع ما جعله يتظاهر بالدهشة وهو يقول " لا .. لم اعرف .. عمتي زليخة قالت ستتزوج برجل عجوز لكني لم اعرف انها هربت !"

انتفخت اوداج ام سعيد وهي تميل نحو اسامة وكأنه ستحدثه بأمر خطير " الكل اصبح يعرف بأمر هروبها من ذلك العجوز لكن لااحد غيري يعرف اين هربت ومع من ؟"

للحظة .. للحظة فقط تجمد .. لكنه استعاد رباطة جأشه بسرعة ليدرك انها لاتعرف حقا !

ولم تمهله ليسأل فقد سارعت لتقول بحماسة شديدة " لقد انها هربت مع حبيبها القديم ذلك الشاب الوسيم الذي ارادت الزواج منه ورفضه مؤيد مرارا لانه كان متوسط الحال وفضل عليه الثري عدنان .."

يعترف انه تفاجئ ! لم يخطر في باله للحظة ان ثرثارة الحي ستختار احمد هذا بالذات ، لايعلم لم كل هذا الغضب الذي سيطر عليه لمجرد فكرة وهمية تدعيها امرأة كأم سعيد فوجد نفسه يقول بسخرية مبطنة بالغضب " وما الذي تغير بمتوسط الحال الان ؟؟"

تعابير وجهها كلها كانت تحكي وليس فمها الثرثار فقط ! قالت " انت لاتعرف ، لقد اصبح في بحبوحة من العيش بعد عودته من خارج البلد وافتتاحه لمكتب هندسي مرموق "

ارتعشت عضلة في خد اسامة وهو يقول بصلابة " لكن مرت سنوات منذ اراد الزواج بها "

ردت وهي تنظر نظرة المتسامح للجاهل " يا عزيزي ! انت لاتعرف .. احمد او محمد لا اذكر اسمه بالضبط يبدو انه تزوج من امرأتين .. زوجته الاولى تموت غيرة عليه حتى ان امها ارسلت من يستقصي اخبار حبيبته الاولى شهد واعتقد جازمة ان احمد عاود اتصاله بشهد مما اثار غيرة زوجتيه معا ! وهناك من يقول انه طلق زوجته الاولى فعلا واخذ ولده منها "

اخذت نفسا لتكمل ثرثرتها المتلاحقة " تلك المحظوظة شهد مؤكد اختارت توقيتا ممتازا لتلجأ اليه فيخلصها من زواجها من ذلك العجوز الخرف ، اعلم من مصادر موثوقة انه ما يزال يعشقها رغم زواجه بامرأتين ، يبدو انه لم يستطع ان ينساها "

تصلبت كل عضلة في جسد اسامة وشعر بغضب هادر يكتسحه ، الافكار تعاقبت في ذهنه وكل الاحتمالات تواردت !

ماذا ان صدقت ام سعيد في كلامها ؟ ماذا ان كان احمد ما زال يعشق شهد فعلا وسيبحث عنها ليتزوجها ؟!

هزّته مجرد الفكرة وهي تطرق ذهنه ، فجأة اسم نجوى تخلل ضبابية الغضب ، فنظر لام سعيد التي بدت غير قادرة على وقف سيل الكلام ويبدو انها ذكرت اسم نجوى .

هذا جعله يستعيد التفكير بالسبب الاساسي لحضوره هنا وثرثرته السخيفة مع ام سعيد .

قال لها بهدوء مصطنع " لم افهم .. ما بها نجوى ؟ لاتقولي ان مؤيد جعلها تتزوج العجوز بدلا من شهد !"

كان يتوقع ضحكة معينة من ام سعيد لكنها بدلا من ذلك قالت ببعض الشفقة " ليتها تزوجت بالعجوز كان ارحم مما فعله بها مؤيد .."

عبس اسامة قليلا وهو يسأل بريبة " ماذا تقصدين ؟"

ردت ام سعيد وهي تتنهد " تلك الليلة اقصد ليلة زفاف شهد اكتشف مؤيد ان نجوى من ساعدتها على الهرب مع احمد ، جن جنون ذلك المعتوه واخذ يضربها بعنف وهناك من يقول انه كان يجلدها بحزامه حتى اوشكت ان تموت في يده لولا تدخل الشيخ يحيى ."

زمّ اسامة شفتيه وهو يسأل بقلق " وماذا حصل بعدها ؟ ومن هو الشيخ يحيى ؟"

ردت ام سعيد وهي تلوح بيده " الا تعرفه ؟! الشيخ يحيى هو امام المسجد ويبدو انه كان مارا بالصدفة تلك الليلة عندما سمع صراخ نجوى فاقتحم البيت وانقذها من يد اخيها في

اخر لحظة ونقلها للمستشفى بعد ان هرب مؤيد كالجرذ "

اعتصرت انامله حافة المقود بينما يهمس بغضب مكبوت " وكيف هي الان ؟"

قالت ام سعيد بتحفز " انها في بيت الشيخ يحيى تعتني بها زوجته وقد استعادت عافيتها قليلا لكن المغيظ ان مؤيد هذا عاد وبكل صلف يطالب الشيخ بتسلميه اخته !"

جف فم اسامة وهو يسأل " وهل سلمها له ؟"

ردت ام سعيد " لا ... قال له دعها تستعِد عافيتها اولا وسنرى كيف سنعالج الامور ، يبدو ان الشيخ يحيى ينوي تأديب ذلك الحيوان مؤيد ، دوما كرهته وكرهت افعاله ! في طفولته رأيته مرارا يعذب قطط الشارع حاولت نصحه لكنه كان يناديني بالمرأة البدينة السخيفة !"

بعدها اخذت ام سعيد تتكلم عن اعمال اطفال اليوم وهم يقطعون اسلاك الهاتف ويخربون الاشجار و ...... لكن اسامة كان يستمع بذهن شارد وقد استبد به القلق من عدة نواحٍ ، فكر بشراسة انه يجب ان يعيد ترتيب الامور !

تحاول جهدها التركيز على الزبائن بينما ذهنها منشغل بالهاتف الذي يرفض ان يرن !

ليس لديها احد يتصل بها غير اسامة ، حتى السيدة جهينة لاتتصل بها الا عند الضرورات القصوى ،

دعت في سرها " اللهم اجعل هذا التأخير خيرا ، ربي طمأني على اختي اتوسل اليك .."

" مرحبا .." تفاجأت به يقف امامها بوجه لايعبر عن شيء ! قلبها اخذ يخفق بعنف وهي تلتف حول منضدة العرض لتصل اليه .

قالت بصوت مختنق " لماذا حضرت ؟ كان يكفي ان تطمأنني بالهاتف " تقطع صوتها وهي تسأل " نجوى بخير .. اليس .. كذلك ؟"

ابتسم قليلا وهو يقول بهدوء " الحقيني لسيارتي ، انتظرك بالخارج امام باب المحل "

التفت ليخطو مبتعدا عندما لحقت به تمسك ذراعه بعفوية لتسأله برعب " هل نجوى بخير ؟"

مشاعر مختلطة غامت بها عيناه لكنها لم تتنبه لها بينما خوفها على اختها يعمي بصيرتها .

قال وهو يضع يده على يدها التي تتمسك بذراعه " لاتقلقي انها بخير ، اريد فقط ان اكلمك بموضوع مهم "

وبهدوء سحب ذراعه من يدها بينما يراقب خلجات وجهها تتغير من الرعب الى التيه !

جلست بجواره في السيارة والحرج يسيطر عليها لتقول بلهجة تعكس حرجها هذا " لايصح ان تجعلني اغادر عملي هكذا ! الكل كان ينظر الي نظرة مريبة لم احبها ، ماذا ساقول لهم غدا وهم يعرفون اني غادرت برفقتك ؟! سيسيئون الظن بي حتما وانا لاينقصني هذا "

تحرك في سيارته بسلاسة لينضم لركب الزحام دون ان يرد عليها او حتى يلتفت نحوها ، اخذت تسحب تنورتها القصيرة للاسفل بنزق وهي تقول بعدم ارتياح " يجب ان تعرف انهم بدأوا فعلا في التنبه لوجودك في حياتي ويتساءلون ما موقعك بالضبط وانا عاجزة عن اعطاء تفسير لايتسبب لي بالاحراج "

عندها فقط التفت نحوها ليرمقها بنظرات رائقة ثم قال بصوت اجش " اذن انا موجود في حياتك .. هذا شيء جيد .."

احمرت وهي ترد " اسامة توقف عن السخرية مني ! ارجوك ... انا ممتنة لكل ما فعلته لاجلي لكن ..."

قاطعها كعادته ليقول بنعومة " لاتقلقي بشأن زميلاتك السخيفات في العمل "

خصلة من شعرها افلتت من تسريحتها البسيطة فارجعتها خلف اذنها باهمال وهي ترد عليه بضيق " سهل عليك قول هذا فانت لست في وضعي ولست مضطرا لرؤيتهم يوميا مثلي "

عيناه تركزتا على الطريق وهو يرد ببساطة " انت ايضا لم تعودي مضطرة لرؤيتهم ولامضطرة لارتداء ملابس تضايقك رغم اني مصر على انها تناسبك" شعر بتوترها بينما يكمل بنفس النبرة " ابتداءا من الغد ستأتين للعمل عندي في الشركة"

الفصل الخامس

فمها مفتوح قليلا في دهشة تنطق بها عيناها
بينما اسامة يقود سيارته باسترخاء شديد رغم
الزحام المزعج !

لم يكن ينظر نحوها ليركز نظراته على
الطريق بينما هي تتطلع اليه بتلك النظرات
التي تحولت الان لتحمل معنى الحيرة ، قالت
له بهدوء " اسامة انا لاافهم ! ما الذي جعلك
تتخذ قرارا كهذا ؟ "

اوشكت ان تضيف (دون اخذ رأيي اولا)
لكنها لم تستطع !

لقد تعودت هذا التخاذل من لسانها فلا يعينها
لتعبر عن اي شيء يخص استقلاليتها خصوصا
وهي تشعر انها باتت في شرنقة شفافة حاكها
حولها اسامة باتقان ، قد تشعرها بالحماية
لكنها تضعها في سجن من حرير !

ابتلعت ريقها ومعنى السجن يصيبها بالبرودة
ويجعلها ترتعش قهرا ، انها لم تعد تفهم ما
يحدث ! لم تعد قادرة على تفسير تصرفات
اسامة نحوها ولم تعد قادرة على احتمال كل
هذا الغموض المستتر والتوجس المريب !

ما زال لسانها معقودا ليتمكن من التعبير عن
مطالب صاحبته بالاعتراف بوجودها ،

حاولت مرة اخرى ان تسأله لكن احساسا لعينا بالعجز جعلها تتقهقر وتخاف .. اجل انه الخوف .. الخوف ان يرفع اسامة حمايته عنها فتضيع ....

" لقد فكرت جيدا انك لن تصلي لشيء بوظيفتك كبائعة في محل ، يجب ان تبدأي ببناء حياتك بخطوات صحيحة ، ان تحظي بعمل حقيقي يبرز امكانياتك "

قال هذا الكلام عندما يئست من الحصول على رد منه ، استعادت اطمئنانها وشعرت بالخزي لانها تتوجس دائما منه بينما هو يحاول مساعدتها ، عليها ان تعتاد اسلوب اسامة الغريب الغامض فهذا هو شخصه ولكنه ليس سيئا ، مطلقا ليس بسيء .... عند هذه الفكرة تنفست الصعداء ثم سألته فجأة " ماذا عن نجوى ؟ لم تخبرني التفاصيل ؟"

رد بتمهل " نجوى ... بخير .. اطمأننت انها بخير فلا تقلقي عليها .."

قالت وهي تداري عنه نظراتها اللامعة بدموع لم تنزل " كم اتمنى لو اذهب اليها واقنعها بالمجيء معي لنبدأ بحياة جديدة بعيدا عن ذلك الحي البائس "

تقلصت عضلة في خده لكنه رد بهدوء " اذا ذهبتِ اليها الان ستخسرين نفسك مرة اخرى ،

اياك ان تفكري بمجازفة كهذه ، لن استطيع حمايتك هناك .."

همست وهي تتمسك بحقيبتها الجلدية التي اشتراها لها اسامة كما اشترى لها اشياء اخرى " اعلم اني لاستطيع الاتصال بها الان ، اعلم اني ضعيفة .."

التفت نحوها بحدة غريبة ليقول بنظرات نارية " اقتلي هذا الضعف اللعين .. عيشي حياتك شهد ..."

لم ترد وهي ما زالت تتحاشى النظر نحوه لتغرق في افكارها ، اما اسامة فكان يقاوم هذه المشاعر المختلطة التي تعتمل في داخله ،

ما الذي جعله يقول لها اقتلي ضعفك ؟؟! انه لم يفكر بأن يجعلها قوية لدرجة ان تستغني عنه ؟ يريدها ان تنتمي اليه بأي وسيلة ، ان تشعر بأن حياتها تعتمد على وجوده فيها ، وعندها فقط سيحصل على ما يريد ! سيرضي سنينا من الخذلان .. سنينا من التمني ...

صوت يمقته بشدة تخلل افكاره .. قادم من ماض بعييد ... (لاتحلم ايها المنبوذ انها ستنظر اليك يوما مهما علا شأنك ! قد تشفق عليك بابتسامة لتنسى وجودك في الحياة ما ان تختفي عن ناظريها ، كما لاتحلم انها ستخرج عن طاعتي لتسمح لك بالاقتراب منها بأي طريقة !)

سحق اسامة اسنانه وهو يتوعد في سره " حان الوقت .. ساريك ايها الحقير ، ساجعلك تتلوى كمدا وقهرا وانت تراها تنتمي الي انا وحدي ، انا ... المنبوذ .."

تنهيدة ناعمة صدرت منها جعلته يلتفت نحوها قليلا ، شيء ما جاش في صدره واحساس اخر قبض قلبه قبضة اعتصرته !

للحظة .. لحظة فقط داهمه شعور بالذنب ! نظراته انحدرت لتنورتها القصيرة ورغم انها ترتدي جوربا اسودا غطى ساقيها تماما الا انها بدت مغرية جدا ، ارتفع وجيب قلبه وثقلت انفاسه فالتفت بقوة بعيدا عنها يستعيد ذكرى وجه سهر الجميل وهي تضحك له ، سهر من يحتاجها .. سهر بدون عقد تثقل روحها .. سهر من الحاضر الذي بناه .. لاتمت للماضي الاليم بصلة ، سهر هي الركيزة الجديدة التي ستنضم لباقي الركائز التي اجتهد بقوة لاقامتها من اجل بناء مستقبله .

تمسك بالمقود بقوة وهو يهمس لنفسه " لامكان للماضي في المستقبل ، لكن ... هذا لايمنع من البحث عن الديون القديمة والمطالبة بسدادها ، انه شعور لايقاوم ، يمنح المزيد من التفوق ويعزز القوة "

فاجأته شهد بالقول " ماذا ساعمل عندك يا اسامة ؟"

رد بابتسامة تخفي الكثير مما يعتمل في صدره " سنبدأ بشيء بسيط نختبر فيه قدراتك وامكانياتك او لنقل تدريب لبعض المهارات المهمة "

نظرت اليه لتقول بحماسة خجولة " انا .. اجيد الحساب واعرف بعض برامج الحاسوب التي تستخدم لهذا الغرض ، او هذا اعتقادي عن نفسي .. لااعرف .. ربما ابالغ او لااقدر حقا مدى اهمية ما اعرفه او اتقنه .."

نظر لخجلها وعاد هذا الشعور الذي يقبض قلبه .. كيف يمكن لامرأة في الثلاثين ان تكون ثقتها مهزوزة بنفسها هكذا ؟!

وليست اي امرأة .. امرأة كشهد كانت حلما لاي شاب في الحي .

همس لها بصوت مبحوح " انا متأكد ان لديك الكثير لكنك لاتعلمين قدر نفسك جيدا "

قدمت جنان الشاي لزوجها كما تفعل عادة في هذا الوقت قبل ان ينطلق للمسجد ، فموعد اذان الظهر اقترب .

تبسم في وجهها وهو يقول بحنان " سلمت يداك "

ردت له الابتسام وهي تجلس بجانبه على الاريكة قائلة ببعض القلق " ماذا سنفعل يا شيخ مع نجوى ؟ انها ما زالت تحبس نفسها في الغرفة التي جهزناها لها وترفض حتى الطعام لاتأكل الا النذر اليسير ! انا قلقة حقا على هذه المسكينة اخشى ان يزداد مرضها "

رد الشيخ يحيى وهو يرشف من قدحه " دعيها تصالح نفسها قليلا ، انها تشعر بالاهانة الشديدة والاذلال بعد كل ما حصل "

قالت جنان بعاطفتها الامومية الشديدة " لكنها قد تصاب بالاكتئاب والعياذ بالله ، يجب ان نجد ما يخرجها من حالتها هذه ، نستطيع ان نجعلها تشارك بأي عمل مفيد "

قال الشيخ وهو يرشف ما تبقى من الشاي " ليس الان يا جنان ، اولا اثار الجروح واضحة على وجهها وستشعر بالخزي اكثر اذا رآها احد وقد لاحظت انها اساسا تشعر بانعدام الثقة ! "

صمت قليلا قبل ان يضيف وهو ينظر لعيني زوجته الحنونتين " عزيزتي .. كما انها قد تفكر اننا نريدها ان تعمل لانها تقيم عندنا "

شهقت جنان وهي تضع كفها على صدرها لتقول بصدق " اقسم بالله لم يكن هذا مقصدي ، انا اريدها ان تبدأ حياتها بشكل صحيح .."

ردت مبتسما وهو يرفع يده يداعب خدها قائلا
" اعلم يا حبة القلب .. لكنها مسكينة ولا
عائل لها وتشعر بانعدام الامان والثقة من
الجميع ، كل هذا كثير عليها لتتعامل معه
الان ... ما زالت بحاجة للوقت "

عبس قليلا ثم استعاذ بالله من الشيطان
الرجيم قبل ان يقف على قدميه ويقول بهدوء
" ثم لاتنسي ذلك المدعو مؤيد ، صحيح انا
هددته بابلاغ الشرطة وتقديم التقرير الطبي
اذا تعرض لها لكنه لن يعتقها بسهولة وربما
سيسبب المشاكل مستقبلا لبقائها في بيتنا "

وقفت جنان على قدميها وهي تقول بابتسامة
واثقة " توكل على اللّه يا شيخ ، لن يحدث الا
الخير باذن اللّه "

انحنى فجأة ليقبل خدها ثم ابتسم وهو يرى
تورد وجهها ليقول " سلمتْ لي الجميلة ريانة
الخدين التي ما زالت تخجل من زوجها بعد
ثلاثين عاما "

قالت بهمس وهي ترفع وشاحها البيتي البسيط
على رأسها " يحيى .. حان وقت ذهابك ..
ستتأخر.."

ضحك من قلبه وهو يخرج مسبحته من جيبه ليتحرك مغادرا غرفة المعيشة نحو باب البيت تشيعه زوجته لاحقة بخطواته وهي تقرأ عليه همسا ادعية الحفظ من الطريق ، لتتركه عند باب البيت وهو يقول لها بوجهه البشوش " استودعك اللّه "

فترد عليه " في امان اللّه "

وتظل تشيعه بنظراتها هذه المرة وهو يبتعد بخطواته لتهمس لنفسها بألم تجيد اخفاءه عنه " ظلمتك معي يا حبيب العمر ! " .

تقف عند الشباك فلمحت هيئة الشيخ من الخلف وهو يسير على مهل كعادته ، يمسك بيده اليمنى مسبحته بينما خيالها يرسم لها وجهه الهادئ وشفتاه وهما تتحركان بتسبيح هامس ، لقد رأته مرارا يفعل هذا وهو يحوم حولها في المستشفى ترافقه زوجته التي لم تتركها بمفردها ابدا طوال فترة بقائها في المستشفى .

الشيخ يحيى هو الذي انقذها من الموت او الاسوأ .. قضاء باقي سنيّ عمرها في تشوه دائم .

دمعة افلتت ... مسحتها بتسامح من تعب من العتب ! هل تعتب على الدمع يغافلها لينساب حزينا شاكيا على الخدين ؟!

عيناها لمحتا الشيخ يحيى يقف فجأة ثم انحنى بهدوء ليلتقط شيئا من الارض ! داعبها فضول خجل لتعرف ماذا التقط فاخبرتها عيناها ان لقية الشيخ كانت قنينة زجاجية مكسورة رأته يحملها وهو يهز رأسه استهجانا ثم واصل خطواته وهو ما زال يحمل القنينة وعلمت انه لن يفلتها حتى يرميها في مكب النفايات حرصا على منع الاذى .

دمعات اخرى انسابت ... تسأل النفس وربما تسأل مدبر الكون لماذا لم تحظَ برجل مثله في حياتها ؟! اب او اخ ... او حتى زوج ....

اختنقت بعبرتها وهي تشيح بوجهها بعيدا عن النافذة بعد ان اختفت هيئة الحاج .

انسابت الكلمات من بين شفتيها تحمل كل معاني الألم " ها انت يا نجوى قد حضيتِ برجل مثله لكن .. كمحسن اليك مشفق عليك كما يشفق على كلب مريض وجده على قارعة الطريق فآواه واطعمه !"

تطلعت حولها وخطواتها تتوه لتتحرك بلا هدف وشعور بالاغتراب ما زال يلازمها تحت سقف هذا البيت البسيط وبين جدران هذه الغرفة .. هذه الغرفة التي اعدتها لها تلك المرأة البشوشة الوجه كوجه زوجها ،

امرأة لاتحمل صفة جمال انثوي بالمعايير المعروفة بوجهها المستدير وخديها الممتلئين حتى غارت عيناها الصغيرتان ، شعرها اجعد قصير تتذمر منه بمرح ،

هذه هي السيدة جنان بقامتها القصيرة التي تميل للامتلاء والتي فاجأتها وهي تسامرها ليلة الامس قبل عودة الشيخ من المسجد ، فاجأتها باعجابها بقامتها الهيفاء الرشيقة وسمارها الجذاب ! حتى انها وصفت عينيها كفنجانيّ قهوة واسعتين وساحرتين بلونهما البني الداكن !!

خطواتها وجدت هدفا امام المرأة ، مجرد مرآة مستديرة معلقة على الحائط ، نظرت لوجهها ، عيناها تبدوان اكثر بشاعة مما مضى وقد زاد جحوظهما بسبب فقدانها للوزن ، عضت شفتها السفلى وعيناها تقعان على أثرين واضحين من جلدة حزام مؤيد على جانب خدها الايسر ، رفعت يدا مرتعشة تلامس الاثر الاكثر وضوحا والذي يبدو سيأخذ وقتا طويلا ليندمل كباقي الاثار ....

طرقات رقيقة على باب الغرفة لكن مع ذلك اجفلتها وهي مستغرقة في رثائها على حالها !

باحساس مهين انها لاتملك الحق بأن يستاذن منها احد ليدخل خرج صوتها متحشرجا مترددا وهي تقول " نعم "

دخلت السيدة جنان بابتسامتها الحلوة التي تذكرها بابتسامة امها عندما كانت تجدل لها شعرها وهي طفلة ،

كانت امها تهمس لها ان شعرها هذا عنيد متمرد كطبع صاحبته لكنه يذكرها بالوصف الذي ينطبق على النساء الغجريات وشعورتهن الطويلة المميزة ...

لاحظت ان السيدة جنان كانت تحتضن حاوية بلاستيكية مربعة ضمت حبات بطاطا وأداتيّ تقشير مما يستخدم لتقشير وحفر الخضار ، تلكأ السؤال على فمها بينما بادرت السيدة جنان للتوضيح وهي تتقدم نحو سرير نجوى لتجلس عليه قائلة بمرح " اشعر بالملل من الجلوس بمفردي في المطبخ وبما انك ترفضين الشفقة علي من هذه الوحدة والنزول لتشاركيني الحكاوي وانا اعد طعام الغداء فقلت في نفسي ساقتحم عليك غرفتك واستغل طيبة قلبك لتقشري معي البطاطا ونحن نتكلم "

احمرت نجوى قليلا من حرجها لتتقدم نحو السيدة جنان وتجلس بجوارها على السرير وهي تقول براس منكس " آ... آسفة .. سيدة جنان ... اعلم اني استعدت ... قوتي ويفترض ان ... اساعدك قليلا .. انا .."

ربتت جنان على يد نجوى لتقول بحنان شديد " يا عزيزتي .. لاتناديني سيدة جنان ، انت اختي في اللّه .. اختي الصغيرة التي كنت اتمنى ان احظى بها دوما لادرك الان ان اللّه سبحانه كان يدخرك لي ليعوضني هذا الاحتياج "

ترقرقت عينا نجوى مشيحة بوجهها تمنع نفسها باعجوبة من ذرف الدموع وصورة وجه شهد المتألم لاتفارق خيالها فينقبض قلبها وهي تفكر اين هي الان ؟؟!!! ماذا يحصل معها ؟؟ هل آذاها احدهم ؟؟

صوت جنان ملأه التفهم وهي تقول بلطف " علمت ما حصل لاختك .. ادعي لها بالحفظ وان تعودا لبعضيكما قريبا ان شاء اللّه ، كل شيء يحدث لسبب عزيزتي وسبحانه مسبب الاسباب ، قد يكون ما حصل لكما فيه الخير الكثير وانما تحتاجان للصبر والايمان "

التفتت نجوى نحو جنان لتنظر اليها وتقول بحشرجة " انا واختي كسيرتان ! تائهتان في ضعفنا وقلة حيلتنا ، لااعرف مصيري ولااعرف مصير اختي ،

كل يوم يظلل علي الفزع وانا اتصور الاسوأ عما حصل لشهد او الاسوأ مما سيحصل لي انا ! "

طمأنتها جنان قائلة " اذكري اللّه يا نجوى ، انه الرحمن الرحيم ، هو رحيم بعباده يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ، لاتيأسي من رحمة اللّه "

ابتسامتها الحانية عادت لتتألق على وجهها وهي تضيف غامزة " والان .. خذي مقشرتك بينما احدثك عن والدي رحمه الله وكيف ابتأس عند ولادتي لانه اراد صبيا لكنه سرعان ما غير رأيه ليجعلني قرة عينه التي يدللها بأسم ذات خديّ الخوخ "

لم تشعر نجوى ان ابتسامة رقيقة شقت شفتيها لكن جنان لاحظتها فانشرح صدرها لهذا التقدم الطفيف .

بعد ايام ...

استقلت المصعد وهي تبتسم ابتسامة شقية وتخطط لاقناع سكرتيرته لتسمح لها بالدخول لمكتبه دون ان تعلمه، كعادتها تحب مفاجأته بوجودها وترى تلك الابتسامة العابثة وهو يتطلع نحوها ساخرا من طفوليتها ! لكنها لاتتضايق منه .. لاتتضايق غالبا !

فرغم انها مدللة في عائلتها ورغباتها دائما تلبى الا انها لاتشعر بالضيق من معاملة اسامة لها وربما ما يظهره من لامبالاة تلون تصرفاته احيانا هو ما يجذبها اليه فتجد فيه انتعاشا ،

خصوصا انها تعلم بتأثيرها عليه وانجذابه نحوها وانما تصرفاته هذه تنبع من شخصه .. طباعه ... تركيبته الفريدة من نوعها .

غمزت للسكرتيرة وهي تفتح باب المكتب على مهل لتدخل على رؤوس اصابعها وعيناها تمسحان المكتب سريعا بحثا عنه ، ابتسمت ببشاشة وهي تراه منكبا على اوراق امامه مستغرقا في القراءة فلم يشعر بدخولها ،

لكن بضع خطوات وخاب املها وهو يقول بصوته الرجولي الساخر " حسنا قطتي الفاتنة .. لافائدة من رشوة سكرتيرتي بابتسامتك الحلوة ولا فائدة من خطواتك التي تكاد لاتلمس الارض حتى لاتصدري صوتا فقد رأيت سيارتك صدفة من شباكي وانت تدخلين بها مرآب المبنى "

عبست سهر بينما رفع اسامة رأسه نحوها ضاحكا بخفة يتطلع لهيئتها الحانقة لفشل مخططاتها ، عيناه انسابتا برضا على طول قامتها الرقيقة التي التفت بفستان من صوف الكشمير الناعم مموج بالالوان المبهجة ،

شعرها البني القصير في قصته الجديدة لائم وجهها البيضاوي ببشرته الحنطية ، وتلك العينان المميزتان بلونهما الاخضر البراق ، حقا بدت كقطة تلاعبت بخيوط الصوف الملون حتى التفت تلك الخيوط حولها في تشابك لافكاك منه فثار حنقها !

مال برأسه جانبا وهو ينظر لتكتف ذراعيها امام صدرها تفتعل الدلال الغاضب وتطالب بالود والقرب .

تأوه في سره وهو يهمس لنفسه بارتعاش غريب " في وقتك يا سهر ! احتاج لانوثتك جدا هذه الايام! احتاجها لتملأ عيني وتبعد عن رأسي خيالاته التي تهدد بصحوة الوحش الذي احكمه بقبضة من حديد! "

استقام واقفا ليلتف حول مكتبه متقدما نحوها ومزاجه يدفعه لجرأة اكبر معها !

همس بصوت اجش " هل تعلمين اني اكتشفت وبعد شهر كامل من الخطبة اني لم اقبلك ولا مرة على شفتيك ؟!! ما رأيك قطتي ان اصالحك بقبلة ؟؟ لقد تعبت من التروي وكلي يهفو اليك .."

شهقة ناعمة صدرت منها وذراعاها تتراخيان لينفك عقدهما وتهطلان لجانبيها ، بينما اصطبغ خداها بحمرة قانية لصراحة مطلبه !

ابتلعت ريقها لتبتعد خطوة متعثرة للخلف برد فعل عفوي وهي تهمس " لا .. اقصد .. ان هذا غير .. مناسب .. الان .."

ضحك وهي يكاد يصل اليها بينما هي اخذت تتراجع وعيناها تلتمعان ما بين شعور الترقب والخوف ...

ارتطم ظهرها بالباب الذي تركته مواربا عند دخولها فانغلق الان ، ابتلعت ريقها وهو يصل اخيرا ليحصرها هناك مستندا بكلتي يديه على الباب خلفها ، ابتسامته الشقية تغيرت !

استنشق عطرها وهذا كان ... غلطة .. غلطة لاتغتفر !

قال بصوت مهزوز اثار اضطرابها وهي لاتستطيع التكهن باسباب اهتزازه " هل اعجبك العطر الذي اشتريته لك ؟ "

كانت تحاول اظهار القوة، السيطرة ، الصمود امام ما يثيره دوما فيها من مشاعر تتملكها وتجعلها تخضع لغموضه ، رفعت ذقنها بتحدٍ لكن صوتها خرج مرتعشا وهي تقول " نعم .. يعبر عن شوق .. تملك "

اتسعت عينا اسامة فارتبكت وتشوشت !

نظراته كانت شغوفة خطيرة ، متملكة ومطالبة ،

لكن .. لاتعلم لم شعرت انها ليست هي !

لاتعلم لمَ شعرت بكل هذا الاضطراب القلق رغم انه اثار مشاعرها كفتاة مرغوبة لديه لكن ....

فاجأها بأن ابتعد عنها ليقول بانفاس متسارعة ولهجة تميل للقسوة " لم اكن اعرف ان مجرد عطر يحتاج لكلمات شعرية في وصفه !!"

قلبها كان يئن باحساس رهيب بالخيبة ! لم يبتعد الا نصف خطوة لتراقب تلك الملامح بعجز فهمست بحيرة " احيانا انت تخيفني ... تصبح قاسيا لاذعا صعب الفهم .."

قال وهو يستدير موليا اياها ظهره " كما مرة قلت عليك ان تعتادي علي .. هذا انا .....

قد اعلن فجأة برغبتي في تقبيلك ثم اتراجع في اخر لحظة ! لكن ... هذا لايعني اني لارغب حقا في فعل هذا "

ارتعشت ! لفّت ذراعيها حولها تحاول التماسك لتقول فجأة " لماذا اشعر انك تمنع نفسك مني ؟! احيانا اجدك تنجذب الي بشدة وتشعرني اني مهمة جدا لكن في اللحظة التالية تشعرني انك تتباعد... تتلاشى بمشاعرك نحوي ! "

كانت خطواته قد توقفت بينما اضافت هي بحاجبين معقودين " احيانا اتساءل ان كنت ... تحبني حقا !"

اثار غيظها عندما رأته يتحرك بخطواته مرة اخرى لا ليلتفت نحوها ويحاول استرضاءها وانما ليكمل طريقه نحو كرسيه !

جلس عليه بهدوء مستفز ثم قال ببساطة " انا لم اخدعك قطتي .. منذ اول تعارفنا قلت لك اني معجب بك وبحيويتك .. احتجت وجودك في حياتي لذلك تقدمت لخطبتك وانت وافقتِ "

تقدمت خطوتين وهي تشعر بالقهر لتقول باحتجاج انثوي " اجل انا وافقت .. لاني احبك ..."

ابتسامة جانبية سبقت كلماته الباردة " سهر ... انت لم تكوني تعرفيني اصلا لتحبينني اما الان فأنت تريدين الشعور بالحب والعشق حالك كحال باقي الفتيات لكنك معجبة بي فقط مثل شعوري نحوك تماما .. وجدتِ في غرابة طباعي وتعقيدات افكاري شيئا جذابا ومختلفا عما اعتدته من شبان محيطك الاجتماعي الذين كانوا يلاحقونك .."

لغرابة الامر لم تشعر بالجرح لقوله ! هذا فاجأها لكنها لم تستطع الا ان تقول باحباط " الان هذا اغرب تحليل لشخصيتي سمعته منك !"

ضحك بخفة ليقول وهو يلتقط علبة سجائره فيسحب سيجارة وضعها في فمها ثم مد يده الاخرى بتراخ لقداحته الذهبية التقطها ليشعل السيجارة وهو يقول مبتهجا " الم اقل انك مميزة بحيويتك هذه ، .."

اخذ نفسا عميقا من سيجارته وهو ينظر اليها باسترخاء من قمة راسها حتى اخمص قدميها ليقول برقة " عندما رأيتك تراقصين ذلك الصبي في الحفل الخيري لم املك الا ان اعجب بروحك المحببة وتلقائيتك الخالية من التعقيدات والشوائب ، روح متجددة تسكنك وتثير الفرح والبهجة في النفس .."

شعر بتشتتها .. ولم يستطع الا الاعتراف انه مشتت ايضا ! شتم في سره وهو ينظر اليها ، لماذا اختار هذا العطر ؟ شهد بوقتها عرضت عليه اكثر من عطر لكنه اختار هذا بالتحديد ، لقد شعر .. شعر ... كما وصفت سهر ... لكن ليس نحوها بل نحو شهد !

احس بخطوات سهر تقترب منه وهو سارح بتعقيداته ! قالت وهي تميل امامه لتستند بكفيها الصغيرين على سطح مكتبه قائلة بتحدٍ " حسنا يا صعب الفهم ، قد تجد الامر مسليا لك ولكني حقا عنيدة ،

وساثبت لك انك تحبني ولكنك ترفض الاعتراف بذلك خوفا على حريتك الغالية حالك كحال كل الرجال المتعنتين ؟"

تطلع نحوها بنظرة ساخرة بينما استدارت على عقبيها نحو الباب لتغادر بدلال ترسمه مشيتها وهي تقول " عندما تقرر ان تقبلني المرة القادمة اخبرني مسبقا حتى امتنع عن وضع اي عطر فربما الشاعرية التي تثيرها العطور عادة لاتناسب رجلا متبلد الاحساس مثلك ..."

غادرت مبتسمة دون ان تلتفت نحوه ولو بنظرة مودعة وقد كانت تتصوره مبتسما هو الاخر بخبث بينما في الواقع كان ينظر اليها تفتنه كرجل مشيتها لتتلاشى الفتنة سريعا فيغمض عينيه وتبحث حاسة الشم لديه عن اثر العطر بتعطش مرعب ؟

شتم بحدة وهو يشعر باحتراق اصابعه من رماد السيجارة الذي وقع عليها فاطفأ السيجارة بغيظ في المطفأة الكريستالية القريبة ثم غمر وجهه في كفيه يدعكه بهما بقوة وكأنه يريد ان يستفيق ؟

ثم .. وبثورة تجيش في صدره مد يده نحو جهاز الاتصال بسكرتيرته ليقول بصوت تخنقه المشاعر " زينة .. ابعثي لي بالموظفة الجديدة شهد ؟" ردت زينة بارتباك " عفوا سيد اسامة .. اي شهد ؟ لقد تم تعيين .."

قاطعها بحدة قائلا " التي وقعت على قرار تعيينها بالامس فقط .. كيف نسيتِ ؟!!"

ودون ان ينتظر ردها اغلق الجهاز متبرما من الغباء الذي ينتاب سكرتيرته احيانا !

عاد ليسحب سيجارة اخرى واشعلها سريعا ليأخذ نفسا عميقا شرها يستجدي استعادة هدوئه قبل ان تصل شهد لمكتبه .

ما الذي يحصل له ؟!! لماذا يفقد السيطرة هكذا على نفسه ؟؟ لم يكن يتوقع ان تواجد شهد قريبا منه وبشكل يومي سيتسبب بكل هذا ، لم تمض الا بضعة ايام منذ بدأ عملها هنا وهو يعاني طيلة النهار ليمنع نفسه من استدعائها ولو بحجة الاطمئنان عليها ، وبدلا من ذلك يختبأ كالجرذ حتى لايلتقي بها الى درجة انه رفض استقبالها بالامس مدعيا انه مشغول بينما في الحقيقة يشعر انه بحاجة ليسيطر على وحشه المتمرد الهائج في اعماقه ، بحاجة لان يصفي ذهنه من ترهات تلك العاطفة القديمة التي استولت عليه قبل سنوات وانهكته !

اجل انهكته وعذّبته بينما هي تنتقل من رجل لآخر ... من حبيب لزوج ... وهو محروم حتى النظرة ....

عندما اعلمته السكرتيرة بوصولها كان قادرا على الادعاء انه مسيطر ومسترخ !

جالسا بشكل جانبي على حافة مكتبه احدى ساقيه تصل الارض بينما ساقه الاخرى ارتفعت قليلا تتأرجح بلا مبالاة ولتكتمل الصورة الساخرة بالسيجارة المعلقة في جانب فمه ، كتم بعناد نفسا خائنا كاد يخرج من اعماقه ليفضح توتره ما ان طرقت الباب ودخلت .

مضى وقت طويل .. طويل جدا يمنع نفسه من رؤيتها ، من حقه ان يمعن النظر فيها الان ، فاحيانا هلوساته تسخر منه لتنفي وجودها تحت سلطته هكذا .

ترفع شعرها الاسود مشدودا للخلف كذيل حصان فتظهر تقاطيع وجهها الجميلة بوضوح صافٍ وقد امتنعت عن وضع اي مساحيق تجميل ، البلوزة البنية نفسها التي اشتراها لها ليلة هروبها لكن مع بنطال اسود بسيط اشتراه لها فيما بعد ، لم يستطع منع رعشة النشوى لاحساسه انها ترتدي ما اشتراه لها ، يشعر وكأنه يلامسها شخصيا ويمتلك حقا حقيقيا فيها !

رآها ترتبك من نظراته المتفحصة بينما تقول " مرحبا ..." ابتسم وهو يمسك سيجارته بين اصابعه ليقول ساخرا " مرحبا ... هل انا اتوهم ام انك تتجنبين نطق اسمي ؟!!"

ردت بحرج اكبر " اسفة .. لكن .. انا اعمل لديك الان ولذلك لااستطيع منادتك باسمك ولم .. اعتد ان ...."

ضحك بخفة وهو يتخذ وضعا اكثر راحة في جلوسه على مكتبه ليقول وهو يأخذ نفسا عميقا من سيجارته " لم تعتادي على منادتي (سيد اسامة) ؟؟ لابأس ... "

رآها تحدق في سيجارته وتعبير عدم الرضا يلوح على وجهها لتفاجئه قائلة بعفوية " انك تؤذي نفسك بشراهتك لتدخين السجائر "

اتسعت عيناه وارتجّت اعماقه تأثرا ! ليقول بحشرجة " هل تقلقين على صحتي يا شهد ؟ "

احمرت بشدة من حرجها وميز حركة فمها وهي تعض شفتها السفلى من الداخل ،

مبهورا .. هائما ... غاضبا ... متملكا .. مشتاقا ..

اللعنة !!...

اسبل اهدابه وهو ينزل من على حافة المكتب ليستدير حوله نحو كرسيه وهو يقول بصوت مبحوح " اسف لاني بالامس لم استطع استقبالك ، هل تحتاجين لشيء ؟"

كانت تلوم نفسها بشدة على تدخلها بما لايعنيها ، ما لها هي ومال تدخينه للسجائر ؟!!! غبية حقا ! انها حريته الشخصية ومن هي لتملي عليه نصائحها التافهة !

رأته قد جلس على كرسيه الان وهو ينظر اليها بدون اي تعبير ، حاولت الابتسام لتداري خجلها قائلة " شكرا لك .. انا مرتاحة جدا في عملي والاستاذ بهاء يدربني على كل شيء في تنسيق ملفات الشركة واستخدام البرامج الحديثة ، انه رجل طيب ويحسن معاملتي .."

لاتعرف لمَ توجست وهي تلمح عينيه تضيقان قليلا ! ابتلعت ريقها وهي تصف نفسها بالغباء مرة اخرى !!

همست في سرها " ما بك يا شهد ؟! انت في الثلاثين وتتصرفين كأنك مراهقة لاتعرف اصول الكلام والمحادثة ! اخبريه بما جئت من اجله اصلا "

اخذت نفسا لتقول له بلطف " البارحة اتيت لاني علمت صدفة انك خاطب منذ فترة بسيطة ، اردت ان اباركك لك واعتذر لاني شعرت اني كنت انانية ولم افكر الا بمشاكلي التي اثقلت عليك بها حتى اني نسيت ان اسأل عن احوالك واموركٍ "

اطرقت قليلا لتضيف بحرج من نوع اخر " كنت .. كنت ساشتري لك ولخطيبتك هدية مناسبة لكن ... انت تعرف .. انا .. الان .. ليس لدي .."

قاطعها بحدة افزعتها " انت الان لاتملكين المال لتشتري لي هدية خطوبة مناسبة ؟! حقا هذه مزحة الموسم .."

رفعت وجها شاحبا نحوه لتصدمها تعابيره المتوحشة ! انعقد لسانها وشعرت بعقدة في حنجرتها تمنعها الكلام ... تمنعها حتى التنفس ! ما الذي فعلته لتثير هذه الوحشية وهذا الغضب ؟!!

رفعت يدها لعنقها بارتجاف لتتمكن من القول بصوت متلعثم " آآ.. آآسفة ... ربما .. اخطأت وليس من .. حقي التدخل .. اردت ان .. اعبر عن امتناني فقط و.. اعتذر عن تقصيري .."

كان ما يزال يرعبها بنظراته وهو يجلس على كرسيه بتأهب وكأنه يوشك على الانفجار .

تراجعت خطوة وهي تعتذر قائلة " اعتذر منك .. سيد .. اسامة .. لن يتكرر الامر "

استدارات بقوة وقد اشرقت عيناها بالدموع ،
تحركت مترنحة بالشعور بالذل ، الهواء
تحرك بعنف خلفها لكنها لم تتدارك ما
يحصل حتى لمست مقبض الباب بيدها
لتصدمها يده وهي تهف من جانبها لتحط على
يدها ، تمسكها ... تعتصرها بقوة وصوته
الهامس الغاضب قريبا من اذنها قائلا " لم آذن
لك بالانصراف بعد ..."

الفصل السادس

يعتصر يدها بقوة افزعتها بشكل مؤكد ويا ليتها تعرف معنى الفزع الحقيقي ! فقط اذا تمكنت من التسلل لدواخله الان بالتحديد لترى بأم عينها الوحش الذي يصارعه !

اوشك ان يفعل شيئا متهورا جامحا عندما تأوهت متألمة هامسة " يد ...يدي .. من .. فضلك .."

مصدوما من تأثير همسها عليه وكأنه طفل تؤنبه امه برقة فيتراجع عن فعلته المشينة خجلا مطأطأ الرأس !

وجد نفسه يرخي من ضغطه على يدها لكن دون ان يفلتها بل اخذ يتلاعب بالنار وهو يمسد بابهامه على راحة تلك اليد القابعة بارتعاش تحت يده ...

انحسر الغضب كجزر بعد المد ... اغمض عينيه كاتما نفسا حارقا اوشك ان يفلت منه ليهمس من بين خصل شعرها المرفوعة التي تلامس انفه " آسف اذا آلمتك ، آسف لاني احيانا اكون قاسيا دون قصد مني.. سامحيني شهد "

ما الذي يمكن ان يصف به هذه الكلمات الا (اعتذارا متذللا) !؟

اجل ... اذلته بضعفها ، بخيبة املها فيه ، ما ان شعر برعشة بكائها واخترقت قلبه دموعها المقهورة حتى قهرت قسوته فتلاشى غضبه ليجد نفسه مسمرا خلفها هكذا يكاد يلامس ظهرها بصدره فيجلد نفسه بالسياط ليصحو من وساوس شياطينه التي تدعوه ليحطمها بين ذراعيه ! هنا .. الان ... في مكتبه ...

لا انتقام من ماض اذله ولا رغبة في فتاة الاحلام التي لم تكن تراه ولا تملك لها ليتحكم في حياتها كما يشاء فيمرغ انف اخيها الحقير ...

انه مجرد شوق ..

شوق خالص حي نابض بالالم اللذيذ فقط ليكون معها !

همسة اخرى بأسمه " اسامة .. ارجوك .. يدي بخير الان ... "

ضحك بحشرجة عاطفية وهو يدرك انه ما زال يمسد على راحة يدها ، قال بصوت مبحوح " عدت لنطق اسمي مجردا ! شيء جيد جدا انك عدت لتنطقينه بلا لقب (سيد) المستفز "!

سحبت يدها ببطئ من تحت يده ثم كتفت ذراعيها وكأنها تضم نفسها لنفسها ،

راسها ما زال منكسا ولم تحاول الالتفات
بجسدها واكتفت ان همست " اسفة اني ..
ضايقتك .. كنت احاول ان .. احاول .. ان ...
انا لم اقصد شيء .. اقسم لك .."

كانت تنهار واخذت تنشج في بكاء مكتوم
يقطع نياط القلب لتكمل بهمسها المتألم " انا
لااعرف .. ماذا يجب .. ان افعل احيانا... اريد ..
فقط ان اعيش .. حياة طبيعية وليس لي احد
... غيرك .. كنت اريد الاطمئنان عليك ..
اقسم .. لم ارد التدخل في .. امورك
الشخصية .. لم ارد ان .... اضايقك .. كنت
اريد ان ارد جميلك .. ان اظهر لك .. بعضا
من .. من الاهتمام ال.. الحقيقي .... الوفاء ...
انا....."

اختنقت باقي الكلمات وهي ترفع كفيها
لوجهها تجهش في بكاء طفولي !

صوت بكائها كان ناعما جدا منخفضا يصل
الاذن وكأنه يداعبها ! لكنه كافٍ ليثير في
النفس احساسا متعطشا لحمايتها ...

تبا لكل شيء ! يداه هو الآخر كانتا ترتعشان
وهو يرفعهما ليمسك كتفيها ، حمد الله في
سره انها لاتراهما لتكشف تأثره المفضوح ..

ادارها نحوه ولم تقاومه ، ظل يمسك بكتفيها ينظر لوجهها الباكي المختبئ خلف كفيها ثم قال باستفزاز رقيق يداري به ثورته العاطفية المحتدمة " اذن تريدين مشاركتي تفاصيل حياتي ؟! الاهتمام بي ؟ منعي من السجائر مثلا ؟ "

بكاؤها هدأ قليلا ، فارتاح بعض الشيء ثم همس بحنان غريب عليه " انا آسف ، كم مرة يجب ان اقولها لك لاجعلك تتوقفين عن هذا البكاء ؟"

لايصدق ما يفعله ! لايصدق انه بهذا الضعف امامها ! يا الهي ... لماذا هي بالذات ؟! كل شيء استيقظ ليعيده لايام مراهقته وهو يدور في شوارع الحي بحثا عن طيفها ككلب تائه يبحث عن صاحبه !

انزلت كفيها وهي تحاول مسح وجهها بحرج شديد ، عيناها تتحاشيان النظر اليه بينما هو يشعر بسعادة سخيفة !

قالت وهي تعض شفتيها " انا سخيفة جدا ! اعلم انك لاتقصد الاساءة الي ابدا ، لو كنت تريد لفعلت اسوأ من هذا وانت تلتقطني تلك الليلة ، انا اعلم ايضا انها طباعك بينما في داخلك رجل طيب وشهم "

ارتعش وشعور بالذنب يمزقه ،

انزل كفيه عن كتفيها ليقول بحشرجة وهو يتطلع لعينيها البراقتين من اثر الدموع " هل تثقين بي لهذا الحد يا شهد ؟! "

ابتسمت بنعومة وهي ترد بصدق " بل اكثر مما تتصور ، اسامة انا مررت بايام موحشة شعرت فيها .. اني ... "

اختنقت وهي تكمل بألم مبرح ترسمه ملامحها " اني سلعة معروضة امام ... الرجال .. رجال اراهم في الشارع فيطمعوا بي ويلاحقوني بعروضهم الصفيقة في ذهابي وايابي ورجال اخرين يعرضني مؤيد عليهم بحجة الزواج !"

اطبق اسامة فكيه بشراسة وهو يتذكر عندما رآها في الشارع ولم تتعرف عليه بسبب سيارته المظللة الجديدة، تذكر بوضوح اكبر كيف كان وجهها شاحبا مرتعبا لتستعيد بشرتها لونها عندما اكتشفت هويته .

تقبضت يداه على جانبيه وفتح فمه ليتكلم عندما الجمه رنين هاتفه النقّال ، رنين مميز يعرفه ! كان كمن يصفعه على وجهه ليستيقظ من غيبوبته ، وزاد الطين بلّة عندما قالت شهد برقة " انها موسيقى عاطفية وارجح انها من خطيبتك اليس كذلك ؟"

اكتفى بهز رأسه كأهبل اخرس بينما التفتت شهد وهي تقول " شكرا لكل شيء اسامة واعتذر اني دوما اصدع رأسك بهذري البائس ، اعتذر لخطيبتك نيابة عني ايضا .."

راقبها كيف فتحت الباب بهدوء لتغادر بينما رنين الهاتف صمت !

همس لنفسه بانشداه " لااصدق ما يحدث لي !"

ما ان اغلقت الباب خلفها حتى تنفست الصعداء ، شعرت بالرضا لانها اثبتت لنفسها ان اسامة رجل جيد ، رجل تطمأن اليه فعلا ، رجل تعتبره ك .... أخ ... اجل انه أخ تمنت دوما ان تراه في شخص مؤيد لكن الله عوضها بأسامة .

تحركت لتغادر وهي تبتسم لسكرتيرته باطف وبينما في طريقها للمكتب الذي تعمل فيه مع الاستاذ بهاء تسللت اليها فجأة تلك اللحظات عندما كان اسامة يمسك بيدها بقوة لتتحول بعدها لملامسة حانية ... عاط... هزّت راسها برفض قاطع وعنفت نفسها لانها تسيء الظن به بعد ان شعرت بالامان معه ، حقا انها غبية وميلودرامية من الدرجة الاولى كما انها كما يبدو عاشت لفترة طويلة تلتقي بانواع من الرجال حثالة جعلوها تتشكك في اي نظرة او ابتسامة او حتى ملامسة بريئة

، اسامة ليس هكذا ، ارتعشت باحساس غريب وهي تهمس باصرار " اجل ليس هكذا ؟"

اتصل بسهر وهو في حالة من الهدوء الظاهري بينما كان داخله يموج في انفعالات غير مفهومة ! انه اكثر تشويشا من اي وقت مضى في حياته ، غير قادر على تحديد ما يريده بالضبط بعد ان كان واثقا انه يعرف كل شيء !

داعبه صوت خطيبته على الطرف الآخر " مرحبا يا متبلد المشاعر ، لماذا لم ترد على اتصالي ؟؟ لاتقل انك كنت تتحرش باحدى موظفاتك المفتونات بك واللائي يتحيّن الفرص ما ان اوليهن ظهري ؟"

ابتلع ريقه وشعر بالصداع ينبض على جانبي رأسه ، رفع يده يملس على صدغه وهو يقول لسهر بغموض " انا مشغول الان يا سهر ، هل تريدين شيئا مستعجلا مني ؟"

احبطت وهي تستشعر بروده ونزقه ! كانت تتوقع بعض اللامبالاة التي تعتبرها كنوع من الاستفزاز يستخدمه معها كمزحة ، لكنه ... يبدو .. غريبا ! لم يكن هكذا عندما تركته قبل ساعة !

قالت بلطف تداري حيرتها " اسفة حبيبي ،
اعلم اني احيانا لجوجة ومزعجة "

تنهداته لامست اذنها فاكملت سريعا وهي
تقول ببشاشة " بسبب قبلتك التي لم تحصل
عليها نسيت ان اخبرك بأن والدتي تدعوك
على العشاء هذه الليلة .."

حل الصمت فتوجست سهر اكثر ، تساءلت في
سرها " ما به ؟!! ماذا يحصل له ؟! سأجن من
هذا الرجل ..."

نادته بقلة صبر " اسامة .. هل سمعتني ؟!"

رد اخيرا بهدوء شديد محيّر " نعم .. سمعتك
.. بلغي حماتي المستقبلية شكري لها على
الدعوة ويسعدني تلبيتها "

عبست سهر وهي تقول " لماذا تبدو رسميا
هكذا ؟! اكرهك وانت بهذا المزاج !"

ضحك بخفة وهو يقول " لا .. عزيزتي .. انت
لاتكرهيني ... اراك الليلة فربما رؤيتك
ستكون علاجا ناجعا لتوتري .."

فتحت فمها لترد عندما شعرت ان الخط انقطع
!

على الجانب الآخر كان اسامة ينظر لعلبة سجائره بغيظ ! يريد ان يسحب سيجارة ووجه شهد المبتسم يقف في طريقه !

شتم وهو يقف على قدميه ليتحرك في مكتبه ذهابا وايابا في خطوات قلقة وافكاره في حرب ضروس من التضادد!

فجأة توقفت خطوات ليعقد حاجبيه وهو يقول لنفسه باستهجان " هل تريد ان تضعف الان يا اسامة ؟! ومع من ؟ مع شهد التي ليس لديها ذرة مشاعر نحوك ؟ "

عبوسه تزايد فالتمعت عيناه بقسوة واخشوشن صوته من شدة غضبه وهو يقول " هل ستعود لدوامة التذلل ؟ التذلل ان تمنحك اهتماما كرجل ؟ ان تنظر اليك كما كانت تنظر لاحمد ؟ وماذا يجبرك على هذا ؟؟!!! انت رجل ناضج ناجح ولديك خطيبة جميلة مرحة تتمنى رضاك " وبعناد اضاف " خطيبة اصغر سنا من شهد وليس لها تجارب حب قبلك ولا زواج فاشل ... فتاة بشهادة جامعية وتنتمي لعائلة محترمة مشرفة .. فتاة سيشرفك ان تحمل اطفالك وتطمئن لتربيتها لهم بلا عقد ولا ماض اليم يثقل كاهلها وكاهلك "

عند هذه الكلمات استرخى اسامة تماما واستعاد شعوره بالسيطرة ، بل انه اكثر سيطرة من اي وقت مضى !

بعد شهر

نظر اسامة الى عمه خليل بجسده النحيل المستلقي على سريره المريح ، اسامة حرص على ان يكون هذا السرير مريحا علّه يخفف بعضا من الآلآم التي تواجه جسد عمه المعلول .

قال العم بضعف وهمس متعمد " كيف هي خطيبتك ؟"

احنى اسامة رأسه قليلا وهو يقول بابتسامة مشاغبة " بخير ولو انها في الاونة الاخيرة اصبحت تتدلل علي وتخاصمني خصيصا لتحظى بمصالحتي ! "

تبسم وجه عمه الشاحب من اثر المرض الطويل ثم قال بهمس ايضا " لاتكن فظ القلب واللسان معها ، انها فتاة في مقتبل العمر وكل الفتيات يحببن التدليل من ازواجهن "

رفع اسامة رأسه ليقول بعبوس " لماذا تصر على الهمس عندما تتكلم عنها ؟! انا لايهمني ان علمت عمتي زليخة بالامر "

نظر اليه العم بعينين ذابلتين كذبول روحه ثم قال بأسى " انا يهمني ، سيزيد حقدها عليك "

تنهد اسامة وهو يدير راسه جانبا ويقول " لااعلم كيف رجل بمثل رقة طباعك احتملها كل هذه السنوات "

رد العم بألم غريب " عليك ان لاتحكم بالظاهر فقط يا اسامة فربما نحن متلائمين اكثر مما تظن "

اعاد اسامة نظراته لعمه ليواجهه قائلا " لماذا لم تتزوج امرأة اخرى تسعدك وتنجب لك اطفالا "

اسبل العم اهدابه ليقول بهدوء " لااريد ان اتكلم بهذا الموضوع "

صمت للحظة ليقول بعدها بحشرجة " اعلم انك عانيت الامرين بسببها وانا كنت ضعيفا جدا لارد اذاها عنك .. سامحني يا ابن اخي "

رد اسامة وهو يضع يده على يد عمه الملقاة على جانب جسده " لقد سامحتك منذ زمن بعيد عمي ، انا ادرك معنى ان يكون الانسان ضعيفا ولايستطيع المقاومة ، ليس ذنبك انك تشعر هكذا ، يكفيني انك كنت تحاول لاجلي حتى لو فشلت ! هذا علمني ان اقاوم دائما ..."

رفع العم اهدابه لينظر لاسامة نظرات رقراقة بالحنان ثم قال " تذكرني بوالدك رحمه اللّه ، اخي الصغير الطموح الذي لايستسلم "

قست ملامح اسامة ليقول العم باشفاق " لا زلت لم تغفر لهما اليس كذلك ؟"

زمّ اسامة شفتيه بينما اكمل العم برجاء " اغفر لهما بنيّ كما غفرت لعمك ضعفه .. الغفران راحة للنفس .. هما لم يتعمدا اهمالك ، كانا طموحين وارادا السعي للافضل في مستقبلهما وبالتالي مستقبلك انت ، ابنهما الوحيد "

قال اسامة بشراسة " اي افضل عمي ؟!!! بأن يوصلا الليل بالنهار في وظائف متعددة لمجرد ان يجمعا المال بينما يتركان طفلا وحيدا بالبيت لاترعاه الا خادمات غريبات الاطوار ؟! "

اراد ان يقول العم ما يخفف عنه " اسامة .. "

لكن اسامة قاطع نداءه الرقيق ليكمل بشراسة اكبر وقد امتزجت بالسخرية " وماذا جنيا بعد كل هذا ؟! كل المال الذي جمعاه وحتى الشقة الوحيدة التي كنا نملكها باعاها واستبدالها بشقة مؤجرة وكل ذلك للدخول في مخاطرة البورصة ! "

عاتبه العم برقة " اخطآ ... كلنا نخطئ بني .. "

لكن اسامة لم يتنازل ذرة عن قساوته ليرد على عمه قائلا " اجل اخطآ .. والخطأ احيانا اقرب للخطيئة ! "

تنهد العم باحباط ليقول بعدها " بنيّ عدني ان تحاول المصالحة مع نفسك ، ما زال في داخلك الغضب ينهش روحك ، الم يئن الاوان ؟!؟ الا يكفي ان والديّك دفعا الثمن بخسارة كل المال وخسارة حياتهما وهما في ذروة الشباب .."

رفع اسامة ذقنه قليلا ليقول بثقة " لاتقلق علي عمي ، انا اعرف كيف اسيطر على الماضي ، كيف استغله لاتقدم فلا اسمح له بسحبي للوراء بل اسحبه الي ليعاني الاحباط وهو يرقب نجاحي .."

رد العم بعبوس حائر " لماذا اشعر انك تقصد اناسا معينين من الماضي ؟! "

اطرق اسامة ليقول مغيرا وجهة الحوار " كيف هي ام حسن معك ؟ هل تجيد العناية بك ؟" سايره عمه ليرد عليه مبتسما " نعم .. رغم انها تثير حنق زليخة لكنها ترضخ لها "

هزّ اسامة راسه باحباط ليقول بأسف " كم اتمنى ان تدرك ان زوجتك اضعف مما تخيل ، انت فقط من لاترى هذا "

وكالعادة .. عند هذه النقطة يتراجع العم فيختار اسهل الطرق يسبل اهدابه ، يخفي نفسه ويمنع استرسال ابن اخيه !

قال العم بلطف " دعني انم بنيّ ، اشعر بالارهاق دبّ في جسدي الواهن فجأة "

حرص اسامة على ان يغطيه بشكل جيد ثم وقف على قدميه وانحنى قليلا يقبل جبينه ليقول " حسنا عمي ، اراك قريبا .."

تمتمت شفتا العم وهو يستسلم لنعاسه " في امان اللّه بنيّ "

خرج اسامة من غرفة عمه على مهل ، فبتأثير الادوية الكثيرة التي ياخذها فأن عمه يغلبه النوم احيانا وبشكل مفاجئ ، كما حصل الان بالضبط فما ان قال له (في امان اللّه بنيّ) حتى غط في نوم عميق !

خطواته كتمتها السجادات القديمة المهترئة التي افترشت الارضية الشاحبة فابتسم وهو يمني النفس بمغادرة هذا البيت الموحش دون ان يرى وجه زليخة .

اسعده ان يسمع صوتها وهي تتكلم بحماسة مع احدى الجارات في غرفة الضيوف فعلم ان امنيته ستتحقق لامحالة .

اوشك ان يتجاوز باب غرفة الضيوف عندما طرق اذنيه اسم (نجوى)!

توقفت خطواته وارهف السمع لحديث المرأتين ، كانت زليخة من تتكلم بثقة قائلة " صدقيني يا ام ضياء انا متأكدة مما اقول ،

ذلك الشيخ المدعي اقنع نجوى انها ما دامت في بيته وتحت حمايته فيعتبرها من حريمه وتحل له معاشرتها دون عقد زواج حتى ! "

فترد عليها ام ضياء باستنكار " ولكن يا زليخة كيف يكون هذا ! نجوى انسانة حرة وهذا غير جائز كما لااتصورها غبية لهذه الدرجة لتصدق كلاما كهذا فتحلل رضوخها لمعاشرته !! هذا زنى فاضح .."

تصلب اسامة واتسعت عيناه بصدمة وهو يسمع هذا الكلام بينما جاءه صوت زليخة قائلا باشمئزاز " هو طبعا شيخ دين ويستغل الامور لصالحه ومؤكد له طريقته في الاقناع،

يريد طفلا وبنفس الوقت لايريد ان يتورط بزواج ثانٍ يتحمل تكلفته ومسؤوليته وقد تكون زوجته جنان هي صاحبة الافكار لا الشيخ ! وقد يخططان لرميها الى الشارع ما ان تلد الطفل "

ردت ام ضياء وكأنها حلّت لغزا " اذن لهذا السبب مؤيد لانراه في الحي مؤكد لايحتمل مواجهة هذا العار ! مع انه من تسبب فيه اولا "

صوت انغلاق الباب بقوة جعل المراتين تجفلان فقالت ام ضياء " من اوشك على تحطيم الباب هكذا ؟!"

زمّت زليخة شفتيها بحنق بينما الكره ينضح من نظراتها لتقول بعدها " انه ذلك المنبوذ ابن الملاجئ .. لقد كان يجالس خليل في غرفته "

ادّعت ام ضياء مؤازرتها في حنقها بينما في سرها تتساءل عن سر رضا زليخة بتواجده في بيتها رغم كل هذا الكره الذي تكنه لابن اخ زوجها الا ان الجميع يرجح ان ابن الملاجئ هذا يساعد بيت عمه ماديا رغم انكار زليخة لهذا !

كان الشيخ يحيى يجلس متربعا على ارضية المسجد المفروشة بسجاد احمر قام بكنسه بنفسه قبل قليل ، وها هو يستغل وقت فراغه القليل ليقرأ ما تيسر له من القران الكريم .

احس بدخول احدهم للمسجد فتفاجئ قليلا وهو ينظر لساعته ويقول " ما زال الوقت باكرا لصلاة المغرب ؟"

التفت ليرى من القادم فاذا به رجل شاب انيق المظهر ، اكثر اناقة مما اعتاد على رؤيته بين رجال الحي ، لكن الشاب بدى وكأن الغضب قد احاط به كهالة من كل جانب فتلفظه نظراته وتثيره خطواته وهو يتوجه نحوه بالتحديد !

وقف الشيخ على قدميه بسمته الهادئ فبادره بالسلام لانه شعر ان الشاب لن يلقي عليه التحية !

تفاجئ اكثر ان الشاب لم يرد حتى على سلامه ثم صدمه وهو يقترب منه بعنف ليمسك خناقه من اعلى جلبابه ويقول بشراسة " ايها المريض المختل ! ماذا فعلت بنجوى ؟! بماذا اقنعتها ؟ "

عبس الشيخ يحيى وقال بحيرة " من انت ؟ وما هذا الذي تقوله ؟!"

رد الشاب وهو يكز على اسنانه ويشد من خناقه " لادخل لك فيمن اكون ، اخبرني فورا ان الكلام الذي سمعته عنك وعن نجوى ليس صحيحا والا اقسم بصاحب هذا البيت لاقطعنّك تقطيعا غير مبال بمكانتك وشيب لحيتك ايها المدعي "

تطلع الشيخ نحو عيني الشاب العاصفتين ليقول بهدوء " يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين "

للحظة تخلل الغضب بعض الشك فتراخت قبضته عن ملابس الشيخ يحيى فابتسم الشيخ وهو يقول بهدوء " زوجتي لن يعجبها ما فعلته بملابسي فاترك ما تبقى واجلس قليلا لنتحدث "

تركه الشاب بتردد ثم قال الشيخ " اجلس بنيّ .. فيبدو ان حديثنا سيطول "

وهكذا جلس الرجلان ليسأل الشيخ يحيى اولا " اولا .. عرفني بنفسك ... فيبدو انك تعرفني بينما انا اجهلك "

رد الشاب بانفاس ما زالت ثائرة " انا اسامة .. اسامة الهاشمي "

بعد ساعات عندما دخل الشيخ يحيى بيته كان ما يزال يفكر بكل الحديث الذي تبادله مع اسامة ، شعر بثقل المسؤولية يزداد على كاهله فدعا ربه سرا ان يعينه لفعل ما فيه الخير للجميع .

تلقته زوجته ببشاشة اكبر من المعتاد فاثارت ريبته قليلا خصوصا وانها لاتبدو على طبيعتها هذه الايام ، تصورها في البداية سعيدة بتاثيرها الايجابي على نجوى وقد وجدت فيها متنفسا لعاطفتها الامومية الفائضة ، حتى نجوى بدت مختلفة عن تلك المرأة التعيسة التي احضرها من المستشفى واصبحت تتواجد معه ومع زوجته خلال وجبات الطعام فتشارك في الحديث ولو بحياء شديد ، ورغم انه كان يكلمها دوما الا انه لم ينظر اليها مباشرة احتراما لها وتنفيذا لتعاليم الدين .

تبسم في وجه زوجته ليقول بمرح يخفي همومه خلفه " تبدين مبتهجة جدا يا حبة القلب "

وكأنها كانت تنتظر سؤاله هذا لتقول بفرح غامر " اجل يا شيخ .. اني واللّه في قمة سعادتي "

ذابت عيناه حنانا وهو يتطلع اليها ليقول " امنحيني السعادة بمعرفة سر سعادتك "

ردت غامزة " فلترَ سر سعادتي بأم عينيك "

ثم التفتت لتنادي " تعالي يا نجوى .. لاتخجلي .. تعالي فالشيخ سيسعده الامر.."

وهكذا اطلت نجوى من عند باب غرفة الجلوس فاطرق برأسه مباشرة وهو يقول بلطف " السلام عليكم اختاه .."

ردت بصوت خجول " وعليكم السلام يا شيخ "

عندها حثته جنان بقلة صبر " ارفع رأسك يا شيخ .. انظر لها .."

متبرما من الحاح زوجته رفع الشيخ راسه ليفاجئه صورة نجوى برداء ازرق طويل بكمين طويلين بينما تغطي شعرها بحجاب ناصع البياض لائم وجهها بملامحه الراضية .

قال من فوره بحبور " ما شاء اللّه ..."

احمرت نجوى بينما تململت جنان وهي تتمسك بابتسامتها قائلة " ما رأيك يا شيخ ؟ اليست نجوى امرأة مميزة ؟"

اطرق الشيخ مرة اخرى وهو يلتقط ذبذبات صوت زوجته ليقول بلطف " الحمد للّه على نعمائه ..."

يجالس صحبة الليل دون ان يشاركهم شرب الخمر ، ليس عن امتناع عن الفعل ولكن لان عليه التركيز على ترتيب افكاره بذهن متيقظ، على قمة اولوياته تقوية علاقته بالمالك الجديد للمحل التجاري الذي يديره،

يبدو ان رجل يعشق النظر للنساء لكنه متردد خجول وربما لايثق بنفسه وهذا يلائمه ! يستطيع السيطرة عليه بوضع نساء منتقيات في طريقه ، ابتسم برضا وهو يضع الخطط حتى لايبدو من يدفعه للموضوع فكل شيء يجب ان يتم بحذر وتأن ، اخيرا التقط كأسا ممتلئا امامه طال الوقت وهو ينتظر ان يرشفه احدهم .

مازحه بعبث احد اصدقائه قائلا " هل تبتسم لتخلصك بشكل نهائي من هم اختيك ؟ فلم يعد يثقل كاهلك وجودهما في حياتك ،

وخصوصا تلك العانس التي لم تجد من يلتفت اليها وقد غطت الصغرى عليها بجمالها وجاذبيتها "

رد مؤيد بتبجح " لولا انك مخمور لحطمت اسنانك "

ضحك الرجل بقوة ثم قال ساخرا " احب فيك مواهبك في التمثيل والتصنع ! كم انت اخ غيور ؟!"

فقال صديق اخر بسخرية اشد " انت لاتعرف ... انه يغار على البضاعة التي سرقت منه قبل ان يتمكن من بيعها !"

ضرب مؤيد بكاسه على الطاولة امامه حتى اوشك ان يحطمه ثم قال بغضب وهو يقف على قدميه " رفقتكم اصبحت بلاطعم .."

صديق ثالث اختار ان يكون حمامة السلام حتى لايفسد جو الجلسة فقام على قدميه يربت على كتف مؤيد قائلا " اجلس يا مؤيد ، انهم يمزحون معك "

كان مؤيد على وشك الجلوس عندما اوقفه رؤية صديق رابع يدخل احدى غرف النوم في هذه الشقة المؤجرة لسهراتهم ولم يكن بمفرده بل صاحبته فتاة بشعر اسود مموج ووجه جميل مميز .

سأل وهو ينظر اليها بنظرة النخاس المحترف " من هذه ؟" رد بسخرية من كان يدعي استرضاءه " هل تريد اسما ؟!"

لكن مؤيد لم يهتم للسخرية وانما قال بشكل عملي محدد " بعد ان تكمل ما جاءت من اجله اريدها على انفراد "

رفع الرجل الآخر حاجبيه قليلا ليقول بتفكه " لم اعرفك من النوع الذي ينجذب لبنات الهوى من اول نظرة هكذا !! "

نظر اليه مؤيد ليقول بصفاقة " انه عمل .. مجرد عمل .."

صباح اليوم التالي

تسير بتماهل وهي تعود باتجاه المبنى الذي يضم شركة الهاشمي في طابقيه الخامس والسادس ، كانت فترة الغداء وهي تخرج كالعادة لتتناول غداءها من المطعم الشعبي الصغير في نهاية الشارع ، هذا اقصى ما تستطيعه تحمل نفقاته وهذه وجبتها الرئيسية التي تعتمد عليها لتسند جسدها الذي نحل اكثر خلال هذا الشهر .

لم يكن قلة الطعام ما يشغل بالها وانما شغلها التفكير بمستقبل يأبى الا ان يبقى مجهولا ! تعيش ايامها في وحدة لاترحم ، تستجدي امانا ثابتا واهتماما حقيقيا ومحبة خالصة لها لكن ... دون ان تحصل على شيء .

ايامها تتشابه في ارهاقها فتخرج منذ الصباح الباكر من شقة السيدة جهينة والشمس ما زالت تداعب الاجفان النائمة ، السيدة جهينة لاتستيقظ قبل وقت الضحى وهذا حسب ما اخبرتها به في احدى جلساتهما القليلة اما النساء المتواجدات معها في السكن حاليا فهن فتيات جامعة جئنَ من مدن اخرى ليدرسن في اقسام مختلفة ، وهؤلاء لايحتجن للنهوض مبكرا مثلها فالجامعة لاتبعد الا شارعين عن مبنى سكناهن شبه المتهالك ، فيتحملن فقر المكان الذي يتخفى خلف المباني الانيقة المطلة على الشارع الرئيسي بسبب هذا القرب الذي يغنيهن دفع المزيد من المصاريف .

في حين ان شهد تضطر لتغيير ثلاث حافلات لتصل مبنى الشركة بعد مشقة لايدركها الا من يعاني مثلها .

تشعر ان حالها مختلف في كل شيء ! انها الثلاثينية الوحيدة وسط شريكات السكن من شابات يافعات بالكاد تخطين العشرين وهن يبحثن عن احلامهن بشهادة عليا ليبنين مستقبلهن او ربما البحث عن عريس يشاركهن

هذا البناء ، بينما هي ترمم بصعوبة شديدة
بناءا معيوبا اساسه غير منتظم لحياتها
الضائعة وتشعر انها تسير ببطئ كالسلحفاة
في هذا الترميم الذي لم تعد تشعر انه سيحقق
لها ما تبتغيه بالسرعة التي تحتاجها .

انها تحتاج ان تستقر اكثر في مكان يخصها
وحدها بعيدا عن وجوه غريبة متغيرة
تشاركها السكن فتتباعد خوفا من كشف
المستور ! كل ما تعرفه الفتيات عنها انها
امرأة مطلقة وحيدة بعد وفاة امها وشظف
العيش اجبرها على ترك محل سكناها
لتبحث عن عمل وسكن جديد اقل كلفة
لاتعيش فيه بمفردها حتى لايطمع فيها مرضى
النفوس ، هذه هي فكرتهن عنها رغم انها
تجد في نظراتهن تساؤلات لاتنتهي عن سر
انعزالها عنهن هكذا ! فقط السيدة جهينة
التي لاتنظر اليها بهذا التساؤل الفضولي
وكأنها لاتهتم ! او ربما لانها تؤمن
بالخصوصية ، وياَل العجب لوجود امرأة بهذه
العقلية في هذا الزمن الذي يستمتع به الناس
بالبحث عن الشائعات خلف الحقائق !

لكن السيدة جهينة تعرف عنها اكثر من
زميلات السكن ، تعرف ان اسامة كان جارها
في الحي القديم وهو من وظفها في شركته
شفقة عليها !

عند تذكرها لاسامة اصابها بعض الاحباط !
منذ ذلك اليوم الذي زارته فيه في مكتبه
لتبارك له خطوبته وحصل بينهما ذلك
الموقف وهو يتجاهلها ويتعامل معها ببرود
شديد اذا التقيا صدفة في الشركة ، حتى
انها لم تذهب لمكتبه مرة اخرى و لم تتجرأ
على الاقتراب بأي شكل او حتى الاتصال به
هاتفيا وهو لم يتصل ايضا ..

تصورت انه سيعرفها بخطيبته سهر لكن هذا
لم يحدث وبدلا من ذلك شعرت انه يبعدها
عن محيطه فاستلمت هذه (الرسالة غير
المعلنة) منه وابتعدت ..

تراه احيانا يغادر برفقة خطيبته الجميلة
ضاحك الوجه مبتهج الملامح واذا التقت
طرقهما يكتفي بأن يحييها بايماءة خفيفة
بينما خطيبته تكتفي بالابتسام .

تنهدت وهي تدخل باب المبنى الزجاجي الذي
يفتح الكترونيا واخذت تصارح نفسها ان
وحدتها ربما زادت بعد جفاء اسامة هذا !

انها تخشى اقامة علاقات انسانية عميقة
خوفا من افتضاح سرها وحقيقة هروبها من
بيت عائلتها ليلة زفافها، تخشى نظراتهم وهي
تحاكمها بقسوة على امر فاق قدرتها على
الاحتمال وليس هذا فحسب بل خوفها الاعظم

ان يحدث الاسوأ ... ان يكتشف مؤيد بطريقة او بأخرى مكانها ويصل اليها ...

وهكذا تكتفي بعلاقات طيبة بعيدا عن الخصوصيات والاستاذ بهاء اكثر علاقاتها في الشركة عمقا ان صح التعبير ، هذا الرجل الارمل والذي يقارب الخامسة والاربعين اخذ تشعر يتقرب منها بعمق جديد هذا الايام ، يظهر بوضوح اعجابه بها ويلمح مرارا لحاجته لامرأة في حياته بعد زواج ابنه الوحيد .

سارت في خطواتها حتى كادت ان تصل المصعد عندما لمحت اسامة من بعيد ، كان يقف موليا ظهره لها وهو يحادث خطيبته ببعض الجدية بينما بدت الفتاة خائبة الامل وعيناها الجميلتان تعبران عن تذمر محبب ، اجل تعترف ان لهذه الفتاة نكهة محببة ويحق لاسامة ان يحبها ويختارها كعروس له تسعد ايامه بعد معاناته لسنوات طوال ...
اختنقت رغما عنها وهي تتأرجح بين عدة مشاعر تتملكها ، فما بين فرح حزين من اجل اسامة وبين احساسها بالغيرة لانها لاتجد من يحبها هكذا وبين احساس اخر فسرته انها تفتقد اسامة حقا وتفتقد سؤاله عنها واهتمامه بها!

فتح باب المصعد واوشكت ان تصطدم بالرجل الخارج منه لولا تراجعها خطوتين للخلف ،

تبسّم الاستاذ بهاء وهو يقول لها " مرحبا انسة شهد .. "

اعتراها نفس الحرج الذي تشعر به كلما ناداها (انسة) فعلى عكس زميلات السكن اللواتي يعرفن بطلاقها فأنها حجبت هذه المعلومات في الشركة ، تشعر بالخجل الشديد وتؤرقها الفكرة .

لكن ... الاستاذ بهاء مسؤولها المباشر وعليها ان تكون اكثر صراحة معه وقد تعامل معها بكل احترام ورقيّ طوال الشهر المنصرم .

اخرجها من شرودها الآني صوت الاستاذ بهاء وهو يسأل بلطف " لماذا ترتبكين كلما ناديتك انسة ؟"

احمرت ! هذه هي المرة الاولى التي يكون مباشرا معها هكذا !!

احمرارها كان له دلالاته عند الاستاذ بهاء كما يبدو لانه سارع ليقول بخيبة امل واضحة " هل انت متزوجة ؟!" ثم تلعثم وهو يكمل " اسف .. لم افترض.. انك متزوجة لانك لاترتدين خاتم الزواج ، رغم اني اعترف ...عندما قرأت ملفك واكتشفت انك في الثلاثين اندهشت ! .. فكيف لفتاة مثلك لم تتزوج لحد الان "

اغمضت عينيها بحرج شديد وهي تتمتم " استاذ بهاء ..."

ثم اخذت نفسا لتعلن بتهور وقرار فجائي " انا ... مطلقة .. لهذا لم يذكر شيء في ملفي عن حالتي الاجتماعية "

فتحت عينيها الان لتنظر لوجهه الذي رغم صدمته الا انه بدى ... سعيدا !

مع ذلك قال بهدوء " اسف .."

ردت بحرج متزايد وهي تعيد بعض خصل شعرها خلف اذنها " انا هي الاسفة .. لااحب ان اكذب وادعي اني فتاة لم يسبق لها الزواج .."

قال بملامح متسامحة واعتذار حقيقي " بل انا من يجب ان يعتذر لاني اجبرتك على قول شيء يحرجك رغم اني ارى الزواج قسمة ونصيب وقد لايتوفق اثنان لسبب او لآخر دون ان يمسهما شيء يعيبهما "

ثم نظر لعينيها فجأة ليسأل " الا يوجد فرصة للصلح ؟"

ردت باختناق لاتعرف مبعثه الحقيقي " زو ... اقصد .. طليقي ... توفي منذ اكثر من سنة ... "

اقلقها ان ترى ابتسامته تشرق ثم تجاوزه لاي تعبير مواس ٍ ليغمز لها بدلا من ذلك وهو يضع كفه بعفوية على كتفها ويقول " ما رأيك ان اناديك شهد فقط ؟ هذا افضل من حرج اختيار لقب انسة او سيدة .."

للحظة ارادت ان تتراجع للخلف حتى تبعد يده عن كتفها لكنها جبنت ! جبنت ان تظهر نفورا طبيعيا لديها من لمسات الرجال واكتفت بدل ذلك بأن تقول بتوتر" شكرا استاذ بهاء .."

اوشكت ان تتنفس الصعداء عندما ابعد هو يده طواعية لكنها منعت نفسها حتى لاتظهر توترها اما هو فقد قال وهو يتجاوزها بخطواته

" حسنا بما انك عدت من فترة غدائك فاستطيع الخروج الان لقضاء بعض اموري خارج الشركة " ثم لوح لها وهو يكمل قائلا " وضعت لك بعض الملفات فارجو ان تبدأي العمل عليها عزيزتي "

كلمة عزيزتي خرجت منه بشكل عفوي رغم انه يناديها هكذا لاول مرة منذ عملها معه !

وسواس تسلل اليها على حين غفلة وهي تطلب المصعد " لماذا لم تتوتري من ملامسة اسامة لكتفيك قبل اسابيع ؟!!"

" اليست تلك شهد ؟ ومن هذا الرجل اللطيف الذي يتكلم معها ؟"

كان صوت سهر قد تحول فجأة من خيبة الامل لرفضه الخروج معها الليلة للحماسة الشديدة والترقب !

لكن اسم شهد جلده عندما اقترن باسم رجل!

التفت بحدة ليرى مع من تقف واثارت حماسة سهر هكذا !!

توتر شنّج عضلات جسده باكملها وهو ينظر لوقفة شهد مع الاستاذ بهاء ، حتى سهر ادركت من لغة الجسد ان هناك عاطفة خاصة سارية بينهما .

عاد صوت سهر يضايقه بالحاحه " تبدو جارتك الجميلة المظلومة ستجد اخيرا زوجا مناسبا "

جملتها اتت في توقيت سيء جدا ، فها هو يرى بعينين متسعتين يد بهاء ترتفع لتحط على كتف شهد !

لمسة سهر على كتفه هو اجفلته بقوة حتى ان اجفاله جعل سهر تتراجع توجسا لتقول بارتباك حائر " اسفة .. اجفلتك ! لكن .... ما بك ؟!"

رد وهو يسبل اهدابه يخفي حدته ليقول بصوت غريب " انا من يعتذر سهر ولكن عليك المغادرة الان فلا وقت لدي لدلالك المفرط !"

مرات عدة كلّمها بلهجة ساخرة وربما فظة بصراحتها لكن ... هذه هي المرة الاولى التي شعرت بها يدفعها بعيدا وبقوة ! لا ... لم تكن المرة الاولى بل الثانية بالتحديد ! ذلك اليوم في مكتبه عندما اعلن عن رغبته بقبلة ليرتد كالملسوع ما ان شم عطرها ..

تلك القبلة حصلت عليها فيما بعد وكانت سعيدة بانجذابه اليها خلال الايام التالية .. لكن ... ماذا يحصل الان بحق الله ؟!!

وقبل ان تجد ما تقوله قال بغموض كامل وهو يشير ناحية باب المبنى " سا تصل بك الليلة .. الى اللقاء .."

عبست قليلا ثم تحاملت على نفسها حتى لاتحرج موقفها اكثر فرفعت ذقنها بكبرياء والتفتت لتغادر دون ان ترد سلامه ... لكن .. في داخلها كانت تشحذ ذكاءها لتتلمس طريقها حتى تضع يدها على سر تغيره المفاجئ !

داخل المصعد تقف بذهن شارد قليلا بينما عيناها مطرقتان باسترخاء نحو الاسفل تلتقطان بلا تركيز منظر بوابتي المصعد الفضيتين وهما تنغلقان بانسيابية ،

وقبل ان تدرك ما يحدث حذاء رجالي اسود
انحشر بسرعة وقوة بين البوابتين في اخر
لحظة !

اندهشت من عنف الحركة وقد كان فاعلها
يستطيع ان يضغط ببساطة على زر طلب
المصعد من الخارج فتنفتح البوابتين مرة
اخرى !

رفعت رأسها والبوابتان تنفتحان لتتقدم بنفس
العنف هيئة اسامة الغاضبة وهو ينظر اليها
نظرات عاصفة بينما يده اليسرى تنقل عنفها
لزر المصعد الداخلي لينغلق خلال لحظة !

كل هذا وهو يواجهها بتلك النظرات
المرعبة ودون ان ينطق لسانه بحرف واحد !!

الفصل السابع

رأته بعينين مذهولتين يلغي رقم خمسة ليضغط على رقم ستة !!

همست باختناق " انا .. ذاهبة للطابق الخا.."

شهقت وهو يحرك الهواء بقوة اقترابه منها يغرز انامله في ذراعيها فلا تحميها البلوزة الصوفية من قساوة تلك الانامل !

نظرت اليه وضاعت في هذا العنف الرهيب الذي يطفح به وجهه ، عيناه تكادان تخرجان من محجريهما بينما همس بشفتيه اللتين ابيضتا من شدة الغضب " اريد تهشيم عظامك كلها، عظمة تلو عظمة ، لاسمع صوت طقطقتها يصاحبها انين صوتك عسى ان يريحني الشعور بألمك ويخفف من جحيم الغضب الذي يشتعل بي الآن "

فتحت فمها بصدمة شديدة فاقدة القدرة على الاستيعاب حتى تملك القدرة على الرد !

انفتحت بوابتي المصعد وبكل ثقة التفّ اسامة ليحرر احدى ذراعيها بينما انامله تنغرز بقساوة اكبر في ذراعها الآخر وهو يسحبها خلفه .

كانت ممتنة في هذه اللحظات ان الطابق السادس لايضم الا كبار الموظفين وساعة الغداء لديهم تمتد لساعتين وهكذا خلا الطابق تماما فأعفوها من الشعور بالخزي فيما لو تواجدوا ليروا اسامة يسحبها خلفه بهذه الطريقة المهينة .

يلقي بنظراته لوجهها المذهول بينما يصل بها مكتبه الخالي ليدخلها اليه وهو ذاهل كذهولها !

ذاهل مما يفعله وكيف أن جسده خرج عن نطاق سيطرته واصبح تحت سيطرة ذلك الوحش البائس الذي يسكنه ...

اغلق باب مكتبه بعنف خلفهما ثم دفع شهد بعيدا عنه فتراجعت بتعثر للخلف حتى اوشكت ان تقع ارضا لولا تمسكها بحافة مكتبه .

قال لها من بين اسنانه وهو يقترب منها " اتمنى ان تستحق جدران مكتبي ما صرفته عليها من مال لتكتم صراخي "

وضعت يدها على فمها بارتجاف وهي تنظر اليه بعينين متحجرتين رعبا " انا ... لااريد الفضائح هنا .... ارجوك .."

كزّ على اسنانه قبل ان يصرخ بها " اخرسي ...."

تقوقعت على نفسها تكره طاعة اللسان وهو يخرس بجبن وضعف الجسد وهو يرتعش فلا يسندها لتصلب قامتها وذل الروح وهو يقمعها ، ماذا فعلت لتستحق كل هذا ؟! ماذا فعلت ليكون اسامة عنيفا معها محتقرا اياها ؟!!

....

عاد ليمسك ذراعيها من اعلى الساعدين وهو يهزها قائلا بغضب لايهدأ " هل يمكنك ان تفسري معنى وقوفك المخزي مع بهاء ؟"

تشوشت ... لم تفهم ! هل هو غاضب منها لتكلمها مع بهاء ؟؟ ولكنها تكلمه طوال فترة العمل !

قالت وهي تستجدي التماسك " انا .. لقد كان يكلمني فقط ، لم .."

قاطعها صارخا "يكلمك ام يغازلك وهو يلامسك بيده ؟! انه يكاد يتحرش بك صراحة وانت لاتبدين اي ردة فعل !"

اتسعت عيناها وهي تنظر لعينيه بتوسل ان يترفق معها ، قالت وهي تلملم كلماتها حتى تحاول افهامه وتهدئة غضبه " انه .. لايقصد سوءا .. لم ... يلمسني سابقا ... انه محترم "

السخرية داعبت الغضب وهو يرد عليها " رجل محترم ؟.. نعم عرفته كمحترم منذ بدا عمله في الشركة ، لهذا وثقت به ليشرف عليك ، لكن ... لكل شيء بداية ؟"

عقدت حاجبيها وهي تسأل بقلق " ماذا تقصد ؟!"

زمّ شفتيه قبل ان يقول بعنف يكبته بشق الانفس " انت تعلمين ما اقصده "

ارتفع حاجباها عاليا واتسعت عيناها وهي تدرك مقصده او الاصح تعترف به ؟

وكأنما دهشتها وصدمتها اوقدت غضبه مرة اخرى ليهزها وهو يهدر بغضب "هل انت غبية ام تتغابين ؟!"

اكتفت بهز رأسها بلا معنى بينما اكمل بقسوة " لااصدق ان امرأة في الثلاثين سبق لها الزواج لاتدرك معنى ان يلامسها رجل ، لاتفهم نظراته اليها ماذا تعني ؟ "

تمسكت بفكرة بريئة لتقاوم شعورا مقبضا فقالت بحشرجة " الاستاذ .. بها..."

عاد ليصرخ قائلا وهو يشدد باحتقار على اول كلمة " الاستاذ بهاء رجل ... رجل ... ضعي هذا في عقلك السخيف ... انك تمنحينه الضوء الاخضر ليتمادى معك فهل هذا ما تريدينه يا شهد ؟"

هلعت من اعتقاده ! فقالت وعيناها تفيضان بالدمع " لا ... اقسم لك .. انا .. كيف تقول هذا عني ؟!"

لم يتأثر بدمعها ليواجهها بقساوة اشد " قلتها لك مرارا حتى مللتها ... اقتلي ضعفك المغيظ هذا ، توقفي عن الرضوخ ، ما لايعجبك ارفضيه بقوة ، انت انسانة حرة ولست مجبرة على القبول ، لست مجبرة على الخضوع لاي انسان ..."

ارتعشت شفتاها وبضع دمعات تعلقت بهما ، عيناه استقرتا هناك فاحتبست انفاسه وهاله ان يشعر بكل هذا الجوع فقط ليتذوق ... مرة واحدة فقط ....

بدلا من ذلك دفعها خلفه لتستقر يداه على حافة مكتبه يعتصرهما عصرا ليقول من بين اسنانه " يمكنك الانصراف الان "

تحركت مترنحة بخطى غير ثابته عندما ناداها دون ان يلتفت اليها " توقفي .."

تسمرت قدماها ليكمل بصوت أجش " اذهبي واغسلي وجهك بحمامي الخاص ، تبدين مريعة !"

عندما خرجت من حمامه لم تنظر نحوه لكنها ميّزت هيئته الجالسة على الكرسي ، لم تقل شيئا وتوجهت ناحية باب المكتب وقبل ان تفتحه سمعته يقول ببرود " المرة القادمة يا شهد اذا لم تتصرفي انت لتوقفيه عند حده ساضطر للتدخل ولن ابالي بوصفي بالوحشية وانا امزقه لاشلاء قبل ان ارمي باشلائه لاقرب مكب للنفايات "

ارتعشت يدها على مقبض الباب ليقول هذه المرة برقة لم تفهمها " اقسو عليك لحمايتك ، انك مسؤوليتي ، انت مطمع كبير يا شهد ..... امرأة مثلك ... وحيدة و ... جميلة جدا .. "

عم السكون .... بعدها فتحت الباب لتغادر وهي تشعر فجأة ببعض الراحة والطمأنية !

اما هو فعيناه غامتا لتعكسا الغرق في عمق آخر من الافكار ، مؤكد لاتبعث على الراحة وابعد ما يكون عن الطمأنينة ..!!!

كانت سهر تعقد حاجبيها وصورة اسامة الغاضب تثير حنقها على نحو غريب !

ما الذي جعله يثور عند رؤيته لشهد مع ذلك الرجل ؟! والادهى انه كان يحاول اخفاء ثورته ليس عنها فحسب بل شعرت انه هو نفسه لايريد ان يشعر بهذه الثورة !!

رفعت يدها لجبينها بينما يدها الاخرى تمسك بمقود السيارة ، انها تشعر بحالة غريبة من الضيق لم تنتبها في اي يوم من حياتها ، لم تعاني يوما بالشعور بهذا ال.. ال .. ... انها حتى لا تعرف توصيفا مناسبا لما تشعر به ! هل هو جرح الكرامة ؟ مرارة الخسارة ؟

عبست اكثر وهي تهمس لنفسها باستنكار " ما الذي جعلني افكر بالخسارة ؟!! "

ابواق السيارات ارتفع خلفها لتدرك ان اشارة المرور خضراء وهي غارقة في دوامتها مع اسامة !

تحركت بسيارتها الوردية الصغيرة وهي تفكر بضرورة التغاضي عن جفائه معها اليوم وتجد الاعذار لتتواجد اكثر في الشركة ، يجب ان تفهم ابعاد ما يشعر به اسامة نحو تلك ال (شهد) ...

في الحافلة القديمة كانت شهد تجلس على احد الكراسي الجلدية ذو اللون الاحمر الداكن بينما صوت محرك الحافلة يأتيها من الخارج وكأنه يستغيث ! هذا ما فكرت به شهد وهي تحمد الله انها الحافلة الاخيرة في طريق عودتها لمحل سكناها ، لم يكتفِ المحرك بالاستغاثة بصوت جهوري قبيح ولكنه اخذ يرسل اشارات اوضح لاختناقه عبارة عن سحب دخانية سوداء كثيفة تخنق الانفاس وتحجب الرؤيا بشكل مؤكد للسيارات في الخلف .

تنهدات اخرى والقلق يهاجمها بضراوة ...

فكل الراحة والطمأنينة التي شعرت بها واسامة يقول لها (انك مسؤوليتي) تبخرتا في الهواء !

فبعد مغادرتها لمكتبه بساعة جاءتها مكالمة منه ليخبرها باقتضاب ودون مقدمات بأن تأخذ بقية اليوم اجازة وغدا سيكون هناك ترتيب جديد لعملها.

ما الذي سيتغير ؟! هل سينقلها لقسم جديد ؟ ام هل .... هل ... سيطردها ؟!!

لكنها سرعان ما اتهمت نفسها بالغباء ! فكيف يطردها وهو يقول لها تعالي غدا ؟!

ولكن ... هذا لايمنع قلقها وتوجسها ، ربما
لانها واجهت الكثير من خيبات الامل ولم تعد
تثق بأي تغيير .... يا الهي كم تهاب التغيير !

وهكذا غادرت الشركة وهي تشعر بهذا القلق
ليكون رفيقها خلال رحلة العودة الطويلة
المعتادة بين اكثر من حافلة ، روائح محيطها
تتغير بتغير البشر الذين يرافقون رحلتها
لتختلط روائحهم برائحة الدخان الاسود
المنبعث والذي يتسرب بعضه الى الركاب
احيانا عبر فتحات النوافذ .

تنهدت شهد وهي تضع يدها على خدها تسند
كوعها لاطار النافذة الجانبية فتتطلع عبرها
بغير وضوح بسبب الغبرة والاوساخ التي
تراكمت على الزجاج فشوشت الرؤيا ،

همست في سرها " هذه رؤيا البصر فماذا عن
رؤيا البصيرة يا شهد ؟! هل ستتعلّلين ايضا ان
تشوشها بسبب دخان عادم السيارات وغبرة
الجو ؟ "

لاتعرف كيف وجدت نفسها تتذكر رائحة
امها ! ربما لانها كانت بأمس الحاجة للشعور
بأي ذكرى تثبت وجودها كأنسانة حقيقية
في هذه الحياة ،

وليس هناك غير ذكرى رائحة تلك الام التي انجبتها لهذه الحياة لتواجه قدرها الذي كتب على جبينها ، تلك الرائحة التي كانت تتشممها بجوع حالما تصحو من النوم بجانبها وكأنها تسعى لالتقاط الشجاعة منها .. فقط بعض الشجاعة لتبدأ بها يومها .

الشجاعة ...... عادت كلمات اسامة تطن في اذنيها ، كان قاسيا جدا ولكنها تدرك انه محق !

الضعف هو آفة شرهة تقتات على ارادتها تنخر فيها وتحطمها ، يجب ان تكون اقوى ، يجب ان تجد قوتها الحقيقية وتستغلها لبناء حياتها .

يجب ... يجب ان تفعل كما فعل اسامة بحياته فغيّرها للافضل ، انه محق ... يجب ان تتعلم قول (لا) لما ترفضه .... انها انسانة حرة .. !

انتهت رحلة العودة لتصل الى الشقة التي تسكنها وما ان فتحت الباب بمفتاحها حتى رأت السيدة جهينة بشعرها الاحمر القصير ونظارتها الطبية الصغيرة الحجم تجلس على اريكتها الخاصة عند الشباك تمارس هوايتها المفضلة بالحياكة .

قبل ان تلقي شهد التحية بادرتها السيدة جهينة بالسؤال وهي تخلع نظارتها الطبية بقلق " ماذا حصل ؟ لما عدتِ باكرا ؟ لاتقولي انهم اعفوكِ من عملك ؟"

دون ان ترد شهد بشيء تقدمت نحو المرأة العجوز وفي طريقها القت حقيبتها الجلدية ومفتاح البيت على طاولة الطعام ، وما ان وصلت عندها حتى خلعت حذائيها ثم جلست بجانبها بصمت لتميل براسها تضجعه على حضن السيدة جهينة ورفعت ساقيها لتضمهما سوية وتطويهما حتى تحشر جسدها على الاريكة مضطجعة عليها بشكل جانبي ومتوسدة حضن المرأة المندهشة !

اغمضت عينيها بينما سؤال السيدة جهينة يطرق سمعها بقلق " ما بك شهد ؟ بالله عليك طمأنيني !"

ردت بهمس وهي تستلم لنوم تحتاجه بشدة " لاتقلقي سيدة جهينة ، انا مرهقة واخذت اجازة لبقية اليوم .."

بشكل ضبابي شعرت بيد السيدة تفك رباط شعرها الذي تعقده كذيل الحصان كالعادة ثم اخذت تمسد خصلاته برقة حتى شعرت بالابتسام رفيق نومها العميق وهي تفكر " رائحتها ليست كرائحة امي لكنها رائحة لطيفة مثلها " ..

ما لم تتوقعه سهر وهي تزور اسامة في مكتبه في اليوم التالي ان تجد شهد جالسة بارتباك واضح على كرسي سكرتيرة اسامة ! بينما السكرتيرة قد تبخرت !

بدى على شهد سِمات الحيرة والارتباك وهي تقلب الاوراق وتعيد ترتيبها حتى انها لم تشعر بدخولها .

رسمت سهر ابتسامة على وجهها تخفي شعورا غير مريح ثم قالت " صباح الخير شهد"

ضيّقت سهر عينيها بتركيز وهي ترى شهد تقف بحركة سريعة مبالغ فيها اقرب للانتفاضة وهي تنظر اليها بارتباك مضاعف متمتمة برد تحية الصباح وعندها فقط فتح الباب الذي يصل مكتب اسامة بمكتب السكرتيرة ليقف اسامة عند حدوده متكتف الذراعين وهو ينظر بهدوء لخطيبته ويقول " صباح الخير سهر .. رأيت سيارتك تدخل المرآب .."

ردت سهر ب "صباح الخير" وهي تنقّل نظراتها بينه وبين شهد التي تحاول اظهار التماسك على عكس اسامة الذي بدى هادئا واثقا .

قالت بنفس الابتسامة وهي توجه كلامها لشهد " هل تتدربين لتصبحي سكرتيرة الان يا شهد؟ "

فتحت شهد فمها لترد عندما سبقها اسامة قائلا وهو يقترب منها " شهد اصبحت رسميا مساعدتي الخاصة وليست مجرد سكرتيرة "

دون شعورها رفعت سهر ذقنها بكبرياء وابتسامتها تتلاشى ! بينما شهد تحاول الابتسام بمجاملة.

اشرقت ابتسامة اسامة وهو يقترب اكثر من خطيبته ليحاوط كتفيها بذراعه وهو يقول بمداعبة " يمكنك قول مبروك لها بدلا من تعبيرك الطفولي المتفاجئ هذا ! "

تمتمت سهر باعتذار واهٍ ثم كلمة مباركة لاتحمل ذرة حماس !

راقبت شهد تحرك اسامة مع خطيبته ليدخلا مكتبه وقبل ان يغلق خلفها الباب وصلها صوت اعتذاره من خطيبته لعدم اتصاله بها بالامس كما وعدها .

عادت شهد لتجلس على كرسيها وهي تستشعر تورد وجهها بسبب الحرج لردة فعل سهر الفاترة لشغرها هذه الوظيفة رغم انها هي نفسها تفاجأت هذا الصباح بقرار اسامة وشعرت بالذنب الشديد لاخذها وظيفة كانت تشغرها فتاة غيرها لكن اسامة طمأنها ان السكرتيرة اخذت وظيفة اخرى وبمرتب افضل في الشركة ،

لكن الاصعب كان في مواجهة صدمة الاستاذ بهاء وهو يتلقى هذا الامر برسالة مباشرة من اسامة ، ومع ذلك تمالك الاستاذ بهاء نفسه ليبتسم اليها تلك الابتسامة اللطيفة قائلا " ما دمتِ ستعملين في نفس الشركة فلا يهم "

انحنت شهد للامام قليلا لتستند بكوعيها على حافة المكتب الصغير امامها واسندت جبينها على راحة كفيّها ، ما زالت لاتستوعب هذا التغيير الجديد !

انها مسؤولية كبيرة عليها ، كانت مجرد متدربة براتب قليل الان اصبحت مسؤولة عن مكتب رئيس الشركة وحتى فرحتها بالمنصب والراتب الاكبر لم تجعلها تنحي جانبا خوفها من ان تخيب ظن اسامة فيها .

اسامة الذي عاملها بلطف شديد ربما ليعوض قساوته البارحة لكنه وعدها انه سيساعدها شخصيا لتفهم سير العمل .

" شهد ... لو سمحتِ اطلبي لي فنجان قهوة وعصير فراولة لسهر .."

صوته عبر الجهاز اجفلها ! ابتلعت ريقها وهي تقرب فمها قليلا لتضغط الزر وتقول ببعض التلعثم " حاضر .. س...سيدي .."

سمعت صوت انفاسه يأتيها بشكل غريب عبر الجهاز فعبست تفكر ، هل كانت هذه ضحكة خافتة جدا ام انها تتوهم ؟!!

بعد اسبوع

دخلت شهد مكتب اسامة بعد ان طرقت الباب ، كانت تحمل اوراقا متفرقة وبدت بذهن مشتت وهي تتقدم نحو اسامة وتقول بلهجة متوسلة " ساعدني ارجوك ، هناك شيء خاطئ في هذه الاوراق او ربما عقلي الذي يشكو من الخطأ !"

تطلع اسامة بابتسامة عابثة لهيئتها الفوضوية ، شعرها الذي تربطه كذيل حصان قد افلتت عدة خصل من رباطها وبطريقة عشوائية مشعثة ومضحكة ثم اكتشف ان هناك قلما معلقا على حافة اذنها اليسرى ومع ملابسها البسيطة التي تضمنت نفس البلوزة البنية والبنطال الاسود بدت نموذجا للفوضى ...

اغراه النظر اليها بتدقيق مختلف ليهمس في سره بشغف لايستطيع منعه هذه اللحظات " فوضى تثير الفوضى في نفسك يا اسامة !"

لم تتنبه لتحول نظراته وهي تعاود النظر للاوراق لتقول بيأس " مؤكد الخلل في عقلي انا ! فسكرتيرتك السابقة منظمة جدا صحيح انها ترتكب اخطاء غبية في العمل الا اني اعترف انها اكثر تنظيما مني ! انا اضيع بين الاوراق لاجد بغيتي "

كانت تقف امامه بفوضويتها المقلقة لراحة باله هذه ليبتسم مرة اخرى ساخرا من نفسه ، تحرك بخفة ليقف على قدميه ويدور حول مكتبه ليصل اليها ، كانت تعبس بتركيز وكأنها وجدت شيئا مهما في تلك الاوراق فتركها فيما تغرق فيه ليغرق هو .. فيها شخصيا !

التف حول ظهرها وهي لاتشعر به ، شعر بالقشعريرة وهو يراقب تلك الشعيرات السوداء اسفل عنقها من الخلف ، عنقها كان طويلا ناعما مغريا ، اسبوع طويل قضاه قريبا منها يقاوم الاغراء الحارق الذي خلقه عندما قرر في لحظة تهور احمق ان تعمل كمساعدة له .

صحيح اراد حمايتها ، اراد ان تصلب عودها ووعد نفسه انه سيقاوم تأثيرها ، المهم ان تبقى محمية .. محمية منه ومن غيره ...

اصابعه اشتعلت بحرقة الشوق للمس بشرتها ، تأوه في سره متمتما " اللعب بالنار ....."

فاجأته باستدارتها نحوه لتقول بابتهاج " لقد وجدتها ! "

التقت عيناهما للحظة وراقب كيف اتسعت تلك العينين وكيف ارتفع حاجباها بدهشة لتسأل بعفوية " هل عيناك خضراوان ؟! "

ضحك بصوت مبحوح فاحمرت لتقول بحرج " انا احيانا اتصرف بسخافة "

رد بصوت اجش " انك عفوية وهذا شيء جميل فيك "

احمرت اكثر لاطرائه لتقول بعدها بسرعة حتى تداري خجلها " يا الهي لااعرف اين وضعت قلمي ! يجب ان أؤشر على هذه الفقرات "

قال بصوت مثير غامض " عيناي خضراوان غامقتان لذلك لايكتشف لونهما الا من يتمعن فيهما "

عضت شفتها وهي تواري نظراتها عنه لكنها شهقت عندما اقتربت يده من اذنها ليقول ساخرا هذه المرة " قلمك وجد طريقه لاذنك فعليكِ حفظ مخابئك السرية "

سحب القلم وسلمه لها فاخذته منه لتتحرك مبتعدة عنه وهي تقول بحشرجة " اعتذر لاني غبية اكثر الاحيان لاثقل عليك باسئلة تكون اجاباتها امام عيني ولااراها ! "

لاحقها بضحكاته الصافية قائلا " ربما انا الهمك فقط لتجديها ..."

لم ترد عليه بل اغلقت الباب بعد ان غادرت مكتبه وهي تستشعر تلك الدغدغة المزعجة في مشاعرها ...

نظرت جنان بغيظ لنجوى وهي تراها تنسحب من جلسة العشاء الذي ضمتهما مع الشيخ يحيى ، قالت في سرها " ما بها هذه الفتاة ؟! الا تعلم كيف تتصرف ؟!؟!"

حولت غيظها لزوجها الهادئ ، كزّت على اسنانها وهي تراه يتناول باقي طعامه بتهمل وكأنه لايهتم لانسحاب نجوى المبكر من العشاء ، الا يفكر انه احرجها وهو يتعمد عدم النظر نحوها بشكل مبالغ فيه !

خنقتها العاطفة وهي تنظر اليه تقول لنفسها بضعف " الا يشعر بي كم اعاني وانا ادفعها في طريقه ؟! لماذا لايساعدني ؟! انها تعجبه وانا اعلم هذا .. لو ... لو لم تكن تعجبه ويهتم لامرها لما احضر لها ماكنة الخياطة ليلة الامس عندما اكتشف هوايتها بخياطة الملابس ، لما شجعها ان تحاول اتخاذها كمهنة تشغل وقتها وتثبت وجودها فيها .

مالت برأسها قليلا نحوه لتقول بشجن لم تستطع منعه " ما بك يا يحيى ؟ تبدو بعيدا عني باميال .."

رفع رأسه بهدوء ليتطلع لعينيها مباشرة ثم قال " هناك امر يشغلني منذ فترة .."

ردت باهتمام وقد استشعرت جديته " ما هو ؟ ولماذا لم تخبرني عنه ؟"

قال وتعابيره تترقق " ربما اشفق عليك من حمل الهموم معي "

قالت بعتب " لاتقل ذلك يا يحيى ! ومن يحملها غيري معك ؟ "

ابتسم قليلا قبل ان يعود لطعامه " لاتقلقي ، اللّه سبحانه يلهمني الطريق وسأفعل ما هو مناسب قريبا جدا "

لاتعرف لمَ شعرت بقلبها يخفق بقوة بينما تنظر لوجه زوجها الذي استعصى عليها فهم ما ينوي عليه .

عادت ذكرى ذلك الشاب اسامة الهاشمي لتداعب فكر الشيخ ، لايعلم لِمَ لَمْ يصدق انه لايعرف مكان شهد اخت نجوى ، صحيح هو اخبره ان شهد اتصلت به من هاتف عمومي تطلب منه طمأنتها على اختها نجوى

لكن بدى غريبا ان توصيه بألّا يخبر نجوى شيئا عنها ! الا يفترض ان تطمئنها هي الاخرى ان اختها الهاربة بخير ايضا ؟!!

لكن اسامة اخبره ان شهد مرتعبة من اخيها ولذلك اصرت عليه متوسلة ان لايوصل لنجوى شيء عنها خوفا من ان يصل الخبر لمؤيد !

عبس الشيخ يحيى قليلا ، هو ليس لديه الان الا ان يمشي بالظاهر والظاهر يقول ان اسامة ليس سوى مرسال من اخت نجوى طلبت منه اخبار اختها وانها ستتصل به فيما بعد لتعرف هذه الاخبار.

ومن اجل ذلك ثار الرجل عندما سمع حديث النسوة وظن بالشيخ ظن السوء .

تنهد مرة اخرى وهو يفكر " اعنٍّ يا اللّه لاحفظ سمعة هذه الفتاة وادفع عنها بحولك وقوتك اي اذى يترصدها ..."

لم تستطع نجوى النوم ، تتقلب في سريرها على الجانبين وافكارها مبعثرة ، كلام الشيخ يحيى عن العمل وانها يجب ان تخرج للدنيا اقلقها !

انها ستعمل .. لابأس بذلك ، هي تحب الخياطة وتحب .. ارضاء الشيخ ، ولن تخذله وقد اشترى لها ماكنة خاصة بها حتى ولو كانت مستعملة ، لكنها لاتريد مغادرة هذا البيت ، لاتريد الخروج ، انها آمنة هنا ، لاول مرة تجد هذا الشعور الذي افتقدته طوال حياتها دون ان تعرف اسمه !

مجرد نقص غريزي كانت تستشعره ولاتحاول تسميته خوفا من مواجهة واقعها ، لكن هنا ... في بيت الشيخ يحيى شعرت بجذورها تمتد بتعطش لتنتمي اليه وستروي هذا الانتماء بأي طريقة حتى يبقى ويقوى ، حتى لو اضطرت للزواج من الشيخ كما تلمح لها جنان دوما ، اجل ستفعلها ، ستتزوجه وستنجب له الاطفال الذين حرم منهم بسبب ضعف رحم جنان ، اجل ... ستسعد هي وجنان الطيبة والشيخ الرائع الذي لن تجد مثله رجل يحميها ويرفق بها وقد تصبح حتى المفضلة لديه عن جنان !

عند هذه الفكرة انتفضت نجوى في سريرها لتقول بضيق " اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم ، كيف تفكرين هكذا يا نجوى ؟! هل هانت عليك تلك المرأة بدفقها الامومي الذي اغدقته عليك ؟! هل انت قاسية القلب لهذه الدرجة لتنافسيها على مكانتها في قلب زوجها ؟

لا يا نجوى .. لقد تعلم قلبك الرحمة منها او ربما اعادة هذا القلب لفطرته الرحيمة التي خلقك الله عليها فاياك والاستسلام لاغواء الشيطان ... اياك يا نجوى ... لاترتكبي مزيدا من الحماقات لتخسري السعادة الوحيدة التي حصلت عليها .."

استكانت روحها فعادت لتميل بجذعها فتتوسد مخدتها وتنام قريرة العين بينما شفتيها تهمسان باذكار الليل التي علمتها لها جنان .

اخذ مؤيد يركل سيارته بقدمه وهو يسب ويشتم "ايتها السيارة القذرة العفنة ال... "

غضبه في الاساس ليس لتعطل سيارته مرة اخرى لتتقف على قارعة الطريق في منتصف الليل هكذا ، وانما غضبه الحقيقي لفشل مخططاته الليلة مع مالك المحل .

ذلك الرجل صدمه وهو يرفض اهتمام الفتاة البارعة الجمال والتي التقطها تلك الليلة من شقة اصدقائه ليوظفها كعاملة جديدة في المحل من اجل ان ترمي بشباكها على المالك وبتخطيط من مؤيد ، وصدم اكثر عندما اخبره الرجل الخمسيني الخجول انه لايقرب الحرام !

وانه يريد زوجة بدلا من ذلك ، ويريدها زوجة جميلة شريفة تسعده وتبهج لياليه .

عاد مؤيد ليركل ويشتم وهو يتذكر شهد وهروبها الاحمق ! كانت ستنفعه جدا ، تلك الغبية الرعناء لو قدر له ان يجدها فيقسم انه سيجلدها بحزامه كما جلد نجوى قبلها .

بصق على الارض باشمئزاز وهو يشتمهما معا بافظع الشتائم بينما ينظر لسيارته المتهالكة باشمئزاز اكبر !

بعد اسبوعين

كان الشيخ يحيى يحث خطواته نحو باب البيت مغادرا لقضاء بعض شؤونه عندما لاحقته زوجته جنان لتوقفه وهي تمسك بساعده قائلة بضيق شديد " هل ستتجنبني يا شيخ مرة اخرى ؟!"

اطرق الشيخ قليلا ليقول بلطف " انا لاتجنبك يا حبة القلب ، لكن تلميحاتك كثرت واصبحت فوق طاقتي لاتجاهلها "

عبست جنان لتقول بعتب " وتقولها في وجهي يا يحيى ؟! انك تتجاهلني !"

استغفر اللّه قبل ان يقول بترو " توقفي يا جنان عن هذا ، لاتحاولي الضغط علي اكثر "

ردت بتلهف " ولكنه الحل الامثل للجميع ، لك ولي ولنجوى .."

اراد مقاطعتها لكنها سارعت لتكمل " انت قلت ان هناك كلام قبيح قيل على لسان نساء الحي بسبب وجود نجوى في بيتنا لذلك سيكون الحل الامثل ان ..."

رفع الشيخ كفه ليوقفها قائلا بحزم " كان خطأ جسيما مني ان اخبرتك ! اسمعيني جنان .. المرأة معززة مكرمة في بيتنا ولن نجبرها على شيء لمجرد كلام نسوة يرمين المحصنات الغافلات ، هذا لايرضي اللّه كما ان الرد بالتجاهل على مثل هذا الكلام انسب من اي فعل "

ركزت جنان على جانب واحد من كلامه لتقول باصرار " اذن مشكلتك في قبول نجوى ؟ حسنا ساحلها لك .."

ناداها محذرا " جنان .."

لكنها تجاهلته وهي تنادي نجوى من الطابق العلوي ...

اطرق الشيخ صامتا بينما تقف زوجته جنان على يمينه ونجوى على يساره لتقول جنان بصوت بدى بشوشا سعيدا " حبيبتي نجوى ، انا اعتبرك اختا لي ولن اجد افضل منك لتشاركني هذا البيت مع زوجي "

اغمض الشيخ عينيه بينما يصله صوت شريكه حياته الوفية قائلة بحشرجة لم تستطع السيطرة عليها " اريدك زوجة لهذا الشيخ الرائع لتسعديه وتسعدي نفسك وتسعديني انا ايضا ...."

ترقرقت دمعة في عيني الشيخ بينما يسمع جنان تضيف بثبات " امهلك حتى اخر الليل لتعطينا رأيك واقسم لك انك اذا لم ترضي ستظلين اختا عزيزا غالية تشاركينا الحياة في نفس البيت ما طاب لك البقاء ..."

لم يصله الا همس من نجوى وهي تقول " سافكر ..."

تنفست الصعداء وهي لاترى شهد على مكتبها ! لكن سرعان ما خاب املها عندما لم تجد اسامة ايضا !!

جلست باحباط شديد على كرسي اسامة خلف مكتبه تتأرجح به يمينا وشمالا ، كانت تريد الذهاب لحمامه الخاص حتى تتأكد من زينتها لكنها قاومت بعناد !

يكفي انها قضت ساعتين في غرفتها لتختار الملابس المناسبة ، ساعتين تقلب في خزانتها وترتدي فستانا لتخلعه بعدم رضا وترتدي بنطالا ثم تنورة ثم عادت لفستان اخر ثم قميصا يلائم خضرة عينيها بكم طويل يناسب اعتدال الجو ثم عادت لتخلعه وترميه بحنق وهي تضرب بقدمها الارض !

اغمضت عينيها لتحاول ان تهدأ قليلا ، كل هذا بسببها ... شهد !

انها تشعرها بالتوتر وهذا التوتر انتقل لعلاقتها مع اسامة فاصبحا يتجادلان بطريقة بشعة ، لقد اصبح نائيا بنفسه عنها اكثر واكثر يتجحح بحجج واهية ليتجنب رؤيتها واذا التقيا عاملها بلطف بغيض ! انها تفتقده ! تفتقد حتى سخريته منها، تفتقد غموضه لتستكشفه تفتقد نظرته اليها وكأنها طفلة لاتجيد اللعب .. تفتقد ... مناداته لها ب(قطتي) ..

انها ليست غبية ولاصغيرة العقل، كل هذا بدأ بدخول تلك المرأة حياته ليتفاقم ما ان جعلها مساعدته الشخصية ، امها تلومها لانها صمتت على الموضوع منذ البداية بينما والدها يتهمها بالتشبث بشكوك انثوية سخيفة !

اية شكوك ! عضت شفتيها بقوة وهي تفكر انه لم يقبلها منذ اسبوعين ! كيف تقول لوالدها هذا الكلام لتقنعه بصحة شكوكها الانثوية كما يطلق عليها ، انها لم تستطع مصارحة امها ايضا ، شعرت انها تهين نفسها بذلك .

فتحت عينيها عندما سمعت حركة ولم تتفاجئ برؤية اسامة كما تفاجئ هو !

وقفت على قدميها مبتسمة بتحدٍ لتلتف حول مكتبه بمشية ناعمة انثوية ، ابهجها ان الفستان الكحلي الذي التف حول جسدها الرشيق ارضى ذوقه ، يكفي ان ترى نظراته المدققة نحوها لتعرف ، تلك النظرات اصبحت خبيرة بها كلما اظلمت هكذا لتعبر عن تأثره كرجل .

اتسعت ابتسامتها المغوية وهي تقترب منه لتقول بصوت ساحر " يا متبلد الاحساس ، هل يكفيك يومين من الخصام ؟"

اربكها تحول نظراته ! انقشع الاعجاب ليحل البرود !! لكنها لم تيأس ، وصلت اليه لتضع يديها على صدره لتشرأب بقدميها وتصل لوجهه فتطبع قبلة على خده وتهمس " لم تقل شيئا حبيبي صعب الفهم !! ألم تشتق الي ؟"

ارتعشت سعادة عندما احست بيديه ترتفعان لتلامسا ظهرها رغم ان نظراته ما زالت غامضة متباعدة .

قال بابتسامة ساخرة " هل تبتكرين طريقة لمصالحتي ؟"

اسبلت اهدابها وهي تحرك يدها على صدره بنعومة لتقول " ربما ابتكر طريقة لاقناعك بالتعجيل بالزواج "

ابتسامته تلاشت ليقول بهدوء " لن نعود لهذا الموضوع ، لاارى داعيا لتغيير الموعد الاصلي ، ولم يبقَ على الصيف الكثير "

ردت وهي ما زالت تمرر يدها على صدره وكتفه " حسنا ارضى بذلك بشرط "

قال وهو يعبس قليلا " لست انا من يغير الموعد لتشرطي شروط القبول بالتغيير "

نظرت في عينيه مباشرة لتقول بارتعاش عاطفي " قبلني اسامة .."

اهتزت في اعماقها وهي ترى تردده ! ولم تحتمل ان يبتعد عنها بعد ان طلبتها صراحة هكذا ، استعانت بكل ما تملكه من جرأة لتلف يديها حول عنقه وتجذب رأسه نحوها في قبلة اودعتها كل عاطفتها ...

مازالت تشعر بالاحمرار يغزوها ! لاتصدق انها كانت بلاعقل لتدخل مكتب اسامة دون استئذان حتى لو كان الباب مفتوحا على غير العادة هذا لايبرر عدم احترامها للاصول فلو استأذنت لما كانت ستتفاجئ بمنظر اسامة وسهر متعانقين وقد بدت سهر متعلقة برقبته بشغف واضح !

والانكى انها حاولت الانسحاب بهدوء ولكن يبدو انها اصدرت صوتا ما جذب انتباه اسامة ليفلت سهر ويستدير براسه نحوها بقوة واثر احمر الشفاه على شفتيه وعيناه غائمتان بالعاطفة .

" يا الهي !" عادت لتبلل وجهها بالماء علّها تمحو هذا الاحمرار الفاضح ، لاتعلم هذا الاحمرار يعبر عن اي شيء بالضبط ؟!

هل هي مشاعر الحياء ام الحرج ام الخوف من ردة فعل سهر لمقاطعتها لحظة عاطفية مع اسامة وقد استشعرت قبلا عدم ميلها لها وتعمدها ان تتعامل معها ببرود ملحوظ ، حتى في وجود اسامة لم تحاول ان تظهر مشاعر مختلفة !

نظرت شهد لوجهها في مرآة الحمام الكبيرة لتهمس بصوت مسموع " ام انها الغيرة يا شهد ؟! الغيرة لانك لم تحظي يوما بقبلة شغوفة كهذه او ربما هو شعور يتغلل فيك بتملك ليس من حقك نحو اسامة "

رفعت يدها لفمها لتهمس مرة اخرى " تريدين ان يراعيك انت وحدك ، يهتم بك ، يساعدك في فهم العمل بصبر يحسد عليه ، يشعرك انك محمية به دون ان يخنقك "

دخول احدى الموظفات الحمام منعها من الاسترسال في هذه الاعترافات الغريبة !

جففت وجهها وعدلت من ترتيب شعرها ثم اخذت نفسا عميقا لتغادر الحمام وتواجه الموقف وقد قررت ان تعتذر بهدوء وان تعد بأن تكون اكثر حذرا في المستقبل .

كانت على بعد خطوات من مكتب اسامة عندما فاجأها الاستاذ بهاء وهو يقف في طريقها ، نظرت اليه بهدوء وابتسامة مجاملة علت ثغرها بينما هو يبتسم ابتسامة تجاوزت معنى اللطف منذ فترة ليقول بنظرات عاطفية واضحة اثرت فيها كأنثى " مرحبا شهد ، تبدين جميلة جدا بهذه البلوزة الربيعية "

تمسكت بابتسامة اللطف دون ان تظهر تأثرها لتقول " مرحبا استاذ بهاء ، شكرا لاطرائك "

خطت خطوة لتتجاوزه وهي تقول " اعذرني يجب ان اذهب "

اوقفها هذه المرة وهو يمسك بمرفقها قائلا بصوت مبحوح " عزيزتي ... اريد مكالمتك قليلا ... "

(ما لايعجبك ارفضيه بقوة ، انت انسانة حرة) كلمات اسامة نبعت من مكان ما فوجدت نفسها تسحب ذراعها من يده لتقول بقناع من الهدوء يخفي اضطرابها " ارجوك ، لايصح ان تلامسني هكذا .."

ملامحه عبرت عن دهشته ليقول بصدق واضح " اسف ، لم اقصد ، انا .. " صمت قليلا

ولاحظت بدهشة كيف يبتلع ريقه قبل ان يكمل بصوت مبحوح " اشعر ان هناك مشاعر نتبادلها وانا اردت ان .."

صوت اسامة قاطعه وهو ينظر اليهما عن بعد ليقول ببرود شديد يخفي غضبا سافرا " بامكانك قول ما تريده لي سيد بهاء .. فشهد مسؤولة مني انا .."

عيناها لم تفارقا باب مكتب اسامة المغلق والشعور بالقلق انهكها ، ما الذي يريده بهاء منها ؟ ما الذي سيبرره لاسامة ؟

تملكها الخوف ان يواجهه اسامة وربما يطرده من عمله ، ابتلعت ريقها وهي تفكر بهلع ان اسامة سيطردهما معا ! فربما لم يرها وهي تبعد يد بهاء عن مرفقها وسيظن بها اسوأ الظنون ، انها تشجعه مثلا !

ارتعشت وهي تلف ذراعيها حولها والفكرة تترسخ في داخلها اكثر ، اجل .. اسامة سيفكر بها كما يفكر الجميع ، انها مجرد امرأة مطلقة تسعى لان تحظى بأي عاطفة ومن اي رجل يقدمها حتى لو خارج اطار شرعي .

اجفلت بقوة وباب المكتب يفتح ، لم تشعر انها تقف على قدميها ووجهها يشحب بقوة بينما تراقب رأس الرجلين ، بهاء بدى سعيدا ! بينما اسامة بدى .. بدى ... غامضا تماما !!

لم ينظر اسامة نحوها بينما يودع بهاء اما بهاء فقد القى اليها بابتسامة عاطفية وهو يمر بها مغادرا ويقول " الى اللقاء شهد .."

ارادت رد التحية لكن صوتها خذلها وعندما التفتت لاسامة وجدته يراقبها عن كثب ، احمرت ولم تعرف لم تحمر بالضبط !!

فتحت فمها لتتكلم عندما قال قبلها بهدوء وغموض غريب مقلق " ليس الان شهد ، لدي عمل كثير ، لقد اخرتني سهر بما فيه الكفاية "

صمتت ... التفت ليدخل مكتبه ويغلق الباب خلفه ... لحظات وجاءها صوته الغريب عبر الجهاز وهو يقول " لاتغادري اليوم ، ساوصلك بنفسي ما ان اكمل اعمالي واتكلم معك ، ولا اريد اي مقاطعة "

انهى رسالته الباردة بينما احساس مألوف بتوقع الاسوأ يسيطر عليها .

همست بتضرع " اتوسل اليك ربي .. اتوسل اليك لاتجعلني افقد ما حصلت عليه بشق الانفس ..."

عندما استدعاها اخيرا كانت على وشك الانهيار ! لقد غادر جميع الموظفين والشمس غربت منذ فترة ، لقد تصورته نسيها في خضم انغماسه بالعمل ولم تجرؤ على سؤاله خوفا من غضبه وهو بهذا المزاج .

اخذت نفسا قبل ان تقرع الباب لتدخل ، وجدته واقفا جنب النافذة وما ان دخلت بخطوات متعثرة حتى التفت نحوها .

كان قد ارخى ربطة عنقه الرمادية وفتح عدة ازرار من قميصه الاخضر الشاحب ، خصل من شعره تناثرت بفوضوية على جبينه ، الهيئة كلها بدت غريبة وغير مفهومة !

تنحنحت قبل ان تقول بحذر " ماذا .. اراد الاستاذ بهاء ؟"

لوقت طويل ظل يحدق فيها بهيئته المريبة وتعابير وجهه المعتمة ، فجأة قرر ان يخطو نحوها وعيناه مثبتتان على عينيها ،

قال بصوته الغريب النبرات " بهاء ... يريدك زوجة له "

لم تدرك انها فتحت فمها مصعوقة وعيناها تجمدتا بينما تحشرجت انفاسها ، كما لم تدرك ان اسامة تجاوزها ليتوجه نحو الباب ويغلقه بالمفتاح !

كان الشيخ يحيى يخلع معطفه ليعلقه على العلاقة الخشبية المثبتة على الحائط عند باب البيت عندما شعر بحركة خلفه ، بحدسه ادرك انها ليست جنان !

وصدق حدسه وهو يسمع صوت نجوى المرتجف وهي تقول "شيخ يحيى .. انا .. انا موافقة على .. الزواج منك ..."

الفصل الثامن

"شيخ يحيى .. انا .. انا موافقة على .. الزواج "

تنهد بصوت خافت وهو يستدير نحوها ، القى نظرة على وقفتها الخجولة وهي تطأطأ رأسها للارض ويداها تعتصر احداهما الاخرى باضطراب واضح .

غض بصره وهو يقول بلطف " رافقيني لو سمحت لغرفة المعيشة "

هزّت راسها ايجابا وهي تتقدمه بخطى متعثرة .

ما ان دخلا غرفة المعيشة حتى قال لها " اختاه .. اجلسي من فضلك "

جلست نجوى على احدى الارائك وهي تعدل من حجابها وتتأكد من انضباط جلستها .

انتظرها ان تستقر ليجلس على اريكة مجاورة ، اخرج مسبحته من جيبه ثم سمى باسم اللّه وصلى على النبي الاكرم ليصمت للحظة قبل ان يقول بهدوء " لماذا وافقت على الزواج ؟"

فاجأها السؤال ! رفعت وجهها اليه فاخجلها انه يتطلع اليها وابتسامة حانية تلامس ثغره ، قالت بتلعثم " انا .. اقصد جنان قالت انك تريد اطفالا وهي .."

زادت ابتسامة حنانا ليقول " اختي انا اسألك عن اسبابك لااسبابي .."

اعتراها القلق فخنقتها العبرة وهي تقول بصدق " انا .. احتاج للامان .. للبقاء هنا .. انت ستمنحني هذا بشكل دائم اذا اصبحت زوجتك "

تنهد وهو يطرق قليلا ويقول " لاحول ولا قوة الا باللّه .. الامان اعطيتك اياه دون اضطرار للزواج مني .. انت اختي في اللّه وساعينك ان شاء اللّه على ان تجدي طريقك مهما طال الامر "

نبضات قلبها تسارعت وهي تقول بتشوش " لكن ... جنان .. انت .."

اسبل اهدابه ليقول برقة " جنان تحبني الى درجة ترضى بألم الرضا بزوجة ثانية وهي تظن انها تسعدني بفكرة الحصول على اطفال "

اتسعت عيناها بحيرة متسائلة " وانت لاتريد ؟!!"

رد وهو يرفع وجهه لها " بل اريد او كنت اريد حتى علمت ان زوجتي لاتستطيع فرضيت بحكم اللّه "

رفعت يدها تلامس جبينها بتشوش متزايد " لكن الشرع يمنحك الحق بالزواج مرة ثانية لتحقق ما تريد "

عيناه شعتا قناعة وهو يقول بصوت ثابت " هذا الحق يستخدمه من يشعر بالضرورة للاقدام عليه وانا لااشعر بهذه الضرورة "

صدمها كلامه لكنه واصل قائلا بألم واضح " ألم جنان عندي لايهونه الحصول على طفل من صلبي ، جنان بالنسبة لي هي امي وزوجتي وابنتي.."

ما زالت تنظر اليه بصدمة فاطرق قليلا وهو يحرك مسبحته ويقول " ثم اني سعيد وانا اراعي اطفالا اخرين ليس لديهم من يعنى بهم واطلب المثوبة من اللّه "

صوتها جاءه حادا منفعلا ساخطا وهي تسأله " هل ترفضني لاني قبيحة ؟ هل لو كنت حسناء بوجه فاتن هل كنت ستتراجع عن وفائك ومراعاتك لزوجتك ؟"

توقف عن تحريك مسبحته ليرفع راسه نحوها ينظر اليها نظرات عميقة اخترقتها اختراقا !

قال بلهجة قوية " هل اُمتهنت انوثتك التي خلقك الله بها كهدية ثمينة تفخرين بمنحك اياها هل امتهنت الى درجة لاتعطينها حقها الا بوجه جميل تظنين انك لاتملكينه ؟؟"

رقّ قلبه وهو يرى الجرح في عينيها ، قال بوداعة " الجمال .. الشباب.. المال .. الاولاد ... الصحة .. كلها نعم ظاهرة فلا تغرنك وتعمي بصيرتك عن النعم المستترة "

رددت الكلمة وكأنها لاتفهمها " مستترة ؟"

تبسّم وهو يقول " نعم .. الايمان بالله جل في علاه .. الرضا بالقدر .. القناعة بما حصلنا من نعم .. راحة البال وصفاء النفس .. حب فعل الخيرات واعانة الغير .. "

تأثر برؤية دمعات هطلت على خديها لتقول بحشرجة " انا تائهة يا شيخ .. تائهة ..."

رد وهو يقف على قدميه " توكلي على الله وسأكون لك اخا يسندك دوما ، كلنا نشعر بهذا التيه احيانا عندما تغلبنا مواطن ضعفنا "

خطا خطوتين قبل ان يقول بصوته الهادئ الواثق " تصبحين على خير اختاه وعسى الله ان يلهمك القوة والثبات "

عندما دخل غرفة نومه تفاجئ برؤية جنان تقف هناك وسط الحجرة وهي ترتعش بالبكاء !

تقدم نحوها قلقا وهو يسأل " ما بك جنان ؟"

ردت بصوت باكٍ " لماذا .. فعلت هذا ؟ لماذا رفضت ؟"

ابتسم بحب وهو يقترب ثم مد يده يلامس صفحة وجهها برقة وهو يقول " يا جناني على الارض ألن تكفي عن القلق من اجلي ؟"

عاتبته بقهر " يحيى ... لماذا فعلت هذا ؟! لقد سمعت كل ما قلته لها ... لماذا يحيى ؟ لماذا ؟!! كانت ستمنحك ابنا او ابنة ..."

رد وهو ما يزال يداعب خديها " يا قلب يحيى .. انا لااريد ابنة غيرك "

اغمضت عينيها تستسلم لدموعها بينما همس بتسامح وهو يمسح تلك الدموع " اعلم ان هناك من الرجال من يضنيهم الحصول على الاطفال ولكني لست منهم ، وكل له احتياجه وضروراته .."

فتحت عينيها لتقول بضعف لامس قلبه " يحيى انا احبك .."

حاوط وجهها بكفيه ليقول بعشق " وانا لااريد من الله الا ان يجمعني بك في جنانه العلا ... "

رد اعتبار ... رغما عنها تسلل اليها هذا الاحساس المفخم بالنصر !

هي شهد وبكل ما مر بها وجعلها تخجل من صورتها امام الناس جاء طلب بهاء ليرد اعتبارها ... امام نفسها اولا ... لايهم انها لم تعد فتاة صغيرة كما دأب مؤيد يقول لها ليكسرها حتى ترضى بكل ما يأتيها به من (مشترين) ، لايهم انها مطلقة ، لايهم انها منكسرة وبلا سند تفخر به امام الناس وتلتجأ لحمايته ... لايهم كل هذا ... بهاء وجدها زوجة مناسبة له .

لم يختر فتاة صبية في بداية العشرينات وقد كان بمقدوره ان يفعل فهناك الكثيرات سيرضون به رغم عمره الذي ناهز الخامسة والاربعين خصوصا وهو يحتفظ بلياقته .

التفتت نحو اسامة وهي تعيش لحظة من نشوى العدل لانوثتها ،لانسانيتها ... قالت له وعيناها مضببتان بالمشاعر المختلطة " هل حقا يريدني زوجة ؟! "

رد بنبرة مشحونة " هل خرجتِ من صدمتك لتغرقي في حالة مسكرة من الابتهاج ؟"

بدت كلمة (الابتهاج) مبتذلة وهو يقولها بتعابيره المريبة تلك !

تمتمت بالكلمة وكأنها تستشعر طريقته في لفظها " ابتهاج ؟!"

تقدم نحوها بخطى بدت هادئة لكن هناك تلك الشراسة التي تنطق بها ملامحه ويفيض بها جسده !

لم تفهم ما يحصل معه بالضبط ! كانت ما تزال تعاني من التخبط في مشاعرها وهي تنظر لهيئته الجذابة رغم عنفها ..

وقف امامها مباشرة ليقول بصوت ارعشها بقساوته " كنت اعلم انك ستنظرين لنفسك بدونية هكذا حتى تستكثري عليها طلب رجل احمق كبهاء ! "

ارتفع حاجباها وهي تنظر اليه بانشداه بينما تأثير طلب بهاء الايجابي ينحسر تدريجيا لتتملكها مشاعر مختلفة وهي تنظر لعيني اسامة الداكنتين .

لاتعرف كيف انتقلت يداه لتمسكا ذراعيها بعنف مؤلم ، اكثر ايلاما من المرة السابقة ! تأوهت متوجعة بينما يقرب رأسه منها لتتهدل خصلات شعره اكثر على جبينه فزادت هيئته توحشا ليقول بحشرجة شرسة " تريدين فعلها بي مرة اخرى يا شهد ؟!"

اخذت ترتعش من خوف لاتعرف مصدره ، خوف واضطراب شديد من اقترابه هذا ، من شعورها بانفاسه الدافئة على بشرة خديها ،

تشوشت وللحظة تولد في داخلها شعلة مقاومة لامر تجهله ! اخذت تحاول التملص بضعف من اصابعه التي تقيدها وهي تهمس بانفعال " ما بك اسامة ؟! ماذا تقصد .. افعلها مرة اخرى ؟! هل تقصد ... ان ... اخذلك ؟! "

اجفلتها ضحكته القاسية المجلجلة ثم قال بقسوة رهيبة " الخذلان كلمة تافهة ضئيلة تفقد كل معناها امام مشاعري وانا اراك مع رجل آخر "

شهقت بقوة بينما هو عاد يميل بوجهه نحو وجهها يهمس بعنف متفاقم خارج عن السيطرة " ما الذي يجعلك تريدين الزواج من بهاء او غيره ؟! تريدين بيتا ؟ استطيع ان امنحك واحدا ليكون ملكك وحدك ، تريدين مالا تضمنين به مستقبلك ؟ انا ايضا سامنحك اياه ، سامنحك كل هذا مع حمايتي ، فماذا تريدين بعد ؟؟ اجيبي يا شهد ؟؟!!"

اخذ يهزها مع عباراته الاخيرة بينما شعرت ان عقلها يدخل في دوامات تضيع فيها تبحث عن اجوبة لكل ما قاله لها ، تبحث عن تفسيرات يضج بها عقلها فتضيع منها في تلك الدوامات .

اخذت تمتمت بأسمه وكأنه تتوسله ان يمنحها الفرصة لتخرج من متاهات العقل لتفهم ما يحدث الان .. لتفسر ما يقوله .. مايعنيه !

لكن اسامة كان يعيش دواماته الخاصة وقد بدى فاقدا للسيطرة بشكل مرعب ، صوته عكس الكثير من المشاعر المكبوتة وهو يسألها دون رحمة " ام انك تبحثين عن العاطفة ؟ تحنين لعلاقة جسدية حرمتِ منها بعد طلاقك ، هل هذا ما تفتقدينه يا شهد ؟ تريدين رجلا يقربك يمنحك الرضا كأنثى وهو يلامسك ويقبلك ويأخذك كأمرأته ، ملكه ..."

كادت ان تصيبها الهستيرية من كلماته الفجة فاخذت تتملص منه بقوة اكبر وهي تقول بخوف شديد " دعني .. دعني اسامة ، لماذا تقول لي هذا .. "

فجأة صعقها عندما سأل بنفس النبرة " هل احببت عدنان كما احببت احمد ؟ "

تجمدت تماما .... رفعت عينيها اليه ولم يصدمها مدى قرب وجهه منها كما صدمها سؤاله !

قالت بعينين متسعتين " انت ... تعرف .. احمد ؟؟"

كانت غلطة .. استوعبت ذلك بعد فوات الاوان ، اسم احمد عندما خرج من بين شفتيها حطمه ! رأت ذلك في تلك العينين اللتين تناظرانها الان بألم بدائي لم تره في حياتها .

همست دون ان تقصد " اسامة !"

في اللحظة التالية كانت ذراعيه تعتصرانها على صدره بوحشية بينما شفتاه تمارسان عنفا مماثلا على شفتيها !

الصدمة شلّتها لكن في مكان ما من عقلها كانت الاشارات تأتيها متأخرة ان هذا ما كانت تستشعر حصوله ..

شعرت بالدوار وهي تضرب على كتفيه بضعف شديد وكأن ذراعيها تحولتا لمجرد هلام ، كانت ما تزال تحاول الفكاك عندما تحولت قبلته لمنحى آخر تماما ، بعيدا عن العنف ، بعيدا عن الغضب ، بعيدا عن الالم ... انها مجرد سيل جارف من عاطفة خام خالصة اغرقها فيها على حين غرّة !

، عاطفة كانت متعطشة لها روحها بشكل اذهلها وصدمها ! كفّت عن المقاومة والضباب يلفها تماما ولم تشعر ببدأ انقشاع هذا الضباب الا بكلمات خرجت بحشرجة منه وهو ينزل بقبلاته لرقبتها " لن تكوني لغيري مرة اخرى ... ابدا ... ابدا يا شهد ...ابدا .. سافعل اي شيء لتبقي لي ... "

قبل ان تستوعب حقيقة ما يحصل بينهما شعرت باحدى يديه تعبثان بازرار بلوزتها على جانب كتفها !

اخذت تعترض بوهن " ماذا تفعل .. اسامة .. لا .. توقف ... "

لكنه استمر بعقل غائب وصبر نافذ حتى
فك ازرارها فعلا ليكشف كتفها وينهال
عليه بعاطفته المتوقدة ! اخذت تتلوى بينما
تستشعر يده الاخرى تمتد تحت البلوزة
لتلامسها بشغف وهو يتأوه بلوعة !

لاتعرف كيف تحرر شعرها ايضا ليغرق وجهه
فيه وصوت انفاسه الحارقة تختلط بين طياته
اخذت تدفعه وقد دبّت فيها القوة وعقلها
يسترجع قدرته لتدرك الى اي هوّة تسير !

قالت بألم " لاتفعل هذا بي يا اسامة ، اتوسل
اليك ، فقط توقف .. "

لكنه لم يفعل بل ظل يسعى جاهدا لينال
شفتيها مرة اخرى دون ان تمكنه ، عادت
لتتوسل باكية تذكره بوعوده لها " ارجوك
... توقف .. انت ... انت قلت انك .. ستحميني
... اني مسؤوليتك !"

تجمد كل شيء فيه بينما وجهه غارق بين
طيات شعرها الكثيفة ، دعت الله ان
يساعدها فقالت بدموع تهطل مدرارا دون ان
تعي حقا ما تقول " اذا .. كان طلب بهاء
اغضبك هكذا .. انا .. لااريده .. لن اوافق
على الزواج منه ..."

ابتعد .... خطوة واحدة للخلف ، ما زالت انفاسه تهدر لكنه اخذ ينظر اليها نظرات مبهمة فارغة ! وكأنه لم يكن قبل لحظات يكتسحها بطريقة عاطفية لم يفعلها معها احد من قبل .

ضائعة بين عري الجسد الذي تعاود ستره بيدين مرتجفتين وبين عري الروح وهي تتذكر كل كلمة قالها لها لتعري روحها فلا تجد ما تسترها به !

ابتعدت بعينيها عنه لتسمعه يقول بقسوة مفاجئة " لماذا ترفضين ان امنحك عاطفة تفتقدينها بشدة ؟! لقد رأيتك كيف كنت تنظرين الي اليوم عندما وجدتني اقبّل سهر ! شعرتِ بالغيرة وكنتِ تحسدينها لانها تحظى بهذه العاطفة وانت ... محرومة ....."

قشعريرة مرت على طول جسدها وهي تعاود النظر لتلك العينين الجامدتين بالقسوة ، اختنقت ، تألمت بشدة من طعنته ! ادراك ما كان يحاول فعله معها جعلها تتحطم !

اضاف بنظرة اشمئزاز يرميها بها " ام ستقولين لي انك لاتفعلين هذا خارج اطار الزواج ؟! لاتتعبي نفسك بقولها ، لقد فعلتها سابقا مع حبيبك الوسيم احمد "

الطعنات تتوالى ! دموعها تحجرت وهي تنظر اليه بدون تصديق لتقول بحشرجة " أحمد .. لم .. لم يلمسني يوما "

هدر بها قائلا بعنف " كاذبة .. كنت اراكما معا دون ان تتنبها لوجودي حتى ! في سيارته القديمة .. في الحدائق العامة ... كنت اراه ولاكثر من مرة يلامس شعرك بهيام وعيناه تتسابقان النظر لشفتيك ولم اكن املك الا تخيل ما يحدث بينكما في الخفاء.. خلف ابواب مغلقة !"

رماها بنظرة اكثر اشمئزازا وهو يجهز عليها قائلا دون رادع " لكنه مؤكد حافظ على عذريتك والا كان عدنان سيفضحك حتما !"

صوت الصفعة دوى ليلتفت نحوها بصدمة تعادل صدمتها بينما هدرت هي هذه المرة لتقول " حقير ! .. حقير وسافل ... اياك ان تذكر احمد بسوء انه اشرف منك .. اشرف من اي رجل التقيته .. لم يستغلني يوما لم يلمس مني شيء غير ما رأيته انت بأم عينيك ، دوما كان يخاف علي ويحميني حتى من نفسه .. لسنوات عرفته ولم يلمسني كما تتوهم رغم شوقه الي .. "

لم تعد ترى وجهه المصدوم والدموع تغرق عينيها بينما صراخها استمر قائلة بانهيار " انه شريف لدرجة انه رفض ان نهرب ونتزوج .. فضل ان يضحي على ان يمس سمعتي بسوء .. ارادني زوجته دون ان يخجلني الطريق الذي يوصلنا لذلك .. ارادني ان اقاوم معه لنصل لمبتغانا "

وضعت كفّيها على وجهها تنشج بالبكاء وهي تهمس بانين " انا .. انا من كنت ضعيفة دوما .. ضعيفة لاقاوم ظروفي .. لاقاوم اخي .. لاقاوم كل من يريد دفع ثمني ليحصل علي تحت مسمى الزواج ! هو فقط .. هو الوحيد الذي لم يطالبني بثمن .. "

ابعدت يديها عن وجهها لتصرخ فيه مرة اخرى " وبعد كل هذا تتهمه بالقذارة التي تريدها مني الان ؟! "

عاوده جنون الغضب فامسكها من ساعديها ليهزها بعنف قائلا " حمقاء غبية ! وماذا نفعك الشرف الذي اراده لك حبيبك المضحي ؟! وماذا نفعتك السمعة بين اناس يتربصون الاخبار ليحولوها لفضائح ينشرونها بتلذذ مرضي ؟!"

اخذت تشهق وهو يكمل بقساوة اكبر " هل هناك من لايعرف ما فعله زوجك ؟ لقد خانك وكان يتبجح بخيانته لك بعد ان طلقك ،

فهل هذه السمعة التي كان فارسك المغوار يسعى لكي تحتفظي بها ؟ انه لم يهب لانقاذك من براثن اخيك الذي سيطر على مقدرات حياتك ليرميك لزواج اكثر قرفا من زواجك الاول "

قرّب وجهه لتخترقها كلماته الحادة كحد السيف قائلا من بين اسنانه " انا .. انا عديم الشرف من انقذك من زواج افضل منه الموت ؟" نفضت ذراعيها بقوة فخلصتهما منه لتبتعد عنه وهي تقول بصوت ينضح بالألم والخيبة والقهر " ليتك تركتني اموت ؟"

لم يلتفت نحوها وهي تتخطاه بساقين مترنحتين ، تركها تذهب ثم سمع صوت قفل الباب الذي اغلقه بنفسه ليمنعها الهرب منه ، تركها تفتحه ببساطة و...تغادر .....

صوت نشيجها يقطع احشاءه ويدمي قلبه حتى بعد ان اخفته المسافات البعيدة ،

خرج عن جموده ليغرق وجهه في كفيه هامسا باضطراب لم يشعر به في حياته " لقد جننت ! ماذا فعلت ؟ ماذا اوشكت ان افعل بها ؟!!"

لم تعرف كيف طلبت من سائق الاجرة ان يأخذها للحي القديم !

لاتذكر اصلا كيف اختارت وسيلة النقل الباذخة هذه وهي تخرج من مبنى الشركة ؟!

كل ما ارادته هو الابتعاد عن ذلك المكان .. الابتعاد عنه هو ... اسامة الذي منحها الامل ليسلبها اياه في لحظات !

السائق العجوز ادرك حالتها المضطربة فسعى لان يهدأها وهو يسألها بحنان ابوي " يا ابنتي توقفي عن الارتجاف هكذا واخبريني فقط عنوان البيت لاوصلك لاهلك "

ما ان قال عنوان البيت و .. اهلك حتى تراءت لها صورة امها ... ثم ... صورة نجوى ...

وبدون تردد اعطته عنوان البيت .. بيت والدها !

تطلعت عبر نافذة السيارة الى البيت الغارق في الظلمات ! هطلت دموعها بشدة والبيت يعكس حالها ، مشاعرها ، ظلام روحها المنتهكة دوما ....

ساءلت نفسها " ماذا تفعلين هنا يا شهد ؟ هل تظنين ان نجوى ستأخذك بالاحضان ؟ ام ان مؤيد سيرحب بك غافرا لك كل شيء ؟!؟"

اجهشت بالبكاء والسائق العجوز اعيته الحيلة ليساعدها ! ناولها مناديل ورقية لتجفف وجهها وهو يقول " هوني عليك يا ابنتي ، اهدأي قليلا وافهميني ماذا يحصل معك ؟!"

استعادت بعض رباطة جأشها فجففت باقي وجهها ثم مالت بجذعها للخلف لتغمض عينيها وتسند رأسها على ظهر مقعدها وهي تقول بأسى " ارحل بي يا عم ، هذا لم يعد بيتي ؟"

ضرب السائق العجوز كفا بكف وهو يقول " لاحول الله ولا قوة الا بالله "

ثم تحرك بسيارته ليخرج بها من هذا الحي الكئيب .

لم يتنبه الاثنان لعينين متربصتين رأت وجه شهد بوضوح وهي تسند راسها للخلف وتغمض عينيها فلم تره ؟

سحق مؤيد اسنانه سحقا وهو يلاحق سيارة الاجرة المغادرة ، لكنه شكر حظه لعودته المبكرة اليوم فلولا خصامه مع جلساء السهرة الليلية لما عاد ولما رأى تلك الجاحدة الحقيرة ؟

لكن صبرا ... سيعلم اين تسكن ويتأكد من وضعها الجديد ثم سيعيدها بطريقته وعندها ... سيجد مالك المحل زوجة جميلة شريفة حسب طلبه ؟

ابتسم ابتسامة كريهة وعيناه لاتفارقان سيارة الاجرة امامه ليقول بحقارة " مرحبا بعودتك اختاه ؟"

صباح اليوم التالي

تحايلت جنان عليها مرة اخرى وهي تكلمها من خلف الباب " حبيبتي نجوى ، لاتفعلي بي هذا .. ارجوك .. افتحي الباب ، فلنتكلم ونحن نتناول الافطار معا .."

لاشيء غير الصمت خلف هذا الباب ، ترقرقت الدموع في عيني جنان ولم تكن تعلم ان نجوى تجلس في سريرها ودموعها تنسكب بصمت حزين ....

ربت الشيخ يحيى على كتف زوجته فالتفتت نحوه تكتم شهقة بكائها فاشار لها برأسه ان تتبعه .

في غرفة المعيشة قال لها زوجها بصبر " هوني عليك يا جنان ، اعطها فرصة لتتقبل الامر وتفهمه "

قالت جنان بوجه محمر وعينين باكيتين " انا السبب يا يحيى ، كنت اريد اسعادك ، كنت اريد ان ... اسعدها هي ايضا ... اقسم اني لم ارد ايذاءها ..."

اجهشت جنان بالبكاء فابتسم الشيخ وهو يضمها لصدره يخفف عنها عبأ ذنبٍ لاتعرف كيف تكفر عنه ثم قال بحنو " اعلم ما كنت تريدينه يا حبة القلب ، اهدأي عزيزتي ، اعلم ان ما حدث كان صعبا عليها لكن نجوى ليست طفلة ، انها انسانة بالغة وتتحمل مسؤولية خياراتها ايضا ، اصبري عليها لتجد قوتها ... لتجد نفسها بشكل كامل ، نحن لن نتخلى عنها لكن هي من يجب ان تجد الطريق الصحيح الذي ستسلكه في حياتها ولاتنتظر ان يخططه لها الاخرون ... يجب ان تؤمن بنفسها وتؤمن بقدرها مهما كان .. "

نظرت السيدة جهينة لجلسة شهد الكئيبة على تلك الاريكة بجانب الشباك ، بنظراتها التي بدت تائهة جدا والدمع يلتمع دون ان يتسرب منه شيء على خديها!

عندما عادت بوقت متأخر ليلة الامس كانت شبه منهارة وقد انهارت فعلا باكية بين ذراعيها حتى انها ابكت الفتيات معها وابكتها هي شخصيا !

لم تكن يوما ممن يتأثرون بسهولة ولكن هذه الفتاة استثناء ، منذ ان اتت لتسكن عندها وهي تثير فضولها بهذا الانكسار المضني ، بدت على الدوام صغيرة مرتبكة خائفة غير واثقة !

كانت سعيدة بتحولها خلال هذا الشهر ، اصبحت اكثر ثقة واقل انكسارا لكن .. للاسف ... البارحة جاءت محطمة .. محطمة بكل ما تحمله الكلمة من معنى ولم تقل شيئا فقط تشهق بالبكاء كطفلة فقدت والديها للتو !

ساعدنْها جميعا لتضطجع في سريرها واخذت الفتيات يتناوبن على الاعتناء بها والتمسيد على شعرها حتى غفت وهي ما زالت تشهق بالبكاء ، ولم تصحو الا الساعة العاشرة صباحا وقد خلت الشقة بعد خروج الفتيات لجامعتهن ، لم تزعجها بالسؤال عن عملها فيكفيها ما هي فيه الان ، ما زالت تتخذ من هذا الصمت درعا تتشبث به حتى لاتفصح عمّا يعتمل في نفسها ...

تنهدت بأسى وهي تنظر اليها قبل ان تفتح باب الشقة وتقول " عزيزتي ساذهب لمكتب البريد استلم طردا مهما من اختي ثم لدي بعض المهام اؤديها واعود من توي "

ثم تبسمت وهي تحاول الترفيه عنها " اعددت لك افطارا بنفسي فاستغلي مبادرتي النادرة واشكريني بأن تلتهميه التهاما "

التفتت شهد نحوها فبدت نحيلة جدا بقميص نومها القطني الفضفاض لتقول بلطف " حسنا سيدة جهينة ، لا .... تقلقي علي ... انا ..."

عضت شفتها السفلى بارتباك ثم اطرقت نظراتها لتكمل بحشرجة " انا ساكون بخير "

ردت السيدة جهينة وهي تفتح الباب " مؤكد ستكونين بخير ، اراك بعد ساعة او ساعتين عزيزتي ..."

غادرت السيدة جهينة وصوت اغلاق الباب كان اغلاقا لابواب اخرى في عقلها ! مفتاح يدور هنا ومفتاح يدور هناك ... في مكتب اسامة ! عادت الصور لترتسم في عقلها ! صور ملأت احلامها وكوابيسها الليلة الماضية ...

شهقة متألمة شقت صدرها وهي تتذكر ما حصل بينها وبين اسامة ، ارتعشت وهي تضم ذراعيها لجسدها ، لقد دمرها اسامة بفعلته ! حطّم ايمانها بنفسها .. ايمانها به !

اغمضت عينيها وشعور اخر يعذبها ، شعور تتجاهله بضراوة ! تشعر بالخزي ان تواجه نفسها باستسلامها له ولو لبضع لحظات قبل ان يتمادى معها ليكشف دناءة غرضه !

لقد ... لقد لامسها بطريقة لم يفعلها عدنان يوما ! عدنان كان يلمسها على عجالى لينال رغبته فقط ، اما اسامة .. اسامة ... انه ...

تمتمت بتأوه وهي تخفي وجهها في طفيها بعجز " انا لم اعد افهم ما يحصل ! كيف لاسامة ان يلامسني بهذه الطريقة ؟ انا لاافهم ... ما معنى كلامه انه سيفعل اي شيء ليبقيني له ؟!! ما معنى كلامه عن احمد ؟ هل كان يراقبني طوال سنوات ؟؟؟ هل كان طوال الوقت يخطط لينال غرضه مني ؟؟ "

حرّكت يديها لتمسكا رأسها من الجانبين وهي تشعر بالحيرة والضياع " ما فائدة ان اعرف ؟! النتيجة واحدة ... انا خسرت اسامة ... خسرت ذلك الامان الذي منحني اياه .. خسرت الطريق الذي قطعت فيه اشواطا وكنت اظن اني ساصل النجاح في نهاية المطاف !!"

اجفلها رنين الهاتف وللحظات شعرت بالخوف ان يكون اسامة المتصل ! ظلت تحدق في سماعة الهاتف السوداء دون ان تجرؤ على الرد !

صمت الهاتف ... تنفست الصعداء رغم ارتعاشها لكن .. لم تمر الا بضع ثواني ليعاود الرنين !

تحركت بتعثر حتى وصلت اليه رفعت السماعة فاطلقت نفسا محتبسا من التوجس عندما تناهى اليها صوت السيدة جهينة وهي تقول ببعض الحنق والارتباك " عزيزتي اسفة ساتعبك معي ، انا في الحافلة الان وقد نسيت اوراقا مهمة على المنضدة الخشبية الصغيرة في ركن غرفة المعيشة ،

هلا احضرتها لي عند مكتب البريد ؟ لن استطيع العودة الان لاخذها فليس لدي الوقت لفعل ذلك "

انتقلت نظرات شهد نحو المنضدة المعنية لتتأكد من وجود الاوراق لترد قائلة " نعم بالتاكيد "

قالت السيدة جهينة معتذرة " اسفة عزيزتي اعرف انك مرهقة اليوم لكني لم اطلبها منك الا للضرورة القصوى فهي تخص اوراق معاشي ويجب ان اراجع دائرة التقاعد والمعاشات اليوم بالتحديد "

ابتسمت شهد وهي تقول بلطف " لابأس سيدة جهينة ، ربما من الافضل لي ان اخرج ايضا بدلا من جلوسي الكئيب هنا "

ردت السيدة جهينة براحة " الحمد للّه انك تشعرين هكذا عزيزتي "

ودعتها شهد لتغلق سماعة الهاتف وهي تأخذ عدة انفاس تتلمس بعض الثبات والقوة .

ابدلت ملابسها بكآبة ثم غادرت غرفتها لتأخذ الاوراق المطلوبة من على المنضدة لتتوجه بعدها نحو باب الشقة ، ما ان فتحت الباب حتى ظللها خيال اسود !

" مرحبا اختي الصغيرة ... لم اكن اظن انك ستسهلين علي الامر وتسارعين بفتح الباب فتعفيني من ايجاد طريقة لادفعك لفتحه ، يسرني ان تستقبليني بترحاب هكذا !"

صعقها وجوده امامها ! انعقد لسانها ولم تعي ان قدميها تتراجعان بها للخلف ...

تقدم مؤيد متجاوزا باب الشقة ليغلقها خلفه بينما نظراته تهمل النظر لاخته المصدومة رعبا لتتجول في انحاء الشقة ، قال بلهجة محتقرة " اذن هذا الوكر الذي التجأت اليه ! مجرد سكن للطالبات السخيفات تديره امرأة عجوز حمراء الشعر "

ثم عاد بنظراته الكريهة لشهد ينظر باستمتاع الضباع وهي تحوم حول فريسة نهشتها السباع وحان دورها لتجهز على ما تبقى منها !

اسعده شحوبها .. نحول بنيتها ... ارهاق نظراتها والاكثر اسعده ان يشم رائحة الرعب تفوح منها ! انه يحتاج لرعبها .. لضعفها ... خنوعها ... حتى يجبرها على العودة معه ..

ما زالت تنظر نحوه وهي عاجزة عن استيعاب وجوده !

تناهت اليه حشرجتها وهي تهمس " ماذا تريد مني ؟ "

ضحك عاليا وهو ينظر اليها بتدقيق مهين ثم قال " وماذا يريد الاخ من اخته غير صونها في بيت زوجها ؟"

ارتجف جسدها باكمله بينما يكمل مؤيد بعينين شابهما التحقير " مع ان الاخت العزيزة خذلته ومرغت بكرامته الارض وهي تهرب ليلة الزفاف ، لكن ... لابأس .. عريس ذهب .. عريس افضل قادم ! "

اوراق السيدة جهينة تساقطت من يدها لتتبعثر على الارض لتتبعها حقيبتها الجلدية فتتبعثر محتوياتها هي الاخرى !

لاحقت نظراته المستهينة الاشياء المبعثرة ليقول بعدها بصوت بدى في اذنيها كالفحيح " منذ الصباح الباكر وانا اقف على باب هذا المبنى المتهالك ، ارقب واسال كل من هبّ ودب ! جميل ان اعرف بأن اختي ما زالت شريفة ولم تلتجئ لرجل يدنسها ، فقط اختبأت كفأرة صغيرة في هذا الجحر تشارك فتيات فقيرات سكنا رخيصا "

عادت لتسأله بهلع نفس السؤال " ماذا تريد مني يا مؤيد ؟"

امال راسه جانبا مستمتعا بوقفتها المرتعبة ليقول " انتظرت خروج الفتيات ثم اسعدني ان ارى تلك العجوز تغادر على عجل ولم اصدق حظي عندما كنت اقف امام باب الشقة لتفتحي الباب كفتاة مطيعة ؟"

قست ملامحه فاقشعرت من بشاعتها رغم حقيقة كونه رجل وسيم ؟ فقال بعنف متعمد " والان ... الفتاة المطيعة ستلملم اغراضها القذرة وتصاحب اخاها لتعود لبيتها وتحاول التكفير عن ذنوبها الكثيرة "

(لاترضخي ... قولي لا يا شهد ...)

كلمات ... كلمات تتشبث بها بصعوبة لتقاوم الخوف الذي تفضحه عيناها ، لكنها مصرة ان تبقى شجاعة مهما حصل .

قالت بحشرجة " انا .. لن اغادر معك .."

ابتسامة جانبية اشد بشاعة ... ثم ... راقبت يداه تتحركان نحو حزام بنطاله ليفتحه ببطئ ويقول بتماهل مقيت " وكأنك تحققين اغلى امنياتي ؟ تعطيني الاشارة لانفذ بدم بارد ... لقد اقسمت اني سافعلها حالما اراك وها انا ساوفي قسمي... اختي الصغيرة .. العاقة ؟ "

للحظة لم تكن تستوعب ما ينوي ان يفعله !
فقط تنظر بذهول لاخيها وهو يسحب الحزام
من بنطاله ثم اخذ يلف طرف الحزام حول
يده ... وفي اللحظة التالية عيناه التمعتا
بوحشية سادية جعلتها ترتد للخلف وهي
تستشعر هول القادم .

لكن مؤيد لم يمهلها كثيرا ليتقدم بسرعة
منها ، رفع يده عاليا ثم مع صوت الهواء وهو
يتحرك حول جلدة الحزام الهاوية على جسد
شهد علت صرختها الجريحة الاولى .....
الصرخات تعاقبت مع كل جلدة ، اختلطت
صرختها الرابعة مع صراخ من نوع آخر وقرع
شديد على الباب لكن مؤيد لم يتنبه وهو
منغمس في نشوى الشعور بسيطرته على
فريسته وتعذيبه لها حتى ترضخ لارادته !

فجأة علا صوت تحطم الباب ....

الفصل التاسع

منذ ما يقرب الساعة وهو يقف في الشارع الخلفي للمبنى الذي يضم شقة السيدة جهينة ، لم يجرؤ ان يقترب اكثر ، راوده احساس سخيف انها اذا استشعرت وجوده قريبا منها ستهرب ولن يجدها ابدا !

يكفيه قلقه عليها البارحة وهو يحوم حول المبنى ، فقد لحق بها ما ان غادرت مبنى الشركة ورآها تركب سيارة الاجرة فلم يستطع ايقافها وللاسف استغرق وقتا حتى عاد لسيارته وخرج بها من المرآب ليضيع اثر سيارة الاجرة منه ، قاد بسرعة جنونية ليصل المبنى الذي تسكنه وكان واثقا انه سبقها ولكن ... انتظرها .... انتظرها طويلا ... طويلا جدا واوشك ان يستسلم للقلق واليأس ويقدم على الاتصال بها او حتى الاتصال بالسيدة جهينة عندما لمح اخيرا سيارة اجرة تقف لتترجل منها شهد وهي تكاد تترنح !

دمرته رؤيتها بهذه الحالة التعيسة ولم يشعر الا وهو يضرب على المقود ثم انطلق بسيارته بنفس الجنون الذي اتى به مبتعدا عنها قبل ان تلمحه ! لم يحتمل ان يرى الكره في عينيها .. لم يحتمل ان تنبذه ...

يده التي تمسك بالسيجارة المشتعلة كانت ترتعش دون ان يتنبه للامر ، رفعها لفمه واخذ نفسا عميقا محترقا ليغمض عينيه يحاول السيطرة على مشاعره ، اسند راسه لظهر مقعده في السيارة وهو يهمس لنفسه " ايها الغبي ! كيف ستعيدها اليك الان ؟! كيف ستجعلها تطمئن اليك مرة اخرى ؟ لقد ادمنت وجودها في حياتك ولا تريد ان تشفى من هذا الادمان ! لايهم انها لاتحبك .. لايهم انها لاتشعر بشيء نحوك ..."

فتح عينيه ليرفع يده مرة اخرى ياخذ نفسا عميقا آخر ، لم ينم ليلة الامس ! ولا لساعة واحدة ...

بعد خروجها من مكتبه بفترة ادرك حماقته بتركها تغادر دون ان يعتذر او يجد اي تبرير سخيف لكل ما فعله وقاله !

ابتلع ريقه وذكرى الكلمات القاسية التي تبادلاها تمزقه ، لايعرف اي وحش تلبسه !

كل ما يعرفه انه كان يتلوى بالغيرة المهلكة وصورة بهاء الواثق وهو يطلب يدها منه تسخر من غيرته المجنونة التي لايملك ان يظهرها حتى !

لايعرف كيف ملك القوة والمقدرة ليرد على بهاء قائلا " انه سيكلمها بنفسه !"

قضى الساعات بعدها تتآكله المواجع ، مواجع الماضي والحاضر ... والوحش يزأر بغضب في داخله ، يوسوس له كشيطان منتقم من ضعفه نحوها انها ملكه الان ويجب ان تظل ملكه ...

استدعاها لمكتبه بعد مغادرة الموظفين ، لايعرف ماذا كان يريد ان يثبت ! هل كان يريد اقناع نفسه بما قالته سهر قبل ذلك ؟! سهر التي فقدت اعصابها لان شهد قطعت عليهما قبلتهما لتتهمه صراحة انه يهتم بشهد عاطفيا ويغار عليها ؟

ولم يكن هذا فحسب ... ارتعشت يده اكثر وهو يتذكر كلمات سهر التي هزّته !

لقد واجهته بعنف انثوي غيور وهي تخبره ان شهد تهتم لامره ايضا !

صدمته .... ويكاد يتخيل كيف كانت تعابير وجهه لتجعل سهر تغص بالبكاء وهي تأخذ حقيبتها وتركض مغادرة مكتبه !

تأوه .... همس ..." هل يعقل ؟! " غامت عيناه بالألم وهو يهمس " لا ... لايعقل .. سهر مجنونة ! فشهد ما زالت تعشق احمد ، زوجها الحقير عدنان لم يستطع ان ينسيها اياه "

تأوه ليعنف نفسه قائلا " اما انت ايها الغبي فبعد النذالة التي عاملتها بها ليلة الامس ستلعنك لآخر يوم في حياتها "

مال برأسه جانبا يستند لنافذته الجانبية وهو يعاود اخذ انفاسا اخرى من سيجارته .. افكاره غير محددة ، لا ... فقط فكرة واحدة تفرض نفسها عليه ... ان يعيدها ... لايهم بهاء ... لايهم سهر ... لايهم هو شخصيا كم يعاني بقربها ... انه يريدها قريبة فقط ...

جحيم بعادها اضعاف جحيم قربها منه .. يكفيه ان تبتسم له وهي تحييه صباحا فيشرق يومه باشراقة وجهها الجميل وروحها الاجمل ، دوما كانت تبتسم له هكذا عندما كان يتعمد ان يكون في طريقها صباحا وهو ما زال شابا في العشرين ...

روحه ذابت لروحها تلك واختلجت دواخله وهو يتذكرها بين ذراعيه ليلة الامس ....

تنهيدة عميقة حارقة خرجت من اعماقه ، لقد فقد السيطرة في البداية وشعر انه ليس هو نفسه والوحش يزأر ويزأر ويهشم كل شيء في طريقه يمنع تحرره ....لكن ... في لحظات معينة وهي بين ذراعيه تقاومه بضعف عاد سنوات للخلف ... لحلم مراهق وشاب يافع ، حلم ان يضمها اليه هكذا ويشعر بالحب كأي شاب آخر .

الغريب انه لم يعده لحاضره الا استجابتها له ! كانت مشاعره متناقضة !

وكأنه انفصم لشخصين .. شاب متلهف عاشق يحقق اغلى امنياته ورجل غيور يقاتل من اجل امرأة تتسرب من بين يديه !

لم يشعر بنفسه والرجل الغيور يفرض سيطرته اكثر ليتلبسه الوحش الجائع ينهش فيها يستملكها بالقوة فلا تفكر بعدها بأن تكون لغيره !

اضطرب بشدة ... مد يده بارتجاف ليطفئ سيجارته وهو يشعر بالاختناق !

مسح على وجهه بارهاق ثم قرر بشكل فجائي انه سيذهب اليها .. اجل سيعتذر منها ويتوسل لو لزم الامر ، فما فعله لايغتفر !

سيتحجج بأي شيء ، سيقول انه تشاجر مع سهر بسبب موعد الزفاف وانه شرب قليلا من الخمر التي تلاعبت بعقله .. سيخبرها انه ... مجنون ... مجنون مهووس بها ...

" يا الهي ! فلاخرج من هذه السيارة فيبدو اني احتاج للهواء النقي حتى اعيد تنظيم ما ساقوله لها "

وهكذا .. خرج من سيارته واقفلها قبل ان يتركها مركونة في نفس المكان وفضّل ان يقطع الطريق ماشيا حتى يصفو ذهنه ..

اخذت الكلمات تفلت وتتسرب من عقله وهو يقطع الدرجات نحو الطابق الثالث حيث شقة السيدة جهينة ، تعثر اكثر من مرة فشتم بغيظ وهو يحاول ان يرمي باسباب تعثره على درجات السلم المثلمة !

تجمدت خطواته وهو يسمع صرخة تعلو ! ثم اخذ يهرول ليتسلق ما تبقى من الدرجات وقلبه يهدر رعبا والصرخات تتوالى ! لقد بدت الصرخات وكأنها ...

" يا الهي !"

وصل الشقة ليقرع بابها وهو يصرخ بعنف " افتحوا الباب ... شهد ... افتحي !"

لم ينتظر اكثر ليضرب باب الشقة القديم بكتفه ويحطمه !

الشعور بعدم التصديق لرؤية مؤيد تلاشى خلال لحظة ليهدر الغضب الجامح وهو يرى شهد مكومة على الارض كحيوان كسير جريح يشرف عليها ذلك الحقير كغول جلاد اسود رافعا يده عاليا ليهم بانزال سوطه عليها مرة اخرى !

هجم عليه وقد فقد رشده فلم يشعر بهذه البدائية في القتال الا عندما كان مجرد صبي ضعيف يقاتل بأي شيء يتحصل عليه ليحمي نفسه من بطش الاولاد الاكبر سنا في ذلك الملجئ البغيض !

كان يضربه بوحشية عشوائية ومؤيد خذلته المفاجأة في البداية ليحاول الرد بعدها دون نجاح يذكر .

شعر بطعم الدم في فمه وللحظة متشفية مجنونة تصور انه دم مؤيد فانتعشت روحه المنتقمة !

لكن الانين الصادر من شهد سحبه بقوة ليخرج من نشوته ، تطلع اليها كيف تزحف على الارض مبتعدة وقد تمزق جانب قميصها وانحسرت تنورتها لتكشف عن ساقين خطّت سياط الجلاد عليهما بقسوة ...

فارت الدماء في عروقه ... وقف على قدميه ، هدرت انفاسه ، عيناه تبحثان عن ضالته حتى وجدها !

التقط اسامة الحزام الذي سقط من مؤيد عندما هاجمه ، نظر لمؤيد المتهالك على الارض فالتمعت عينا اسامة بقوة .

اخذ يلف طرف الحزام على يده وهو يقول بوحشية " تحب الجلد بالحزام ايها ال..... حسنا ... فلتذق طعمه فربما ستحبه اكثر !"

لم يتوانَ لحظة ... رفع يده ليهوي بها على جسد مؤيد ليجلده بلا رحمة ... مرارا وتكرارا ...

لم يشعر بدخول بعض الرجال الشقة على اثر
الصراخ والشجار الذي دار واخذ يقاوم بشراسة
محاولتهم لايقافه ، احدهم حاول ضربه
ليوقفه بالقوة عندما تناهى صوت شهد
المختنق قائلة " لا .. كان .. يدافع .. عني .."

عندها فقط استعاد بعض التعقل فنظر اليها
ليجد احدهم يمسك بها يسندها ، فدفع
الايادي بعيدا عنه ورمى الحزام ارضا ثم بصق
على مؤيد الذي بدى كمن سيفقد الوعي
ليتحرك بخطى نارية نحو شهد .

وكأنها تستجيب لحاجته دون كلام افلتت من
يد الرجل التي كانت تسندها لتتحرك نحو
اسامة والدموع تملأ عينيها ،

مد ذراعيه نحوها فالتجأت اليه تبكي بحرقة
على كتفه فضمها اليه وهو يهمس لها بوعد "
اقسم لك هذه اخر مرة يضربك بها "

كان الرجال مرتبكين بعض الشيء
ولايعرفون من هذا الرجل ومن ذاك !

لكنهم رضوا بما قالت صاحبة الشأن
واخرجوا مؤيد بعيدا بينما ابقوا واحدا منهم
بصحبة اسامة وشهد حتى يفهموا ما يحدث في
شقة السيدة جهينة بالضبط خصوصا مع
غياب السيدة !

سار اسامة بشهد حتى اجلسها على كرسي قريب ثم تحرك على عجالى ليدخل احدى الغرف فخرج منها وهو يحمل بيده غطاءا لفه حول جسدها المرتجف ، مد يده يرفع ذقنها اليه فاسبلت اهدابها لاتجرؤ على النظر اليه ، وجهها كان ملطخا بالدموع واثر بسيط احمر ظهر على ذقنها ، اخذ يمسد الاثر برقة والشعور بألمها يعذبه ، اغمضت عينيها بقوة ووجهها يرتعش تحت يده ، شعر بخزيها وهي تحاول اخفاء نفسها ولو باغماض عينيها !

انتابه الغضب السافر مرة اخرى فالتفت نحو الرجل الاربعيني الواقف ليهدر فيه " الا ترى ان وقوفك يحرجها اكثر ؟!

غادر لو سمحت ودعها ترتاح قليلا بعد ما فعله ذلك الحقير بها .."

تلكأ الرجل لكنه لم يتراجع بسهولة ليقول لاسامة بهدوء " لكن يجب ان اتأكد بأن الفتاة بخير معك ، ويجب ان نفهم من ذلك الرجل بالضبط ؟"

سحق اسامة اسنانه بوحشية ليقول وهو يتقدم نحوه " ذلك الحقير هو اخوها وقد كان يضربها بعنف لانه اراد تزويجها بعجوز خرف وهي رفضت ... هل يكفيكم هذا ؟!"

عبس الرجل قليلا وبان عدم الثقة في نظراته وهو ينقلها بريبة بينه وبين شهد ليسأل بعدها " وانت ... من تكون ؟"

لم يتردد اسامة لحظة وهو يقترب اكثر ليصبح مع الرجل وجها لوجه ثم قال بصوت واثق حاد " انا خطيبها ..."

اتسعت عينا الرجل قليلا ليضيف اسامة بحدة " غادر لو سمحت ... الوقت غير مناسب لدهشتك ! اريد الاعتناء بها ومداواة جروحها "

استدار اسامة ليعود ناحية شهد الغائبة عما حولها بينما تحرك الرجل ليغادر وما زال التردد يرافق خطواته وقبل ان يصل الباب المكسور قابله رجلين ممن اخرجوا مؤيد سابقا ، تهامس معهما ببضع كلمات ثم القوا جميعا بنظرهم نحو اسامة الذي تجاهلهم تماما ليتوجه لخزانة الاسعافات الاولية المعلقة على الحائط فتحها واخرج منها معقما وبعض القطن الطبي .

تراجعوا ليغادروا جميعا وهم يردوا الباب خلفهم ، تنهد اسامة وهو ينظر نحو الباب الذي لم ينغلق تماما بعد الضرر الذي لحق به عندما حطمه ليدخل عنوة ، اهمله وتحرك نحو شهد التي بدت شاحبة جدا ، وجهها يحمل طابع الرعب وعيناها متحجرتا النظرات .

قال لها برقة وهو يزيح الغطاء قليلا عن كتفها " دعيني ارى جراحك "

رفعت نظراتها المتحجرة اليه لتقول بحدة غريبة " اي جراح ؟! وما الفائدة ؟!! سيأتي مرة اخرى ... سيقتلني لامحالة ... انت لن تكون موجودا دائما ، والان وقد عرف بمكاني ... عرف بوجودك معي ، انت بالذات ... سيجن ... سيعود ... وعندها ... سيقول اني امرأة باعت شرفها ... اني .. حقيرة ... مبتذلة ... رخيصة ، والجميع سيصدقه ... بل سيساعدونه لينال مني ويقتص للشرف المسكوب !!"

كلماتها اخذت تخرج بهستيرية وهي ما زالت تتمسك بالغطاء بقوة ، اكملت وهي تنظر اليه بيأس قاتل لم يره على وجه انسان قط " انا لااساوي شيئا ، سيدفنني حية ولن يسأل عني احد ! مجرد امرأة ساقطة يعاقبها اخوها على افعالها الشائنة ! "

طفح الكيل .... وضع المعقم والقطن بحدة على اقرب منضدة ثم عاد اليها ليقول بلهجة حازمة آمرة " لملمي اغراضك .. كل اغراضك .. انا ساتصرف ، وليُرني ذلك الحقير ماذا يستطيع ان يفعل "

نظرت اليه بملامح ميتة لتهمس " سيجدني مرة اخرى مهما ابعدتني ، اتركني اسامة .. دعني اواجه مصيري ، لن اعيش حياتي هاربة .. لقد تعبت من الخوف ..."

" ماذا يحدث هنا ؟! "

صوت السيدة جهينة المصدوم اتاهما من ناحية الباب ، نظراتها المصدومة انتقلت لباب الشقة لتقول " لم اصدق ما قاله الرجال لي حالما رأوني عائدة "

فقال اسامة بحزم " سيدة جهينة ، ساعدي شهد لتلملم اغراضها ، وساشرح لك الامر فيما بعد ، المهم انها يجب ان تغادر الان وفورا "

عبست السيدة جهينة ونقلت نظراتها من اسامة لشهد التي نكست رأسها وهي تتلحف بالغطاء .

قال اسامة متبرما من عدم استجابتها " شهد في خطر ! اخوها المجنون يلاحقها منذ فترة وقد وصل لعنوان سكنها هنا بطريقة ما "

صوت شهد تحشرج وهي تقول برأسها المنكس " انا السبب ... لقد ذهبت .. ليلة الامس .. هناك ... لكني لم استطع ... الدخول .. خفت ... خفت ان يؤذيني ...ويبدو انه رآني وانا اغادر .. لحق بي ... "

عقد اسامة حاجبيه وهو يلتفت نحوها ليقول بتوجس " هل تقصدين انك ذهبت للحي ؟! "

هزّت راسها بنعم قبل ان تجهش اخيرا بالبكاء ...

تقبّضت يدا اسامة واثقل كاهله بشعور بالذنب المضاعف ! هو السبب ... هو من جعلها تهيم على وجهها ليلة الامس تلتمس الامان حتى ولو ببيت ميت الروح واخ حقير سافل ...

اقتربت السيدة جهينة بعدة خطوات وهي تقول بهدوء " ساحزم اغراضها بنفسي "

كانت قد ابدلت ملابسها الممزقة ببنطالها الطويل الاسود وبلوزة طويلة الاكمام لتستر اثار الضرب ثم ودعت السيدة جهينة ... كان وداعا مثقلا بالدموع .. مثقلا بالخوف المتربص لينهش الحلم بأمان مفقود !

سألته بروح ميتة " هل ستاخذني لنفس الفندق ؟!"

صوتها يقطر يأسا ، ضغط بانامله على مقود سيارته حتى ابيضت مفاصله ،

لم يرد عليها بينما اعطى اشارة جانبية ليشق الزحام عرضيا ويركن سيارته بجانب الرصيف .

التفت بجسده كله نحوها ... نظرت اليه وبادلها النظر ... لم يكن يحتاج ذكاءا مفرطا ليفهم السؤال الصامت ، همس في سره " يا الهي نظرتها اليائسة هذه لاتساعد ابدا !"

اخذ نفساً ثم قال بترو " شهد ... هناك امر ساعرضه عليك ، انه حل مؤقت لسنة .. سنتين .. او مهما اخذ من وقت ، انا لايهمني ، المهم ان تساعديني فيه لاجلك انت "

تشتتت نظراتها وبدت مرهقة اكثر مما رآها في اي وقت سابق !

قالت بنبرة تعكس ارهاقها وحيرتها " ماذا تقصد ؟ واي حل ؟"

شعر بتصلب كل عضلة في جسده قبل ان ينطقها " انا اعرض عليك الزواج مني "

سكنت ملامحها تماما واخذت تنظر اليه وكأنها لاتفقه قوله !

اكمل " هذا افضل حل لك ، سأحميك من مؤيد وانت في بيتي ، وعندما ينساك تماما ويفقد الامل فيك سا ..ساحررك .. "

كانت تهز راسها بيمينا وشمالا .. ببطئ شديد .. وكأن حتى هذه الحركة البسيطة ترهقها !

قالت وهي ما زالت تحاول الاستيعاب " ما ... مالذي تقوله ... اي زواج ؟! " ثم فجأة اضافت بهلع " وسهر ؟!! هل نسيتها ؟!! كيف تعرض علي امرا كهذا وانت خاطب وعلى وشك الزواج ؟!!"

تنهد وهو يستعدل في جلسته لينظر امامه في شرود ثم قال ببساطة فاجأته هو شخصيا " لقد انفصلت عن سهر البارحة "

شهقتها اثرت به ؛ تعيش مأساة كمأساتها ومع هذا تهتم لما يحصل معه ... انها تهتم لامره فعلا .. لكن ... اللعنة ... لن تهتم ابدا كما يريد ؛

نحى تلك الافكار البائسة جانبا وركز على هدفه الاساسي بانقاذها ...

التفت نحوها برأسه ليرى تلك العينين الجميلتين تنظران اليه بتعاطف وحيرة اكبر .

قال بابتسامة واهنة " يبدو اني رجل معقد للغاية ؛ لااصلح لفتاة خالية البال وحلوة كسهر .. لن استطيع ان اكون زوجا تقليديا كما تتمنى اي فتاة "

رفعت شهد يدها لفمها بارتباك وهي تقول بتلعثم " اسامة .. ما يحدث بينكما ... مجرد .. شجار .. يحصل بين .. اي خطيبين "

رد ساخرا " ارجوك .. لاتبدأي باعطائي نصائح حنونة ؛"

شتم نفسه وهو يرى انكماشها ولو كان يستطيع لكم نفسه الان لفعلها ؛

اطرقت برأسها ويداها استقرتا في حجرها ، مد يده ليمسك تلك اليدين فتقلصت وحاولت سحبهما الا انه منعها قائلا بحشرجة " انا آسف لفظاظتي " ثم اضاف برقة " ألم اقل لك اني لاانفع كزوج ! لااجيد التعامل مع الفتيات اللطيفات وهن لايفهمنني ولن يفعلن ابدا ! "

تمكنت من سحب يديها لترفعهما لصدرها والتفتت برأسها جانبا بعيدا عنه لتقول ببعض الشرود والتردد " لكني .. رأيتكما بالامس وكنتما .. اقصد ..."

قاطعها قائلا بهدوء " ما رأيته بالامس كان محاولة فاشلة من سهر لرأب الصدع الحاصل منذ فترة ، هي لم تكن تريد الاعتراف بأننا لاننفع بعضنا ، ولاكون اكثر عدلا انا ايضا لم اكن اريد الاعتراف ! اردت الزواج بفتاة خالية من التعقيد ولطيفة لكني اخطأت التقدير ، هذا يبعث على الغضب حقا !"

فجأة التفتت نحوه لتسأله بعينين مجروحتين " هل لهذا فعلت بي ما فعلت ؟ هل كنت غاضبا لهذه الدرجة لتجرحني وتشوهني باتهاماتك ؟"

عيناه لم تفارقا عينيها ، ذلك الجرح عميق .. عميق جدا وهو من تسبب به ومن تسبب بكل هذه الفوضى التي تعيشها شهد الان ، لو لم يكن حقيرا معها ليلة الامس لما ذهبت هناك ... لما رآها ذلك الوغد ...

قال بنبرة صادقة " انا شوهت نفسي بما فعلت ولم اشوهك انت ! لاتعطي تبريرات لمن يؤذيك يا شهد ، انا آذيتك بالامس ومهما كانت اسبابي لانفجاري بوجهك هذا لايعطيني الحق بفعلها .. انا آسف ... وليت لي القدرة لمحو ما فعلت وما قلت ... لم اكره في حياتي قدر التجبر على الاضعف "

اختلج صدرها واهتز قليلا بفعل بكاء مكتوم لكنها قاومت بشجاعة لتلتفت جانبا مرة اخرى وتقول بهمس " شكرا لك .."

ابتلع ريقه تأثرا ليسألها " والان ... ماذا بشأن عرضي ؟"

عادت لتلتفت نحوه وتسأل بعبوس " هل انت جاد ؟! انا لااصدق انك مدرك "

اغمضت عينيها للحظة وهي تأخذ نفسا قبل ان تضيف " ارجوك انا مرهقة حقا ..."

رد بصوت ثابت مصر " انا ايضا مرهق ! لم انم ليلة الامس ولا ساعة واحدة ! لذلك لاترهقيني وترهقي نفسك ، وافقي على عرضي وانتهينا ، ستكون فترة تستعيدين فيها قوتك فعلا دون اي تهديد ،

ولاتفكري بسهر ابدا ، قلت لك انا انفصلت عنها فعلا وليس لي الرغبة بالعودة اليها اطلاقا "

لم يشعر بهذه الراحة منذ فترة طويلة ... طويلة جدا ... الاعتراف برغبته للانفصال عن سهر اراحه الى ابعد حد !

ردت بانفعال فاجأه " هل تدرك اذا تزوجتك الان ماذا سيقول عني الناس ؟! سيقولون اني خطفتك من خطيبتك ، لااحد سيصدق انك انفصلت عنها بارادتك وان لاعلاقة لي بالامر البتة !"

همس في سره ساخرا (بل انت كل العلاقة !)

وبدلا من ان يفصح عن مكنونات صدره تجاهلها تماما ليقول بهدوء " الناس ستتكلم مهما فعلت فتوقفي عن الاهتمام بهم لامور تافهة وبدلا من ذلك واجهي واقعك القاسي يا شهد ولا تتخبطي اكثر ...."

صمت قليلا وصمتت هي بعجز ! اكمل بنفس الهدوء " عليك مواجهة كلام اكبر واخطر من كلامهم عن اختطافك لخطيب احداهن .. كلام قد يؤدي لافعال ..." ثم رفع احدى يديه ليعدّد على اصابع يده الاخرى " انت امرأة مطلقة وهاربة من بيتها ، تسكن بمفردها واخوها يلاحقها وقد يبتدع افظع التهم الشائنة بحقك "

تألم لارتعابها الذي زحف لنظراتها ولكنه كان مضطرا ليجعلها تدرك الامور كما هي .. دون اي تزويق ..

اكمل بصبر " وهناك وجودي انا في الصورة ، الناس ستنهشك اكثر لوجودي هذا دون رابط رسمي يمنحني الحق للاقتراب كيفما اشاء ، يمنحني الحق بحمايتك من اخيك وايقافه عند حده ، حق يكفله لي القانون والشرع والمجتمع ، بدون زوج انت مجرد امراة عاقة هاربة من الالتزام بالاعراف والتقاليد ولكن بوجودك في بيت زوجك فالمجتمع سينصفك ، سيجعلك الضحية ويتعاطف الجميع معك بدلا من ان يضعونك في خانة الخاطئة التي تستحق الرجم بالحجارة .."

شعرت بصداع رهيب يفتك برأسها فقالت وهي تدلك صدغيها " لااعرف اسامة ! حقا لااعرف ... يبدو الامر .. يا الهي ... اقسم اني لااعرف !!"

رد برقة " ثقي بي هذه المرة ، انا خذلتك سابقا ولكن لن اخذلك مرة اخرى "

نظرت اليه ... ادرك ضعفها .. ادرك يأسها .. ورغم كل شيء غمرته بهجة لاتوصف ولايريد تفسيرها حالما تحركت شفتيها قائلة " انا اثق بك ..."

وقفت نجوى اعلى السلم تنظر للاسفل بنوع من الرهبة ! لاتعلم لم هذا الشعور بالتحديد فيفترض ان تشعر بالغضب ، بالاحباط ، اليأس ، الاذلال ! لكن هذه الرهبة لاتفهمها ...

هل هي رهبة مواجهة جنان وقد اوشكت ان تشاركها في زوجها ؟ ام هي رهبة مواجهة الشيخ يحيى وقد ارجع عليها حجتها بطلب الامان فمنحها اياه في بيته دون الحاجة للزواج به ؟

ام انها رهبة الوقوف على مفترق الطرق .. مفترق طرق طال مكوثها عنده ، ها هي نجوى التي تكاد تبلغ الاربعين ومع هذا لم تحقق شيئا يمنحها قيمة ... يمنحها بعض الامان لمستقبل مجهول ! فهل ستظل قابعة مستكينة عند مفترق الطرق هذا لتكتفي بمراقبة الاخرين يحددون خياراتهم ويمضون قدما بينما هي تعضعض شفتيها حسرة وتجتر الاشفاق على النفس والغضب من الاخرين دون ملل او كسل !

تحارب رهبة الاقدام على الاختيار بمحاولة مشتتة لقراءة خياراتها المتاحة ، رفعت ذقنها قليلا ومدت يدها لتستند على حافة السلم و بتردد اخذت تهبط درجاته حتى وصلت اخره واذناها تحاولان التقاط صوت جنان فالشيخ يحيى لايكون موجودا في هذه الساعة من النهار ، وهي تحتاج رؤية جنان وحدها ،

فما زال الوقت مبكرا لتجد القوة على مواجهة الشيخ ، الشيخ الذي جرحها ثم ضمّد جرحها بحنان ليطمأنها ان الجراح لاتقتل في اغلب الاحيان بل يجعلنا اقوى ونحن ندرك متعة الشفاء !

اخذت نفسا وهي تدعو الله ليعينها على مواجهة جنان ، انها تحتاج ان تنظر في عينيها وتخبرها انها اخطأت ! اجل اخطأت يوم ان فكرت بنفسها كزوجة ثانية ، يوم ان خدعت نفسها انها تعمل معروفا بالشيخ وزوجته ولا مانع ان ينالها جانب من هذا المعروف !

ربما عندما تعترف بكل هذا ستتوضح الخيارات اكثر ، وستجد القوة والادراك العميق لتختار ... لمرة واحدة في حياتها تريد ان تختار ....

احتارت خطواتها بين ان تختار المطبخ ام غرفة المعيشة ؟! بضع اصوات مكتومة جعلتها تحدد وجهتها نحو غرفة المعيشة ....

صدمها المنظر هناك ! فالغرفة التي ضمت عدة ارائك بسيطة الحال وسجادة مربعة بنية اللون كانت قد امتلأت الان بكميات من لفائف ضخمة لاقشمة متنوعة !

ارتفع حاجبا نجوى عاليا بينما الاصوات التي كانت تصلها مكتومة قبل قليل تتوضح اكثر من ناحية الباب الثاني لغرفة المعيشة

والمطل على الناحية الاخرى من البيت حيث يوجد مخزن خارجي صغير يستخدمه الشيخ لحفظ المعونات التي تصله للعوائل المتعففة ودور الايتام .

ولم تمض الا لحظات حتى اطلت جنان وهي تحاول بجهد مضني حمل لفافة اخرى ضخمة ويبدو انها عجزت عن حملها بالكامل فسقط جزأها الخلفي على الارض بينما جنان تسحبه بانفاس مقطوعة ووجه محمر وقد تصبب العرق من جبينها الناصع .

همست نجوى بتبلد ودهشة " ماذا تفعلين ؟!"

للحظة انشرحت اسارير جنان لرؤيتها نجوى لكنها سارعت لتعبس قائلة " بدلا من سؤالك الاحمق هذا تعالي وساعديني بحملي الثقيل قبل ان اصاب بضرر حقيقي في عمودي الفقري ! "

تحركت نجوى على عجالى وهي تعتذر وساعدتها فعلا لحمل اللفافة ووضعها جنب الاخريات على الارض ..

اخذت جنان تمسح عرقها بطرف حجابها وهي تنهت وتقول دون ان تنظر ناحية نجوى " لقد استنفدت طاقتي تماما ! يجب ان اخذ حماما طويلا منعشا وعلى الفور !"

شعرت نجوى بالحرج وهي تقول " عزيزتي ، اسفة لاني لم اكن معك لاساعدك "

نظرت جنان بطرف عينها لتقول بتصنع مرح " كنت منشغلة بغضبك مني "

اطرقت نجوى وهي تقول بخزي " لايحق لي الغضب منك اصلا ! اصبحت ادرك اني انانية جدا ، قضيت حياتي احقد على الاخرين والومهم لضياع حظي من الحياة وعندما واتتني الفرصة لاجد نفسي اخترت ان اسرق حظ غيري في السعادة !"

شعرت نجوى باقتراب جنان منها فرفعت رأسها نحوها فوجدتها تنظر اليها بعينين دامعتين لتقول بحزن " اسفة نجوى ، انا تسببت لك بالجرح، خيبت ظنك بي ، تصرفت بانانية ايضا بل بغباء وانا ادفعك نحو ...."

تحشرج صوت جنان واختنقت كلماتها ،

ترقرقت الدموع في عيني نجوى وهي تدرك ايُّ ألم كانت تعيشه هذه المرأة الرائعة وهي تدفع بزوجها وحبيب عمرها ليقترن بأمرأة اخرى ، فقط لتسعده ...

خنقتها العبرة وهي تتخيل معاناة جنان وهي ترى الشيخ يلاعب الصغار دون ان تملك منحه طفلا من صلبه ، ان تنجب ولدا تفخر به لانه يحمل دماء هذا الرجل الذي تنتمي اليه ،

انحسر النظر في المرآة الذي اعتادت على فعله لسنوات وهي تواجه نفسها يوميا بدمامة وجهها المفترضة ! نظرها امتد لتنظر حولها فتتيقن ان الألم مكتوب على جميع البشر ولو بتفاوت والفائز في هذه الدنيا هو من يخرج نفسه من هذه الحلقة المفرغة من الرفض لاقدار اللّه سبحانه .. يحاول تغييرها نعم ... انما يرفضها ويؤذي من حوله ... لا ..

قالت جنان ببشاشة رغم ارتعاش صوتها " لن نتكلم في الموضوع مرة اخرى ، ساذهب الان لاستحم وبعدها سنقوم بفرز هذه الاقمشة .. لدينا عمل كثير "

تحركت جنان لتغادر الغرفة بينما نجوى تسألها بحيرة " هل علينا تنسيق هذه الاقمشة بترتيب معين ؟"

التفتت جنان نحوها وقالت بمرح وهي تغمز " عليك انت ان تختاري الترتيب فيجب ان تحددي ما ينفع منها كملابس للاطفال لتبدأي بخياطتها "

تمتمت نجوى بحيرة اكبر " اي اطفال ؟!!"

ردت جنان وهي تعاود السير " اطفال دور الايتام الذين نتعامل معهم ، نريد خياطة اكبر عدد من الملابس لهم "

ثم ضحكت قبل ان تضيف " ولاتخشي شيئا ، فنظير تعبك ستحصلين عليه ، انه عملك الجديد "

وهكذا تركتها جنان ورهبة جديدة تسيطر عليها ، هل ستكون اهلا لهذا العمل حقا ؟!

وضع حقيبتها الصغيرة التي تضم اغراضها على الارض ليخرج مفتاح شقته من بيته يعاند هذا الارتجاف في يده بينما يشعر بتحركاتها القلقة خلفه فتثير فزعه انها ستركض هاربة في اية لحظة !

تعجل بادخال المفتاح في الباب وفكرة هروبها منه خنقته ! قلبه ما زال يخفق بقوة منذ ان اعلنهما القاضي زوجا وزوجة ! ألن يتوقف هذا القلب عن هديره الصاخب ؟!

شتم في سره وهو يفتح الباب اخيرا بعد محاولتين فاشلتين ثم عنّف (قلبه) قائلا في سره " ايها الاحمق توقف ... توقف ... كل هذا ليس حقيقيا ! انها ليست لك .. فقط كنت غبيا لتجعلها قريبة !"

تنحنح وهو يفسح لها الطريق لتدخل قائلا " تفضلي ..."

لم تطاوعها خطواتها .. رآها تتسمر في مكانها تطرق برأسها وتشد على قبضتيها ، ناداها بلطف دون ان يبادر للمسها " تعالي شهد .. لاتخافي ... سيكون كل شيء على ما يرام "

تحركت نصف خطوة ثم توقفت ... لم ترفع رأسها بعد ! ... سمع انفاسها قبل ان تخطو خطوة اخرى وتليها اخرى حتى مرت امامه مطرقة الرأس لتدخل شقته اخيرا ...

تنفس الصعداء .... انحنى ليلتقط حقيبتها مرة اخرى ثم تبعها ليدخل الشقة مغلقا الباب خلفه .

ما زالت توليه ظهرها تقف في وسط غرفة الجلوس الانيقة بطابعها العملي البحت فبدى وجودها كلمسة ناعمة تخفف من ذكورية المكان الجافة !

لم يقل لها شيء تحرك ناحية احدى الغرف ووضع لها حقيبتها هناك ثم عاد اليها ليجدها تقف في نفس المكان وكل ما تغير فيها انها تضم ذراعيها حول جسدها ، تحتضنه بطريقة مسته ، انها خائفة ... ولا يلومها ... لاول مرة يستشعر وضعها بطريقة مختلفة .

عندما سأله اليوم احد الرجال في شقة السيدة جهينة (من انت ؟) شعر بمقدار الضغط الذي ترزح تحته امرأة كشهد ،

انها محاسبة على كل صغيرة وكبيرة ، الكل يتفرج باستمتاع مغلف بالاهتمام وكأنهم يحضرون سيركا عالميا يتهافتون ليحصلوا على المقاعد الاولى للمتفرجين وداخلهم خشية مخفية من ان تدفعهم الحياة يوما ليكونوا ضمن الحلقة الدائرية الوسطية للعرض !

الكل يسعى ليحاسبها بقسوة اذا شكوا مجرد شك انها مخطئة لكن ما ان يكتشفوا انها البريئة حتى ينفضوا من حولها وكأن حلقة السيرك لهذا اليوم لم تعد ممتعة او مشوقة !

" اسامة ..."

خرج من شروده على صوتها المتردد وهي تناديه ، كانت قد استدارت الان وقد بدت عيناها واسعتان جدا وسط وجهها الشاحب ، الانهاك .. الارتباك...عدم الثقة بما حولها .. الشعور بأنها ارتكبت حماقة بزواجها منه ! كلها مشاعر اخذت تهاجمها بلا رحمة .

قال متجاهلا ما يراه على وجهها " لقد وضعت حقيبتك في احدى الغرف "

ازداد شحوب وجهها وبدت تعابيرها مكشوفة جدا وهي تستوعب حقيقة وضعها الجديد .

اكمل بابتسامة مرتجفة " غرفتك هي اولى الغرف على جهة اليمين من الممر "

يا الهي انه سعيد ! كيف يمكن ان لا يكون غارقا في السعادة وهي ستكون معه ... باي صفة وبأي وضع ... ستكون معه ...

رغم اشفاقه على حالها الا انه يشفق على نفسه اكثر ، قال بنعومة يحاول المزاح " الشقة فيها اربع غرف ، غرفة نومي في نهاية الممر واعترف انها اكبرهن ولها اطلالة مميزة لذلك لن اتنازل لك عنها "

ابتسمت قليلا ووجهها يتورد ، استشعر هذا الفرح الغامر الذي ينسكب داخله كالعسل الصافي فاضاف بصوت مبحوح " الغرفة التي تقابل غرفتك هي غرفة خاصة كمكتب لي ، وتبقى غرفة اخرى شاغرة بجانب غرفتك "

وبنفس البحة قال وهو يبتسم " بامكانك التنقل بين الغرفتين كما تشائين "

تطلعت شهد حولها وقد ادرك انها ما زالت تشعر بالضياع ، تقدم نحوها وبعفوية مد يده ليمسك ذراعها وهو يقول " تعالي اريك الشرفة "

انكمشت من لمسته فتوقف قائلا ببعض الجدية " استرخي شهد ، اعلم اني تصرفت كحيوان البارحة وقد اعتذرت لك "

ثم ضحك ليخفف من حدة مشاعره التي يحاول اخفاءها والسيطرة عليها " وفي كل الاحوال انت اليوم زوجتي .."

رفعت رأسها اليه بحدة لتهمس بتساؤل مرتعب " ماذا .. تقصد ... "

حدق في وجهها المشدود وتمنى لو يملك القدرة لتحرير شعرها من رباطه عسى ان يخفف قليلا من حدة توترها ، لكن ان فعلها الان فبلا شك ستصرخ هاربة منه كالمجنونة !

قال بحنان " قلت لك اهدأي واسترخي ، اريدك ان تطمأني بوجودك هنا لا ان ترتعبي هكذا ، احببت ان اذكرك بحقيقة انك زوجتي فعلا الان لذلك لاداعي للاضطراب والخوف "

هزّت راسها لكن القلق ما زال يؤرق محياها ، ابتسم قليلا وهو يشير ناحية الشرفة " تعالي معي ، ستعجبك الشرفة ، بامكانك تناول الافطار بها يوميا "

فسألت بعفوية وهي تنظر اليه " وانت ؟!"

شتم (قلبه) الخافق مرة اخرى ثم قال بمرح ساخر يخفي تمزق مشاعره " ان دعوتني شاركتك اياه "

هناك شيء خاطئ !

لازمه هذا الشعور وهو يغادر شقته تاركا شهد تتعامل مع خجلها لوجودها هناك .. تتعامل مع حقيقة اوقع الا وهي .. زواجها منه !

ترى هل ستصحو قريبا على حقيقة اخرى انها لاتريد الاستمرار بهذه المسرحية ؟!! انها تريد التحرر لتبني نفسها بمفردها ؟

شتم للمرة ... لايعرف كم ... وهو يسير بسيارته ليلتحق بشركته التي اهملها تماما هذا اليوم .

مع هذا .. ليس هذا هو سبب شعوره بوجود الخطأ !

رنين هاتفه اخترق افكاره ... رنة هاتف رومانسية ... ببساطة ... كان فيها الرد !

انها هي الشيء الخاطئ .... سهر ...

الفصل العاشر

نظرت للباب الانيق الذي اغلقه اسامة للتو بعد ان ودعها بابتسامة مشجعة وحثها على استكشاف الشقة .

اصابها تبلد من الهدوء الذي عم فجأة حولها ، هدوء لم تعتده بمثل هذا النقاء ، لايتخلله الا صوت لزقزقة العصافير تصلها من الشرفة التي فتحها اسامة قبل مغادرته .

اسامة .. اسامة .. اسامة ... كل شيء حولها اصبح مدموغاً بوجوده !

التفتت ببطئ تتطلع لغرفة الجلوس الانيقة الفاخرة ، ارائك جلدية سوداء وطاولات زجاجية السطح وبقواعد حديدية فضية ، تلفاز حديث بشاشة بلازمية عريضة جدا معلق على الحائط ، صور باهتة علقت على الجدران بتنسيق مدروس ، واضح انه تم انتقاؤها لتلائم الاثاث وتناغم التحف التي توزعت باناقة محترفة هنا وهناك .

انها لوحة ! لوحة مؤكد رسمها مصمم ديكور محترف ولكنها لوحة مبهمة لاتعبر عن روح خاصة تمثل صاحب المكان .

صاحب المكان .... اسامة ... زوجها !

اتسعت عيناها قليلا وشهقت ! ما الذي تفعله هنا ؟! هل حقا اقدمت على هذا الامر ؟ هل ارتبطت باسامة برباط مهم كالزواج دون ان يعنيا حقا الالتزام به ؟ كل هذا لتجد سقفا يأويها .. سقفا اشد صلابة من ان يستطيع مؤيد تحطيمه فوق راسها ..

لم تبالي بالدموع التي تنساب بتمهل على خديها فقد اعتادتها .. انها صحيباتها اللواتي يطبطبن على روحها المكلومة فيمنحنها المواساة ... فقط بعض المواساة ... لا دعم على الاطلاق ..

الدعم ... هل حصلت على الدعم يوما ؟!! عصرت ذهنها عصرا لتتذكر فربما نسيت !

قد تكون امها منحتها بعض الدعم الواهي و .. احمد منحها دعما نفسيا لكن ... هل هذا هو ما يسمى بالدعم حقا ؟ الا يفترض ان يحدث الدعم تغييرا نحو الافضل ؟ الا يفترض ان يؤثر بقوة على حاضرنا ومستقبلنا ؟

فجأة توصلت لحقيقة واحدة ... انها لم تحصل على دعم حقيقي الا من اسامة ! انه الوحيد الذي اقدم على افعال على ارض الواقع .

همست بحشرجة وهي تجول بعينيها في المكان مرة اخرى " ماذا ينتظرك بعد يا شهد ؟ هل ستظلين تنتقلين من مكان لآخر ؟ يعطف عليك فلان وفلان ... ويستضعفك فلان وفلان ... وانت .... من تكونين ؟!! "

عادت تناجيها زقزقة العصافير فابتسمت بشجن وهي تتقدم ناحية الشرفة العريضة المطلة على الشارع ، ولكن ما ان وصلت عتبتها حتى توقفت خطواتها في وجل !

من هي لتقف هناك ؟ ماذا ستقول لمن يراها في هذه الشقة التي لايسكنه الا رجل شاب اعزب ؟ هل تجرؤ على القول انها زوجته ؟!!

هزّت رأسها بلا معنى لتكتفي بوقوفها هناك تتسمع لتلك الزقزقة فتذكرت قول امها عندما كانت تقول ان زقزقة العصافير تسبيح للّه ،

رفعت شهد رأسها عاليا .. تطالع السماء تملئ عينيها برؤيتها تناجي من اعماق الروح هامسة " انا طير مذبوح يناجي ... ارحمني سيدي وخالقي ، ارحمني انا أمتك الضعيفة التي لاحول لها ولا قوة ، اهيم في دنياك على وجهي ولا اطلب الا عدلا لانسانيتي وسترا لانوثتي المستضعفة وحياة حرة لاذل فيها ، هل اطلب الكثير ؟ هل ارتبكت ذنوبا عظمى تمنع عني رحمتك ؟! ان كنت فعلت فاغفر لي ... اغفر لي ... اغفر لي .."

ثم اجهشت بالبكاء وركبتاها تنثنيان فتهبط بجسدها الواهن الى الارض وصحبياتها المؤنسات يكثفن المواساة ....

" مرحبا سهر .."

حقا انه يتمتع بقوة اعصاب ! لقد تناول هاتفه ليرد عليها ببساطة ، هي التي ما زالت رسميا خطيبته بينما هو تزوج (رسميا) ايضا بأخرى وقبل اقل من ساعة !

لايعلم كيف وجود شهد في بيته يمنحه هذه القوة ... هذا البرود ...

" مرحبا .. اسامة ... انتظرك منذ ساعة في الشركة .. اين انت ؟!"

كانت تتحدث باسلوب عملي قد يبدو عفويا لكنه يعرف جيدا انها طريقتها لكي لاتعطي اهمية حقيقية لما حصل بينهما بالامس !

اغمض عينيه لوهلة ثم قال بهدوء متعمد " كان لدي امور مهمة ، انا في طريقي للشركة الان "

ردت ببشاشة " انا بانتظارك حبيبي "

اغلق الخط دون ان يعلق بشيء على لفظتها التحببية ، اذن هي ما زالت تظن بامكانية الاستمرار بهذه الخطبة الفاشلة !

للاسف ... انها لاتدرك ان الخطبة انتهت .. انتهت حقا منذ اليوم الذي قرر فيه ببقاء شهد في حياته ... حتى هو لم يدرك هذه الحقيقة الا البارحة .. ادركها وواجهها ورضي بها وعلى سهر ان تفعل مثله !

دخل المبنى الرئيسي وبينما يتوجه ناحية المصعد لاحقته خطوات ، التفت فوجد بهاء يكاد يصل اليه وقد بدى وجهه منهكا بعض الشيء وكأنه لم ينم ليلة الامس !

تصلب فكه وهو يقرأ ملامح بهاء القلقة بينما ابتسامة بلهاء ملتصقة بفمه !

بادره بهاء قائلا " مرحبا سيد اسامة ، رأيت الانسة سهر في مكتبك قبل قليل وهي اخبرتني انك على وشك الوصول للشركة فاعذرني لاني فضلت انتظارك هنا "

احتدت نظرات اسامة ليقول ببرود صقيعي " ما الذي يجعلك تنتظرني هنا يا بهاء ؟"

لم يتنبه بهاء لبرود اسامة معه فرد بابتسامة عريضة لاح فيها بعض الارتباك والخجل " صراحة لم انم ليلة الامس وانا افكر بموضوعي مع شهد ، احتاج ان اعرف ردها سيد اسامة ، على الاقل ان اعرف كيف استقبلت طلبي ، كنت اتمنى رؤيتها .. صباحا .. لكنها لم تحضر للشركة اليوم .."

تقبّضت يدا اسامة وابيضت شفتاه من شدة الغضب ، كان يحارب هذا الجنون الذي يملي عليه بضرب هذا الرجل المتيم امامه كما ضرب مؤيد صباح اليوم !

تمالك نفسه وهو يسيطر على انفاسه الهادرة ليقول بصرامة " يؤسفني ان ابلغك بأنها رفضت "

الابتسامة العريضة انحسرت لتتعلق بقاياها بشفتيه كتعبير عن الصدمة !

ردد بهاء بذهول مصدوم " رفضت ؟! " ثم شاب نظراته شيئا من عزة النفس المطعونة وهو يقول " رفضتني انا ؟!!"

ارتد رأس اسامة قليلا للخلف وتوحشت نظراته وهو يوجهها نحو الرجل الاربعيني ليقول بقسوة " وماذا ان رفضتك انت ؟!! انها امرأة حرة وتستطيع رفض من تريد والقبول بمن تريد ، ام انك تستكثر هذا الامر عليها ؟"

الحرج اختلط بالكبرياء (المهان) فبدت تعابير بهاء غير منضبطة لكنه قال لاسامة " اريد الكلام معها ، فربما هناك امور تحتاج للتوضيح بيننا "

قال اسامة بحزم شديد " لاامور للتوضيح ، انسَ الموضوع برمته يا بهاء وجد لك امرأة اخرى "

تحرك اسامة ليكمل طريقه نحو المصعد الا ان بهاء لم ييأس ليلاحقه قائلا " فقط اسمح لي بمكالمتها ، ارجوك ..

انا اعرف انها تعتبرك كأخ مسؤول عنها ولذلك استسمحك بأن اكلمها بنفسي على انفراد "

ضغط اسامة على زر طلب المصعد دون ان ينظر نحو بهاء فلو نظر اليه الان سيضربه ويحدث فضيحة في المكان ، قال اخيرا وهو يدخل المصعد " الموضوع انتهى ولن اسمح بفتحه مرة اخرى ، وشهد اصلا لن تعود للعمل هنا ، لقد انتقلت للعمل في شركة جديدة "

قال كلماته هذه وهو داخل المصعد يواجه بهاء المصدوم بنوع من التشفي !

انغلقت بوابتي المصعد فاغلق اسامة عينيه وهو يهمس لنفسه " كلها ايام .. وسيعلم الجميع ان شهد اصبحت ملكي وعلى ذمتي ولن يجرؤ رجل على رمقها ولو بنظرة عابرة "

انفتح بوابتي المصعد على الطابق السادس وتحرك اسامة محييا موظفيه بايماءة هادئة لاتعكس مزاجه المتقلب بين مشاعر اكثر تقلبا وارباكا ..

اخذ نفسا قبل ان يقترب من مكتبه ليلمح هيئة سهر عبر الباب المفتوح وهي تجلس على كرسيه خلف طاولة المكتب .

حياها بهدوء وهو يغلق باب مكتبه خلفه

" مرحبا .." ...

ابتسمت له بشقاوة وهي تقف على قدميها وتتحرك بطريقتها المميزة لتلتف حول مكتبه تبرز نفسها بتعمد ، كانت تدرك كيف تبرز جمالها وذكية وهي تنوع ظهورها الانثوي بعدة اوجه ، اليوم كانت ترتدي بلوزة حمراء نارية مبهرة وتنورة قصيرة جلدية سوداء ، بدت معتدة قوية مثيرة و .... كل هذا لم يحرك به ساكنا ! كان ينظر اليها وكأنه ينظر لعمل فني مميز ومبهر ...

وصلت اليه بتلك الابتسامة التي تطالب بتأثر معين ورغم انها لم تحصل على التأثر المطلوب الا انها لم تغير من خططها كما يبدو وهي تلف ذراعيها حول عنقه لتقول بشفتين مغريتين بلونهما القاني " اعترف اني كنت اعد العدة لهجوم عاطفي ضارٍ يجعلك تفقد عقلك ولاتفكر الا بي ، واعترف اني كنت انوي فعل المستحيل لاقناعك بابعاد تلك المرأة حتى نعاود الاقتراب من بعضنا بل ان نقترب اكثر ، ان نحب بعضنا كما يجب ان يكون الحب لا كما تحاول تسفيهه واعتبار الاعجاب بديلا عنه "

حاول ان يبعد ذراعيها ولكنها تشبثت به فقال متنهدا " سهر ، دعينا نتكلم بتعقل "

ردت وعيناها تموجان بعاطفى حارقة لتهمس بابتسامة " اعترف اني لم اشعر بالسعادة كما شعرت عندما لم اجدها هنا ، لقد طردتها لاجلي اليس كذلك ؟"

احتدت نظرات اسامة وهو يقول من بين اسنانه " طردتها ؟!"

ارتبكت قليلا قبل ان تقول بلطف " اسفة ، اعلم انها مسكينة ولايمكنك طردها فمؤكد انك نقلتها لقسم اخر بعيدا عنك ، اليس هذا ما حدث ؟"

هذه المرة كان اكثر حزما ليبعد ذراعيها عنه ويتجاوزها ليقول بهدوء وهو يتوجه نحو كرسيه " الا ترين انك تكررين مشهد الامس ؟"

ابتلعت بصعوبة شديدة كل احساس المهانة لتقول بصوت متحشرج " اي مشهد تقصد ؟"

كان قد جلس على كرسيه فنظر اليها وهو يشير بيده على طول قامتها قائلا " مشهد الاغراء يا سهر .. " ثم التمعت عيناه بقسوة ليضيف " الاغراء لن يفيد والتعنت سيزيد الوضع سوءا .."

اطبقت فكيها بقوة قبل ان تقول بقسوة مماثلة " ماذا تقصد بالضبط ؟ وعن اي تعنت تتكلم ؟!"

أسند مرفقيه على سطح مكتبه وشابك انامله مع بعضهما امام وجهه ثم قال بوضوح شديد " دون لف ودوران حول حقيقة واضحة تجاهلناها نحن الاثنين ، ارتباطنا فاشل .. كلمتين فقط تختصر الكثير من الوقت والكثير من الاذى "

ردت وهي تتنفس بصعوبة " لايمكنك ان تقول هاتين الكلمتين وتتوقع مني الرضا والاقتناع !!"

تطلع نحوها بنظرات هادئة ليقول " اذن فأنت تختارين اضاعة الوقت ! حسنا ساخبرك بما تعرفينه وتنكرينه .... انا وانت لم نصل لعمق صحيح للارتباط وتكوين عائلة ، كنت اظن ان ما اشعره نحوك من اعجاب وما تمثلينه من ملامح الامرأة المثالية لتكوني زوجتي سيكون كافيا لكني اكتشفت اني مخطأ .."

ردت بانفعال منفلت " ولم تكتشف هذا الا بعد مجيئها هي اليس كذلك ؟"

رفع ذقنه ليتجاهل كلامها عن شهد ويقول بصبر " انت ايضا عليك الاعتراف اني شخص صعب الفهم ولا ارضي تطلعاتك الانثوية بعاطفة تحلم بها اي فتاة مثلك "

تأثر من رؤية يدها المرتعشة وهي ترتفع لتلامس قميصها بحركة مرتبكة لكنه تعود على مواجهة اصعب من هذا ولن يوقفه ألمها الان !

اكمل بصدق " سهر انت فتاة رائعة وانا لا استحق فتاة بروعتك وصفائك، لن اسعدك ابدا وستقضين حياتك معي تحاولين الوصول الي عبر متاهاتي المعقدة فتجدين نفسك تتوهين معي فلا انتِ وجدتني ولا انتِ وجدتِ سعادتك "

تساقطت دمعاتها بهدوء لتقع على قميصها الاحمر لكن ملامح وجهها الجميل تغضنت بالألم والغضب لتقول بقسوة " اذن فانت اخترتها هي ، هي بكل تعقيداتها وجدتها ستفهمك بينما انا ... مجرد طفلة مدللة غبية لن استطيع فهمك ابدا "

لم يرد بينما اقتربت هي لتحني جذعها وتسند كفيها على حافة المكتب فتتساقط دموعها الان على سطحه اللامع ثم قالت بصوت يفوح بكل روائح الغضب والانكسار " لكن لا .. لا يا اسامة ... انا اقوى واذكى مما تظن ،

قد تقنع نفسك ان هذه اسبابك لتنفصل عني لكن في الحقيقة انك تريدها هي ، اشعر بلهاث الشوق الذي ينطلق منك ما ان تكون شهد موجودة قريبة منك "

ايضا لم تتغير تعابير وجهه الساكنة وهو يتطلع نحوها ، استعدلت في وقفتها واخذت تمسح دموعها بكبرياء قائلة " لن اسامحك ابدا اسامة ، ولن اسامحها لانها اقتطعت قلبك رغما عني لتأخذه لنفسها ولم تترك لي الا مرارة النظر للتجويف الفارغ الذي احدثته في صدرك وروحك ..."

غادرت ... صوت كعب العالي اختفى وهو ما زال مصدوما مما قالته .....

استيقظ مجفلا ليشعر بالتوهان لحظات قبل ان يدرك اين هو بالتحديد !

دلّك وجهه بكفيه بقوة ليستعيد وعيه اكثر ، ادرك انه في سيارته التي ركنها جانبا ليأخذ اغفاءة يكسر بها نعاسه الشديد ولم يجفله الا صوت مرور سيارة حمل ضخمة مرت بسرعة غير منضبطة بجانبه .

مرر يده في شعره وهو يستشعر حاجة شديدة لفنجان قهوة قوية المذاق تعيد اليه تركيزه فما زال هناك بعض العمل الذي يخص الشركة ويجب انهاؤه هذه الليلة ، لكنه لم يستطع البقاء اكثر في مكتبه هناك وآثر

العودة لشقته ليكمل ما تبقى في غرفة مكتبه هناك .

وبدلا من يشغل محرك السيارة لينطلق هامت نظراته بعيدا مع افكاره المترددة ، العودة للشقة تعني مواجهة وجود شهد فيها ، ويعترف انه تماهل متعمدا في مغادرة الشركة وقد كان بامكانه ان يعود ابكر من هذا ليستحم وينتعش وقد يأخذ ساعة نوم ليصحو بعدها بذهن صافٍ ويكمل عمله بتركيز ، لكن .. وجود شهد جعله يغرق نفسه في العمل ليبتعد بتفكيره عنها قدر الامكان ، يجب ان يخفف من حدة مشاعره هذه نحوها لانه لن يصل لشيء ، العاطفة لاتحكمها وشهد لن تستطيع حكم عاطفتها نحوه ، قد تشعر بالامتنان له وقد تطمأن اليه لكن كرجل ... لا ... لاشيء ... انها ما زالت ت......

همس بحدة " يكفي اسامة .. توقف عن تعذيب نفسك بالفكرة ذاتها مرارا وتكرارا "

وبحنق متزايد ادار مفتاح السيارة ليشغل المحرك وينطلق بها عائدا لشقته ... حيث ستكون هي ....

فتح باب شقته على مهل ، كان معتادا على دخولها والظلام الدامس يغلفها لكن الان ابتسم وهو يدخل ويغلق الباب خلفه بهدوء

ايضا ، اما ما جعله يبتسم فهي تلك الانارة الناعمة المنبعثة من مصباح منضدي انيق موضوع على احدى الطاولات الصغيرة في غرفة الجلوس .

انها هي من اشعله .. دوما كانت ذلك البصيص من النور في ظلمة حياته ، بصيص معذب لانه لايملكه ولكنه يبقى بصيص وهو يستحلي هذا العذاب !

لم يسمع صوتا ولم يستغرب فمؤكد هي نائمة بعمق الان ، لقد اتصل بها قبل غروب الشمس ليطمئن عليها ، ابتسم وعيناه معلقتان على المصباح امامه وهو يتذكر تلعثمها وخجلها وهي تجيبه انها بخير ، كان قد ارسل لها سابقا وجبة غداء ثم وعدها بارسال وجبة عشاء ايضا لانه سيتأخر بالعودة فرفضت باصرار متوسل قائلة ان وجبة الغداء كانت كبيرة جدا وما زال نصفها موجود تستطيع تناوله فيما لو احست بالجوع .

رق قلبه لحرجها منه فلم يلح عليها وتركها تقفل الخط معه وهو يتنهد لوعة !

وها هو يتنهد لوعة مرة اخرى ..استدار جانبا ليتحرك بخطوات متمهلة فيسير نحو الممر حيث غرف النوم ..

قدماه ابتا الا الوقوف امام اول غرفة على الجانب الايمن ... انها غرفتها التي تقابل غرفة مكتبه ..

التفت برأسه فقط يحدق في ذلك الباب المغلق الذي يفصله عنها ، وحشه يغريه بتحطيم هذا الباب لكنه وحش غبي بائس ! لانك لايدرك ان ما يفصله عن شهد ليس مجرد باب خشبي !

غامت عيناه وهو يتخيلها تنام في سريرها آمنة ملتحفة بغطائها تتنهد براحة واطمئنان بينما هو فقد معنى الامان والاطمئنان وخسر كل راحة بال بوجودها ، انه عقاب ... عقابه لما فعله بها ليلة الامس بمكتبه ..

التفت بكل جسده الان ليواجه ذلك الباب ، رفع يده بارتعاش نحو ذلك السطح الاملس اللامع ، مرر انامله برقة .. بنعومة ... بتمهل شديد وهو يهمس بتأوه ناعم " انتِ هنا .." انتفض قلبه اكثر فأبعد انامله عن الباب ليرفعها بارتعاش متزايد نحو جبينه ويهمس بمشاعر محمومة " وهنا ..." ثم عاد وانزلها لصدره حيث ينبض قلبه بقوة ليهمس بحرقة وارتجاف اشد " وهنا ..."

تأوه ملتهب خرج من صدره ... اسقط يده جانبا وعيناه تنظران نحو الباب بعاطفة يائسة ليهمس بألم " وانا .. اين أكون منك يا شهد ؟!"

تمطى في جلسته امام حاسوبه ، نظر الى الساعة الجدارية امامه فوجدها تشير الى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل .

شعر بحاجة ماسة لفنجان اخر من القهوة ، وقف على قدميه ليتحرك عندما جمدته طرقة ناعمة على بابه !

ابتلع ريقه بصعوبة ثم قال بصوت مبحوح " تفضلي ... شهد ..."

انفتح الباب واطلت شهد بثياب نومها المحتشمة وقد عقصت شعرها للخلف بينما وجهها كان مطرقا قليلا وهي تقول " اسفة لازعاجك ، اعتقدت .. كنت ذاهبة للحمام وسمعت اصوات تحركك هنا فعلمت انك لابد وتنهي بعض اعمالك فقلت .. ربما تحتاج لبعض... القهوة .."

متأخرا جدا وببلاهة شديدة ادرك انه لم يتنبه لفنجان القهوة في يدها !

لم يستطع التقدم خطوة واحدة منها ، كان الامر فوق احتماله وطاقته ، على الاقل ليس الليلة ..

قال بتحشرج وهو يحني رأسه مدعيا ترتيب بعض اوراقه " شكرا لك ، كنت بحاجة له فعلا "

خطواتها تقترب ورآى بطرف عينه يدها وهي تضع الفنجان على مكتبه .

ابتعدت خطوة .. ثم ادرك ترددها بالانسحاب ، رفع رأسه نحوها فرآها بتعابير مترددة ومرتبكة ثم فتنته حركة من فمها وكأنها تستجمع كلماتها لتقول اخيرا " انا اريد ان استمر بالعمل "

ابتسم وهو يعاود الجلوس على كرسيه ليلتقط فنجانه وهو يقول " مؤكد ستعملين ، لكن ليس في شركتي وليس الان "

فضح صوتها ارتعاشها وهي تسأل " لماذا لاتريدني في الشركة ؟ ألست كفؤا ؟ ولماذا لاتريد ان اعمل الان ؟؟"

رد بصوت مبحوح مراوغ وهو يملي عينيه من وجهها " انت كفؤ بلا شك "

ثم ابتسم وهو يحني راسه ليرشف من فنجان القهوة قائلا " لكني لااريد لك الاحراج اذا عدت للعمل هناك ، انت تعرفين ، كثير من الامور قد لايفهمها الموظفون ، ولذلك قلت لك ليس الان لاني احاول ايجاد وظيفة جيدة لك في شركة اخرى ، فقط امهليني بعض الوقت واعتبريها اجازة لتستعيدي نشاطك "

بدت غير راضية وخائبة الظن حتى انها بدت مهمومة وقلقة !

قال بجدية " شهد لاتنسي ايضا مؤيد ، قد يخمن بسهولة شديدة انك تعملين عندي وقد يحاول التعرض لك ، انا لااريد هذا ، على الاقل الان ، اريد ان نرتب انفسنا انا وانت لنظهر كزوجين امام الجميع وبشكل لائق دون اشاعات وكلام سخيف ، كل شيء بالتدرج يصبح مقبولا .."

تراخت ملامحها للحظة ثم عادت وتغضنت بالألم فسارع ليقول برقة " انسي ما حصل صباح اليوم يا شهد ، اعلم انه صعب لكن يجب ان تنسيه لتبدأي من جديد ، ابدأي دون خوف .. دون ارتباك .. اريدك ان تكوني قوية وواثقة "

ارتعشت شفتها السفلى قبل ان تقول " اعلم ان علي ان افعلها وسافعلها ... اتمنى فقط ان لايطول بقائي بدون عمل "

تبادلا النظر لتكمل شهد بصوت ممزق بالحاجة " يجب ان اعمل اسامة ، يجب ان اجد نفسي وابني مستقبلي ، لااستطيع العيش هكذا عالة عليك ، لقد اصبحت اكره نفسي لذلك "

وضع فنجانه امامه ليقول بحزم " انت لست عالة على احد وقد يكون زواجنا ليس حقيقيا ولكن مع هذا يبقى له اعتباراته وانت ملزمة مني لذلك اياك ان تفكري هكذا مرة اخرى "

اوشكت ان ترد عليه عندما انهى المحادثة قائلا ببعض الجفاء " ارجوك اذهبي للنوم ودعيني انهي عملي "

استدارت شهد ببطئ وهي تشعر بالضيق لكن صوت اسامة جاءها ناعما وهو يقول " شكرا للقهوة الرائعة ، القهوة التي اصنعها انا مريعة بجانبها ! "

ابتسمت والضيق يغادرها ودون ان تلتفت نحوه تمتمت بشكر ثم توجهت نحو غرفتها المقابلة بينما اسامة يشتم نفسه !

بعد يومين

رن جرس الباب فتحركت السيدة جهينة ببطئ وهي تشعر بالحنق من روماتيزم العظام الذي اثقل خطواتها ، فتحت الباب فرأت رجلا يبدو مألوفا نوعا ما لكن غير هذا لم يعجبها ! وجهه العابس كان يحمل اثار ضرب مبرح !

توجست قليلا ثم لمعت عيناها بالمعرفة لتقول ببرود " نعم سيد مؤيد ماذا تريد ؟"

زمّ مؤيد شفتيه وهو يرد عليها ببغض " جيد انك تعرفينني ، لااريد شيئا منك غير اختي ، نادِها اذا كانت ما تزال عندك رغم اني استبعد هذا !"

ابتسمت السيدة جهينة بسخرية لتقول " ما دمت ذكيا هكذا وتجيد التخمين فلماذا اتيت ؟!"

دون مراعاة دفعها جانبا ليدخل وهو يقول برعونة " احب التأكد بنفسي ! "

خرجت فتاة عشرينية من احدى الغرف وقد بدت مضحكة بملابسها الملونة الخرقاء وبالقطع الاسطوانية التي تلف بها خصلات شعرها ، اخذت الفتاة تنظر ببلاهة لمؤيد وهي تسأل " من هذا سيدة جهينة ؟!"

امسك مؤيد مرفق الفتاة وصرخ بها يسترهبها " اين هي شهد ؟"

رمشت الفتاة بصدمة لترد باضطراب " لااعلم ، لقد رحلت قبل يومين .."

جاء صوت السيدة جهينة هادئا وحازما " ابعد يدك عن الفتاة والا اقسم اني سادخلك السجن الليلة بتهمة اقتحام البيت والتحرش "

دفع مؤيد الفتاة فركضت من رعبها نحو السيدة جهينة تختبئ خلفها ليقول مؤيد باشمئزاز " مكان قذر ! لااعرف كيف عاشت شهد فيه ؟؟!! "

ردت السيدة جهينة بسخرية " ربما هربت من قذارة اكبر ..."

زمجر مؤيد وهو يقترب منها بقبضة غاضبة لكنها لم ترهب السيدة جهينة بل ظلت تنظر اليه بسخرية واستهزاء .

قال بحدة يهددها " قولي لي اين اخذها ذلك الحقير ابن الملاجئ ؟"

للحظة ضيّقت السيدة جهينة عينيها بتأثر لكنها استعادت ثباتها لتقول " اذا كنت تقصد السيد اسامة فاعتقد انك تعرفه جيدا وتعرف اين يعمل فأذهب اليه واسأله .."

ثم رفعت حاجبا واحدا لتقول باستفزاز " هذا ان كنت رجلا حقا لتواجهه مرة اخرى "

صرخ بعنف واوشك ان يضربها فصرخت الفتاة المرتعبة وراءها لكن السيدة جهينة لم تتزحزح لتقول بقرف " اخرج من بيتي حالا "

لكن مؤيد اخذ يصرخ " لن اخرج قبل ان تعطيني عنوانها ، مؤكد انك تعرفينه ايتها العجوز الشمطاء ! اعطني اياه والا اقسم سالقنك درسا قاسيا انت وتلك الفتاة المختبئة خلفك كارنب مذعور "

حدجته السيدة جهينة بنظرات صلبة لتقول بلهجة واثقة " هل تظن اني لااری ضعفك خلف تجبرك على النساء ؟! انت مجرد بائس جبان حقير لاتملك ذرة رجولة تدافع بها عن نفسك ولا عرضك ..."

احمرت عينا مؤيد وهو يتوعدها بصوت كالفحيح " سترين ما سافعله بك ، سابلغ عن شقتك هذه كوكر للدعارة وانك تستخدمين هؤلاء الفتيات التافهات في البغاء "

ضحكت السيدة جهينة ثم قالت " اضحكتني حقا ! هل تعلم سهولة ان ادخلك انا السجن ؟ اختك وضربك المبرح لها هنا في شقتي بعد ان حطمت الباب ، هل تعلم كم شخص على استعداد للشهادة ضدك ؟ "

تراجع مؤيد خطوة للخلف وعيناه تنظران اليها بكره شديد ثم قال بنبرة وقحة " لن اضيع وقتي مع امثالك .."

ثم وبكل تفاخر فج توجه نحو الباب ليغادر !

بعد اسبوع

في اشهر فنادق المدينة وتحت الاضواء المغوية داخل النادي الليلي كان اسامة يتجرع الكؤس الواحد تلو الآخر بينما اصدقاؤه ينظرون اليه بتعجب ودهشة !

لم يكونوا اصدقاء مقربين وانما شركاء جلسة وبعض الاعمال احيانا ، يلتقون غالبا هنا للترويح عن النفس ورغم ان بعضهم ممن يشرب الكحول ويعاشر النساء دون قيود الا انهم لم يروا يوما اسامة يفعل ذلك ، حتى انهم لم يروه يعنى كثيرا بالنساء اللواتي يبدين اهتمامهن به ، كان دوما ينظر اليهن بسخرية ويردهن بفظاظة .

قال احدهم " ما بك اسامة انت لاتشرب في العادة "

نظر اليه اسامة نظرة تنضح سخرية ليقول بفظاظة " هل لديك مانع ؟! "

رد الرجل وهو يرفع كفيه امام وجهه " لا .. لا .. طبعا ولماذا يجب ان يكون لدي ؟! "

داعبه احدهم " هل السبب افتراقك عن خطيبتك ؟ "

قال اسامة وقد بدأت الخمر تلعب برأسه " اذا سمعت احدكم يتطرق لهذا الموضوع فلن يلوم الا نفسه ! "

عاد الرجال الثلاثة الذين يرافقونه ينظرون اليه بدهشة ! انه لايبدو بخير ولكن لااحد منهم يملك القرب المناسب ليسأله ، خصوصا ان اسامة رجل غريب الطباع احيانا وغامض اغلب الاحيان ...

اقتربت امرأة رشيقة تحمل الكثير من معاني الجمال والاغراء ، يكفي ما ترتديه ليظهر جسدها فيمنحها هالة لاتقاوم .

تضاحك الرجال لنظراتها نحو اسامة بالذات بينما كان يدخن سيجارة جديدة ويطلب قنينة جديدة من الشراب .

كانت المرأة على وشك الوصول لطاولتهم وعيناها لاتفارقان اسامة عندما عاكسه احدهم هامسا قرب اذنه " بما انك حر الان وبما انك في مزاج خاص الليلة فيبدو ان اجمل احلام مراهقتك ستتحقق وتلك الفاتنة تضع خيارها عليك "

اخذ اسامة ينظر بتشوش لتلك المرأة ليعترف لنفسه انها فاتنة جدا .

رآها كيف انحنت ما ان وصلت قريبا منه لتعرض المزيد من جسدها ثم قالت باغراء فاضح " هل اشاركك الشراب ؟"

بدت بلكنة معينة توحي انها ليست عربية اصلا ، شعرها اشقر طويل وعيناها .. ما لون عينيها ؟!! هزّ اسامة رأسه قليلا وهو يستشعر فقدان تركيزه فضحك الرجال وتبرع الجالس بجانب اسامة بمكانه للمرأة ، وهكذا ابتدأت الجلسة بشكل مختلف .

توقفت السيارة امام المبنى السكني الذي يضم شقة اسامة ، قال الرجل وهو يلتفت للخلف نحو اسامة المضطجع على صدر المرأة الفاتنة ليقول ضاحكا " ها قد وصلنا يا بطل ويبدو انك تثير حماسة النساء بوضعك الحالي "

ضحك عاليا بينما المرأة تعبس في وجهه ثم مالت برأسها لتطبع قبلة على جبين اسامة الفاقد لرشده تقريبا وقالت باغواء " انه يغار منك لانك الاكثر وسامة بينهم "

عاد الرجل ليضحك بينما ترجل من سيارته ليساعد اسامة المترنح على الترجل ايضا بينما سارعت المرأة لتلحق بهما ثم احاطت خصر اسامة بذراعها وتقول للرجل غامزة " اعطني مفتاح شقته وانا ساوصله بنفسي "

ضرب الرجل كفا بكف وهو ما يزال يضحك ثم اخرج حلقة مفاتيح بميدالية من جيبه ليعطيها لتلك المرأة ويقول " لاتنسي ان تخبريه صباحا بأن سيارته ما زالت في الفندق "

ردت بنزق " حسنا حسنا ... فهمت ..."

لوح الرجل لها بينما يعاود الجلوس على مقعد السائق ثم قال ساخرا قبل ان ينطلق " احترسي من الوقوع معه قبل ان تصلا لمكان اكثر راحة "

لم تبالي المرأة وسارت باسامة لتدخل المبنى بينما هو يهمهم " اين ... انا ؟"

كادت ان توقعه وهو يميل محاولا الابتعاد عنها لكنها امسكته بقوة وهمست له " فقط دعنا نصل شقتك حتى نكون في امان "

بدأ القلق يتسرب اليها وهي تنظر للساعة التي تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل ، خطواتها شابها بعض الاضطراب وهي تتحرك ذهابا واياباً في غرفة الجلوس ، تتصل به منذ نصف ساعة ولا تتلقى الا نفس الرد ان الهاتف خارج نطاق الخدمة !

لم تتعود عليه هكذا ؟ دوما يتصل بها ليبلغها متى سيكون بالبيت ولكن هذه الليلة بدى صوته غريبا وهو يتصل عند الثامنة ليخبرها انه سيسهر مع اصدقائه ولايعرف متى سيعود ، عبست وهي تعاود النظر للساعة وبدلا من ان تقرأها عيناها شردت بعيدا لتتذكر صباح اليوم عندما طرق عليها باب الغرفة وما ان فتحتها حتى وجدته يقف امامها مستندا على اطار الباب وهو يطرق برأسه ارضا ليرفع بعدها ذراعه عاليا حاملا باطراف انامله قطعة ملابس داخلية تخصها ثم قال بصوت مبحوح " كالعادة احدى اغراضك تقع منك في الممر !"

احمرت بشدة الان كما احمرت بوقتها وهي تخطف منه القطعة القطنية الصغيرة وتتأسف بتلعثم ثم وبكل بلاهة اغلقت الباب في وجهه لتصلها صوت ضحكاته الخافتة ثم وداعه لها وهو يغادر لمكتبه .

انه منظم جدا وفي كل شيء ، منظم الى درجة تشعرها بالنقص ! منظم في مواعيده ، في اتصالاته بها ليطمئن عليها او ليبلغها تأخره ، وقد تأخر طوال ايام الاسبوع الماضي فلم يعد قبل منتصف الليل !

منظم حتى في ترتيبه لاغراضه وهذا ما لاحظته خلال عملها معه ايضا ،

ولم يتغير الوضع هنا في مسكنه، سواءا اغراضه في غرفة مكتبه او في اي مكان اخر من الشقة ، حتى كوبه الذي يستخدمه لشرب الشاي دائما يغسله بنفسه ليضعه بنفس الطريقة وبنفس المكان ، تخجل دوما من فوضويتها وتخجل من انه قد يكون متضايق منها فعلا وقد غيرت نظام حياته الذي اعتاد عليه ، تشعر انها بلافائدة له فحتى تنظيف الشقة منعها منه وتأتي تلك الخادمة الصامتة كل يومين لتنظف الشقة خلال ساعة من الزمن وبمهارة وحرفية تثير الغيظ .

انتابها احساس غريب وهي تتساءل هل سهر منظمة مثله ام لا ؟!!

نحت جانبا هذا التساؤل المربك لتعود وتنظر بتركيز على الساعة الجدارية امامها فوجدتها تشير الى الثالثة الا ربعا !

القلق تزايد وهي تعاود الاتصال به ليأتيها نفس الرد مرة اخرى ... واخرى ....

لاتعلم لماذا قلبها أنقبض هكذا !

همست بدعاء " يا رب احفظه ، اعده لبيته سالما ، يا رب لاتختبر صبري اكثر فالقلق يكاد يحطمني "

سمعت همهمة من خلف الباب استغربتها اولا
ثم اطمأنت وهي تسمع صوت المفاتيح تلتها
محاولات لادخال المفتاح في الباب ،

استغربت قليلا مما يحدث ثم هلعت فجأة وهي
تتخيل انه قد يكون مصابا او ...

لم تطل كثيرا بتخميناتها والباب يفتح بقوة
نوعا ما ليتقدم امامها اسامة ... مترنحا
ومسنودا على ... جسد امرأة غاية في الفتنة !

الفصل الحادي عشر

" من انتِ؟!!"

للحظة غريبة تصورت شهد انها هي من نطقت بالسؤال بتلك اللكنة الغريبة المميزة !

لكنها ادركت ان هذا مستحيل ، فشعورها بالاختناق يفوق قدرتها على اخراج حرف واحد !

" من انتِ ؟؟"

اعادت المرأة السؤال بحاجبين مرسومين بعناية وقد انعقدا الآن في حنق لم يقلل من كمال وجهها مقدار ذرة !

عينا شهد نظرتا بعجز مؤلم لاسامة وهو يترنح بنزق بينما تصر المرأة على اسناده بجسدها وما زالت ترمقها بنفس النظرات المتفحصة في حنق !

" اسامة .... لماذا فعلت هذا بي ! "

جملة تتردد باصدائها الاليمة بين جوانح صدرها فتتمركز عند القلب وتمزقه !

هل شعرت بنفس الالم ذلك اليوم عندما وجدت تلك امرأة في الفراش مع عدنان ؟!!

أم هل يقترب ألمها الان ولو قليلا بما شعرت به يوم رأت احمد يلاحق طيف زوجته مرام ؟!!

ما زالت عاجزة ... تلملم نفسها لنفسها وعيناها تأبيان الابتعاد عن وجه اسامة الذي كان يتمتم بكلمات غير مترابطة وقد بدى تائها غير مدرك لما حوله ، للحظة استجمعت بضعة حروف .. مجرد حروف قليلة تشكل اسمه ...

" اسامة .."

سكنت حركاته ليرفع رأسه بارهاق ، كان يبتسم بجذل بينما بدت عيناه لامعتين برقة ، كان ينظر نحوها وهي تقف امامه على بعد خطوتين فقط ولكنه بدى وكأنه لايراها حقا !

فاجأها عندما ابعد بقسوة ذراع المرأة التي تلفها حوله ليتقدم خطوة مترنحة للامام هامسا بعذوبة

"شش.. شهد ...."

لاشعوريا تقدمت اليه لتتلقف جسده قبل ان تخونه ساقاه فحاوطها وحاوطته ،

همس بعبث مرح " آه .. اخرجيني .. من ..هنا.."

كانت ما تزال تحاول موازنة جسدها بحمله الثقيل بينما اسامة يتمروج قليلا لكنه يتشبث بها بقوة ليميل بوجهه حتى رقبتها هامسا " اعيديني لل...بيت.. "

صوت المرأة علا وهي تتخصر قائلة " هل يمكنك الرد علي الان ؟! ام انك تريدينه لنفسك الليلة ؟! من انتِ بالضبط ؟!!"

كان قلب شهد يخفق بسرعة جنونية وهي تستشعر شفتي اسامة على بشرة رقبتها يقبلها بشغف ويهمس بأسمها ! اسمها هي ... شهد !

لاتعرف اي دفق من القوة امدها بها واي ثقة ملأتها حتى شعّت منها ...

ردت ببساطة " انا ... زوجته ..."

لغبائها كانت تشعر بالحرج من المرأة بينما تحاول ايقاف اسامة عما يفعله !

هدرت المرأة غاضبة وهي تستوعب صدمتها لتقول " اؤلئك الاوغاد ! كانوا يسخرون مني طوال الوقت ولم يخبروني بوجود زوجة ! لم اظن اني مجرد مقلب سخيف يمازحون به صديقهم المخمور ..."

تذمر اسامة وهي يبتعد عنها قليلا ليقول بنبرة ضعيفة منهكة " اوقفي ... هذه الضوضاء.......انا مرهق ... لنعد ... للبيت .. شهد .. "

لم تكن تدرك انها تضمه لصدرها اكثر
وهي تنظر للمرأة من فوق كتفه لتقول بحزم"
اخرجي حالا قبل ان استدعي الشرطة "

رأت المرأة تهدأ فعلا ما ان ذكرت الشرطة
فتراخت ملامحها الغاضبة ورفعت يدها ببراءة
لتقول " حسنا حسنا اهدائي عزيزتي ...
ساخرج .. انا مجرد زائرة للبلد واردت الاستمتاع
... لم اكن اعرف انه متزوج ..."

ردت شهد وثقتها بنفسها تتزايد " والان علمتِ
فغادري فورا ..."

تراجعت المرأة وهي تقول بلطف " اسفة مرة
اخرى ... "

ثم التفت وهي تقول " سيارته بقيت بالفندق ..
احد اصدقائه من اوصلنا ، لااريد ان يتهمني
احد بأني سرقت السيارة "

لم ترد شهد بشيء وهي تتطلع نحو المرأة
باشمئزاز حتى اغلقت الباب مغادرة .

تنهدت براحة بينما اخذ اسامة يدغدغها
بقبلاته على رقبتها وهو يهمس " انت
رقيقة........ البشرة ...ناعمة ..."

اخذت تتحرك باتجاه الممر وهي تسند جسده
بينما قلبها المجنون تتقافز نبضاته ، همست
له وهي تكاد تصل به لغرفته " توقف اسامة
... "

لم يكن يخيفها حقا ! بدى ضعيفا ومتشبثا بها باصرار ! يداعبها بنعومة فائقة مستها في الصميم .

كانت تضعه على سريره عندما تشممها بعمق ليهمس " جميلة ... رائحة عطرة "

اخذت تساعده على خلع سترته عندما قال بحيرة " هل نحن .. في البيت ؟ هل وصلنا ... بهذه السرعة ؟"

عبست ورائحة الكحول تصلها بقوة اكبر ووجهها امام وجهه وهي تنحني نحوه !

هدأت نبضات القلب واصابها الغضب فجأة وهي تستقيم بجذعها حاملة سترته التي تفوح منها روائح السجائر والكحول تنظر لجلسته الناعسة على سريره وهو يستند بكفيه الى الخلف بلا توازن يبادلها النظر عبر النور الخافت لغرفته لكن لمعان عينيه وابتسامته العابثة توحي انه فاقد لتركيزه من اثر الشرب .

رمت سترته بعيدا ثم وبقسوة دفعته ليستلقي على السرير بينما هو يتذمر متأوها ويقول " مهلا ... شهد ..."

لكنها غاضبة ... غاضبة جدا ... غاضبة لشربه الخمر حتى فقد رشده ، غاضبة لانه سكره جعل امرأة ساقطة كتلك الشقراء تقوده لبيته وهو غير مدرك حتى ،

وغاضبة لانه ... لانه ... لانه جعلها تشعر بالسعادة العارمة وهو يلتجيء اليها بتلك الطريقة العاطفية .

اخذت نفسا وهي تساعده على رفع ساقيه الى السرير ثم اخذت تخلع عنه حذائيه فسألها ببلاهة وهو يضع يده على جبينه متأوها " ماذا ... تفعلين ؟"

ردت بحنق " اخلع حذاءك .."

سأل بحيرة وغباء " لماذا ؟"

ردت وهي تتميز غيظا " ولماذا افعل ؟!! لتنام وترتاح !"

ضحك بخفة وهو يهمس " نامي ... بقربي و...سأرتاح ..."

احمرت رغما عنها لكنها قالت بغضب " لست الشقراء لتريحك !"

تجعد جبينه وهو يرفع راسه قليلا عن وسادته ليقول " اي .. شقراء ؟!!"

اوشكت ان تصفعه ! وبدلا من ذلك زجرته قائلة " توقف عن هذرك ونم الان .."

اعاد رأسه للوسادة وهو يتأوه مرة اخرى ويهمس بارهاق " انت ... غاضبة ! لا احب ...ان تغضبي "

ارتبكت ... ولاتعرف لماذا بالضبط ؟ هل لاهتمامه بغضبها ؟ هل يهتم فعلا ؟؟ ولتداري ارتباكها خرجت من الغرفة بينما لم تسمع همسه الناعس " احبيني ولاتغضبي .. مني ..."

عندما عادت كانت تحمل غطاء فوجدته يتمتم بكلمات غير مفهومة وهو يغلق عينيه وكأنه على وشك الغرق في النوم ، تقدمت منه لتضع عليه الغطاء وبينما كانت ترتبه فوقه اجفلها وهي يمسك مباغتة جانبي رأسها بكلتي كفيه ثم قرب وجهها من وجهه لينظر اليها بعينيه اللتين يظللهما النعاس ليقول بابتسامة عاطفية وتعبير غير مصدق " آآه ... انت هنا ! اخيرا ..."

وقبل ان تدرك ما ينتويه كان يقبلها بشغف .. بحنان يطلبه ويعطيها اياه في المقابل !

لم تكن قبلة .. كان يتخلل روحها المجروحة برقته اللامحدودة وهمهماته المضطربة ثم فجأة تراخى !

يداه .. شفتاه ... وهمهماته ... لتدرك انه غطّ في النوم وهو يبتسم بسعادة !

صباح اليوم التالي

كالعادة ... تقف عند باب الشرفة ولاتتعداها

! ما زالت لاتجرؤ على اعلان نفسها كزوجة

لاسامة الهاشمي امام الناس ...

صوت من داخل عقلها سخر منها قائلا "

ولكنك اعلنت ذلك بثقة ليلة الامس !"

ارتجف كوب الشاي في يدها وهي ترفعه

لشفتيها ترتشف منه ، ليلة الامس حصل

الكثير ... اكثر مما تستطع الوقوف عليه

وتحليله .

ترى هل سيغضب اسامة لاعلانها انها زوجته

امام تلك المرأة ؟! فربما يريد الاعلان بنفسه

في الوقت الذي يحدده لا ان يشعر بأنه مضطر

لقولها ..

ليلة الامس ..... رفعت يدا مرتعشة لرقبتها

تلامس بشرتها حيث كان يطبع قبلاته ، ثم

وباحمرار يخضب وجنتيها رفعت يدها لشفتيها

تتذكر ذلك التواصل المشتعل بعواطف

شتى!

ترى ... هل سيتذكر ؟؟

لقد اعتادت من عدنان نسيانه لكل ما يفعله عندما يكون مخمورا .. لكن ... اسامة مختلف .. لقد .. كان يدرك وجودها ، بل سعى اليها وهو يسألها ان تأخذه للبيت ظانا انه ما زال خارجه !

" صباح الخير ..."

التفتت بقوة ردا على تحيته الصباحية بذلك الصوت المبحوح الذي اصبح يثير مشاعرها بطريقة لاتحتمل ، هل يحب التلاعب بمشاعرها ؟؟

تمتمت ب (صباح الخير) وهي تتطلع لهيئته المحببة ببنطال الجينز وبلوزة رمادية انيقة، شعره كان رطبا وقد تهدلت بعض الخصل على جبينه ، عيناه تلتمعان بالرقة وشيء اخر لم تستطع تفسيره بينما ابتسامة عابثة تعلقت بشفتيه ... تلك الشفتان اللتان كانتا تلامسان انوثتها ليلة الامس ...

احرجها قائلا " هل انتهيت من اخذ تفاصيلي ؟"

احمرت بشدة وهي تدير راسها جانبا لتقول بلهجة باردة " سأعد لك فنجان قهوة فمؤكد رأسك يؤلمك بسبب ليلة الامس "

لم يرد عليها بل التزم الصمت وهي تتحرك باتجاهه ومقصدها المطبخ وما ان وصلت قربه حتى مد يده ليمسك مرفقها ويسحبها نحوه ،

قال بنعومة وهو يقترب منها كثيرا " اتركي القهوة الان فقد تحسنت بعد حمام ساخن وحبتي مسكن ... والان ... اخبريني .. هل كنت سيئا جدا بالامس ؟"

لم ترد بينما تطرق برأسها ترفض النظر اليه فقال ببنفس النبرة المبحوحة الناعمة " يبدو اني كنت اسوأ مما ظننت ، هلا تساعديني وتخبريني بما فعلت بالضبط لاني اعجز عن فصل الوقائع عن الخيالات والاحلام وحتى الكوابيس ! "

همست " ماذا تريد ان تعرف ؟"

رد بضحكة خافتة " كل شيء .. اتذكر اني كنت غبيا لاقدم على شرب الخمر واكثر غباءا لاسرف فيه ، بعدها .... الامور تشابكت وتداخلت مع بعضها ! والان ... هل اوصلني احد اصدقائي ؟ فلا اظن خيالاتي صحيحة عن قدومك لاخذي من ذلك المكان "

عندها فقط رفعت رأسها نحوه لتنظر اليه بحنق شديد وهي تقول " مؤكد لن اعتب بقدمي اماكن كهذه ! اما من اعادك الى البيت فهو احد اصدقائك الاعزاء وقد حرص على مرافقة الشقراء لك "

رفع حاجبيه عاليا ثم عاد واخفضهما ليعقدهما قليلا وهو يسأل بدهشة " ايّ شقراء ؟!! "

كزّت شهد على اسنانها وهي تواجهه بانفعال غيور لم تستطع كبته " شقراء حسناء يبدو انها كانت رفيقة الجلسة واختارتك لتكمل معك السهرة في شقتك دون ان تعلم انك متز.... اقصد ... انني موجودة هنا ! "

ظل ينظر اليها بغموض يتماهل في تحديقه بملامح وجهها فشعرت انها على وشك الانفجار فحاولت تخليص مرفقها منه وهي تقول بتهور غاضب لاذع " لم اكن اعرف انك تحب الشقراوات ! "

لم يسمح لها بالتملص ثم اثارتها تلك الضحكة الناعمة التي صدرت منه ليقول بعدها وهو يعاود تقريبها اليه " اولا انا لااذكر شيئا عن اي شقراء رافقتني ! ربما اذكر بشكل ضبابي حضور امرأة لتفرض مشاركتها لنا في جسلتنا الرجالية ، ثانيا ... "

تباطأت كلماته وبح صوته جدا وهو يكمل قريبا من وجهها " انا لااحب الشقراوات ، احب ذوات الشعر الحالك بسواده .. "

ما ان قال ما قاله حتى ذابت تماما ومقاومتها تراخت ثم تلاشت ! احمرت بشدة وهي تتذكر قبلاته العاطفية ،

التمعت عيناه بشدة فسارعت لتقول بتعلثم " انا ... اقصد يجب ان اخبرك بشيء ... مهم ..."

عيناه تركزتا على شفتيها وهو يهمس " ماذا ؟"

ابتلعت ريقها بصعوبة ثم قالت بعينين مضطربتين " انا اضطررت ... ان اقول .. لتلك الشقراء ... بأني ..."

خانتها الكلمة فأبت مطاوعتها فابتسم اسامة ابتسامة جانبية ليقول " هل قلت انك .. زوجتي ؟"

عضت شفتها السفلى احراجا وغمرها احساس بالذنب فابعدت نظراتها عنه وهي تهز راسها ب(نعم) .. شعرت به يداعب مرفقها بابهامه وهو يقول بصوت غامض " لماذا تخجلين من قولها ؟! انت زوجتي فعلا ..."

ما زالت لاتستطيع مواجهته وهو لايساعد بتشتيت ذهنها بمداعبته الناعمة لمرفقها ، همست بتردد " انا لايحق ... لي اعلانها ..قبلك "

عم الصمت المبهم للحظات ليقطعه اسامة قائلا برقة متناهية " هل لهذا لاتغادرين الشقة ؟"

لم ترد وقد داهمها شعور مؤلم لانها لاتجرؤ حتى على تأكيد كلامه ، فاضاف بنفس الرقة " ولهذا ايضا لاتجلسين في الشرفة وتكتفين بالوقوف عند عتبة بابها ؟!"

احنت رأسها وهي تشعر بالاذلال رغما عنها ، دموع خائنة تناورها لتتحرر وهي تقاومها بعناد ، لم تشعر بنفسها الا وهي مضمومة لصدره يشدها اليه ،

فاجأها ! ثم للحظة قاومت لكن .. في اللحظة التالية .. كانت تستكين اليه تغمر نفسها في دفء يشع منه ، لم تسأل عمّا يحدث بينهما ، تخشى ان تسأل وتخشى الاجابة ، تخشى المجهول .... دوما تخشى المجهول ..

همس لها وهو يتنهد " بعد اكثر من اسبوع مضى لي وانا اراك تحومين حولي هنا وهناك ، اشرب قهوتك واغسل اكوابك التي تتركينها باستمرار على حوض المطبخ والتقط اشياءك التي تقع منك باستمرار حتى ولو كانت اكثر الاشياء حميمية ، بعد كل هذا تخجلين من اعلان انك زوجتي امام الناس ؟"

رفعت راسها اليه لتقول بعينين تكادان تفيضان بالدمع قائلة بألم " انا اثقل عليك اليس كذلك ؟! انت منظم جدا وانا دوما لااجيد تنظيم نفسي لانظم اغراضي ، انا ... اسفة اسامة .. اشعر انه ليس من حقي اعلان

زواجنا ، انت تستحق امرأة تشرفك امام الناس ، امرأة تناسب وضعك ومكانتك .."

رفع كفه لخدها يحتضنه وهو يقول بانفاس مضطربة " انت لاتدركين اهميتك ولا مكانتك ! كل هذا بسبب غبائي "

تملكتها الحيرة وهي تنظر لعينيه المضطربتين فقال بصوت مبحوح " هذا خطأي ، كنت منشغلا ب... امور كثيرة لاركز في موضوع زواجنا واعلانه امام الناس ..."

ارتجفت شفتاها وهي تقول باحساس عارم بالذنب " لاتفعل المزيد من اجلي ، يكفي ما فعلته لحد الان "

تبسم في وجهها بحنان ليقول بحشرجة " من ضمن خيالاتي بالامس انك كنت غاضبة مني ، كنت اخذ حمامي وانا اتذكر تعنيفك لي ولذلك وعدت نفسي ان استرضيك .."

توردت وهي تهمس " انا اسفة ... لم احب رؤيتك مخمورا وتلك الشقر...."

قاطعها بحزم مرح " انسي الشقراء التي لااذكرها اصلا اما رؤيتي مخمورا فصدقيني كانت حالة نادرة من حالات جنوني ، ولن تتكرر ... انا اصلا لااشرب الخمر ..."

ابتسمت بارتجاف فعادت انفاسه للاضطراب ليبتعد عنها فجأة وهو يقول بصوت أجش " اذهبي وابدلي ملابسك ، سنخرج سوية لبعض المهام .."

ارتبكت وهي تسأله بقلق " اين .. سنذهب ؟ وعملك ؟ انت متأخر اصلا على .."

قاطعها مرة اخرى وهو يستدير يوليها ظهره " اليوم سآخذ اجازة ، اذهبي وافعلي ما اطلبه منك "

تحركت بتلكؤ مبتعدة فناداها بصوت غامض قائلا " شهد ... هل اسأت اليك ليلة الامس ؟"

التفتت نحوه قليلا لتقول بارتباك " لا .. لم تؤذني ..."

عبس وهو يتقدم خطوة ليقول باستهجان " طبعا لن اؤذيك ! لم اقصد ..."

اوقف سيل كلماته ليسأل بحدة " هل كان عدنان يؤذيك عندما ..."

لم يكمل ما هو واضح ولا يحتاج للكلمات ! شعرت بخزي بالغ وهي تبتعد بوجهها عنه لكنها استشعرت غضبه فقالت بصوت مختنق " احاول ان انسى .. فلا تسأل .. ارجوك ..."

صمت فتحركت .. خطوة خطوتين وهو صامت حتى اكملت طريقها نحو غرفتها لتدخلها وتغلق الباب خلفها ، كان ما زال يقاوم غضبا يعتمل في نفسه وهو يتصور شهد تتعرض للضرب من زوجها الخسيس المخمور !

تقبضت يداه وعاد الصداع ليهاجم رأسه بعد ان كان قد هدأ ، اقسم في سره انه سيعيد اليها كرامتها امام كل من استهان بها واذلها .

لابد انه مجنون ! ان يشتري لها فستانا انيقا جديدا هذا امر طبيعي ، ان يذهب بها لمزينة الشعر لتصفف شعرها حتى يخرجا للغداء سوية في مطعم فخم هذا مفهوم ، ان يشتري لها خاتم ماسي كخاتم للزواج ويلح عليها بقبوله فهذا امر مقبول ، لكن ... ما ليس مفهوما ولا مقبولا بالنسبة له ان يشتري لنفسه .. خاتم زواج !!

لقد جن بالتأكيد وقلبه اكثر جنونا وهو يتقافز في صدره فرحا وطربا وكأنه طفل صغير حصل على كل ما يتمناه من لعب !

شتم بقوة وهو يرفض التطلع لهيئتها البهية التي تجلس امامه ، شتم مرارا وهو يتذكر خروجها من صالون التجميل بثوب حريري بلون الخوخ ، شعرها الاسود مرفوع للاعلى بتسريحة ناعمة اظهرت عنقها النحيل الفاتن ، وهذا لاشيء امام العيون التي اختطفت انفاسه وقد اجادت المزينة تجميلها لتجعلها بكل

ذلك الألق .. شتم مرة اخرى وهو يقول في سره " لم تكن تحتاج لكل هذا ليبرز جمالها ! الامر اصبح منهكا لي ... "

نادته بقلق عبر مائدة الطعام التي تفصلهما " اسامة .. هل هناك ما يضايقك ؟"

رفع عينيه نحوها وابتأس ! بدت قلقة حقا ومحرجة وتلك العينان تحومان حولهما وكانها تخشى ان يراهما احد !

زفر نفسا قبل ان يتمالك نفسه ليبتسم في وجهها ويقول " لا تقلقي .. فقط افكر بما ستقوله زليخة عندما تراك هكذا "

تجمدت نظراتها واختنقت كلماتها لتخرج منها بصعوبة " تقصد زوجة عمك ؟ وكيف ستراني ؟ "

سارع ليمد يده عبر المائدة لتحتضن يدها المتوترة قائلا بحنو " لقد حان الوقت شهد ، لن ننتظر اكثر ، انا لم اخبرك سابقا حتى لاتقلقي اكثر ، مؤيد ذهب لشقة السيدة جهينة ليسأل عنك "

شهقت وهي تضع يدها الاخرى على فمها فطمانها قائلا " لاتخشي شيئا ، السيدة تجيد التعامل مع امثاله ، لكن الامر لايقتصر على السيدة جهينة "

سألت بقلق متزايد " ماذا .. تقصد ؟"

رد بابتسامة يحاول تخيف الامر عليها " لقد جاء لمقر الشركة يحاول الحصول على المعلومات عني وعنك ، لكن لم يصل لشيء فعاد خائبا "

شدد من احتضان يدها التي اخذت ترتعش ليقول بهدوء " لن تواصلي الهروب منه ، قلتها لك سابقا انه اضعف مما تتصورين ، لذلك سنذهب اليوم للحي لنعلن امام الجميع انك زوجتي ولارى ماذا يستطيع ذلك الجبان فعله حيال ذلك "

تقطع صوتها وهي تقول برعب " لكن قد يثير فضيحة ، ليس لي فحسب بل لك ايضا ولعمك "

هزّ كتفيه بلا مبالاة وهو يقول " لايهمني ، نحن لم نفعل شيئا خاطئا ، بل هو من يفعل على الدوام ولذلك حان الوقت لايقافه عند حده "

لم تعرف بما ترد عليه عندما ابتسم لها قائلا " سترين نجوى ايضا ، ألم تشتاقي اليها ؟"

توارى القلق خلف الشوق لاختها وحل الحنان في عينيها وهي تقول بحشرجة " اجل ... اجل .. اشتقت لها جدا وقلقة عليها للغاية "

لكن القلق عاودها وهي تسأل بارتباك " لكن ماذا لو منعنا مؤيد من الدخول للبيت وقد يمنعها هي ايضا من الخروج لرؤيتي "

زمّ اسامة شفتيه بغضب قبل ان يقول " اولا .. ذلك البيت لك حق فيه كما لمؤيد الحق ، ثانيا .." تماهل قليلا قبل ان يكمل " نجوى لم تعد تعيش مع مؤيد "

ارتفع حاجبا شهد وفغرت فمها قليلا ثم فجأة تحولت ملامحها من الدهشة والذهول للفرح والسعادة وهي تقول بتأثر عميق " هل تزوجت نجوى ؟ لهذا تريد اخذي لرؤيتها اليوم اليس كذلك ؟ يا الهي ... انا سعيدة ... سعيدة جدا من اجلها "

رد وهو يسبل اهدابه " لا ... يؤسفني ان امحو هذه السعادة التي تتألق بها عيناك الجميلتان ، لكن نجوى لم تتزوج انها فقط تعيش في بيت الشيخ يحيى امام المسجد "

هزّت راسها قليلا وهي تقول " لاافهم ؟"

رفع اهدابه لينظر اليها بهدوء ثم قال " هي بخير ، اردت ان اقول لك هذا مقدما حتى لاتفزعي مما ساخبرك به ؟ "

نظر نحوها وهي ما زالت تجلس منكمشة في مقعدها تدير جسدها قليلا للجانب البعيد عنه ما زالت تخاصمه وتمتنع عن النظر نحوه ، شعر بضيق شديد و .. بتأنيب الضمير !

لها كل الحق بلومه وتأنيبه لانه لم يخبرها سابقا بما حصل مع نجوى بل اكتفى بطمأنتها ان كل شيء على ما يرام .

كان على وشك دخول الحي عندما شعر بجسدها يتوتر ، ارتعش قلبه فمد يده يمسك بيدها النائمة في حجرها لكنها سحبتها بقوة رافضة ملامسته !

شتم بصوت مسموع فالتفتت اليه بغضب لتقول " لايحق لك الغضب مني لاني ارفض لمستك "

اوقف السيارة جانبا والتفت نحوها ليقول بحنق " كنت احاول مؤازرتك لااكثر ، لقد احسست بتشنجك ونحن على وشك الدخول للحي "

التمعت عيناها بشدة وهي تعقد حاجباها فوقهما لتقول بحدة " لايهمني الحي ولا يهمني ما يحدث لي ، كل ما يهمني اختي ، كان يجب ان تخبرني بما حصل معها لاطمئن عليها بنفسي لا ان تستغل ثقتي بك فتخفي عني امرا بهذه الاهمية ،

كيف .... كيف طاوعك قلبك ان لاتخبرني ؟!!! كان يجب ان ارعاها بنفسي لا ان اتركها للغرباء وحيدة ومنكسرة "

تنهد اسامة باحباط ليقول " شهد واجهي الامر ، انت لم تكوني بقادرة على مساعدتها بشيء ، كان سيأتي مؤيد وياخذك رغما عنك "

التمعت دموع القهر في عينيها لتهتف به قائلة " فليفعل مؤيد ما يريد ! فليقتلني اذا شاء ، لم يعد يهمني او يرعبني الامر !"

رفع يده ليمسك ذقنها بعنف ثم هدر قائلا بعينين عاصفتين " فليجرؤ على الاقتراب منك واقسم اني ساقتله هذه المرة ، لااحد ... لااحد ابدا سيقترب منك .."

ارتعش وجهها واختلج صدرها لتهطل دمعتين مسحتهما بقوة وهي تخلص ذقنها من انامله القاسية ثم قالت وهي تعاود الالتفات بعيدا " خذني اليها اسامة ، فقط ... خذني اليها ..."

شتم بقوة ليعاود الانطلاق بسيارته وهو يقول " سنذهب اولا لبيت عمي لاخبره بزواجنا بنفسي ، فنحن ما ان ندخل الحي سوية حتى ستصل الاخبار سريعا لزليخة وهي لن تتوانى عن اخباره لتغيظه بي "

ردت بتمتمة " كما تشاء .."

قال يكتم غيظه منها " لن نتأخر هناك "

هذه المرة اغاظته اكثر عندما لم ترد .....

كان عمه يضحك من قلبه وهو ينظر لاسامة في وقفته المعتدة بينما شهد تحمر خجلا !

قال اسامة بلطف " توقف عن هذا الضحك عمي ، اخاف ان تؤذي قلبك الضعيف "

لكن العم لم يتوقف بل اخذ يقول من بين ضحكاته " لااستطيع .. نسيان وجه زليخة وهي تلاحقكما حتى غرفتي وعيناها تكادان تخرجان من محجريهما ولسانها لايتوقف عن القول ببلاهة (تزوجتَ شهد ... تزوجتَ شهد)

وجهها المصدوم بدى مضحكا جدا واكاد اجزم انها هي من ستتعرض لنوبة قلبية !"

اطرقت شهد وهي لاتجد ما تقوله بينما قال اسامة بعتب رقيق " عمي انت حتى لم تبارك لنا ! انظر لشهد تكاد تغرق في الخجل امامك "

توقف العم تدريجيا عن الضحك ثم اخذ ينظر لشهد باعجاب وهو يقول بوهن " لم ارك يوما اجمل من هذه الصورة ، يبدو ان ابن اخي يجيد الاعتناء بك "

همست بخجل متفاقم " نعم .. اسامة طيب جدا معي .."

اوشك اسامة ان يضرب بقبضته الحائط ! انه لايريد مديحها هذا ، كل ما يريده ... ما يريده .... هي ....

قال اسامة وهو يتنحنح " حبيبتي انتظريني قليلا في الخارج ، اريد مكالمة عمي لدقيقة لااكثر "

هزّت رأسها بنعم وهي تبتسم له فخفق قلبه ثم رآها كيف وقفت على قدميها لتتنحى قليلا وهي تمد يدها لعمه تصافحه لكن العم طالبها قائلا بصوت بشوش " تعالي في حضني يا فتاة ، دوما كنت الاكثر خجلا وانطواءا بين تلامذتي ..."

احتضنته وهو يتمتم لها بالمباركة بينما اسامة يغلي غيرة !

غادرت شهد الغرفة وعينا اسامة لاتفارقانها فمازحه العم قائلا " اعترف اني صدمت لتركك خطيبتك السابقة ولكني سعيد وانا ارى نظراتك هذه نحو شهد "

اطرق اسامة قليلا بينما اضاف العم " دوما كنت استشعر ان لديك ميلا قويا نحوها ويبدو ان قدرك الحصول عليها "

تنحنح اسامة قليلا قبل ان يقول " اردت ان اشكرك لعدم ذكر سهر امام شهد ولانك لم تغضب مني لاني تزوجت دون ان اخبرك "

رد العم وهو يلوح بيده " لايهم ... المهم ان اشعر بالراحة اخيرا وانا اراك تحظى بسعادة حقيقية "

غامت عينا اسامة وهو يتطلع نحو الباب الذي اغلقته شهد للتو ليقول في سره بالتياع " سعادة بقربها وشقاء لاني لااحصل عليها "

" اذن استطعت الحصول على رجل شاب غني في النهاية ! لا بد انك مارست الشعوذة لتجعلي اسامة يقترن بامرأة مثلك لها تاريخ طويل مع الرجال ! لااطيق صبرا لرؤية وجه اخيك مؤيد "

كان السم يقطر من فم زليخة وهي تقول هذه الكلمات وتتطلع بحقد اعمى لقامة شهد الممشوقة في هذا الفستان الانيق .

لم ترد عليها شهد بينما اخذت تتململ في وقفتها قرب مائدة الطعام بانتظار خروج اسامة من عند عمه ، لكن زليخة لم تتوقف وهي تهينها بكلماتها قائلة " فتاة مثلك مطلقة وبمستو متدن لن تصمد طويلا في عالم اسامة الجديد ، انه غبي لانه اختارك انت وقد كان في وسعه اختيار فتاة من الطبقة الراقية وخداعها بقشرته الجديدة من الرفاهية بينما يخبئ جيدا داخله القميء وتاريخه المخزي "

ارتعد جسد شهد نفورا وهي تنظر لتلك العيون الكريهة التي تحمل كل معاني الكره والحقد !

انتابها غضب عارم ليس لما قالته زليخة عنها وانما بسبب ما قالته في حق اسامة ، لم تحتمل لتفقد اعصابها قائلة بانفعال شديد " كم انت امرأة بائسة وكريهة ! داخل اسامة اروع من ان تدركه امرأة سوداء القلب والروح مثلك ، انت تشعرين بالذل والغيظ لانه نجح رغم كل ما فعلتِه به ، انه لم يتحطم في ظل قساوتك المتعمدة ، انت امرأة مريضة "

هدرت انفاس زليخة وزمجرت بقوة قبل ان تقوم من جلستها على تلك الاريكة البالية

لتتحرك نحو شهد وهي تقول بعيون شع منهما البغض " ايتها السافلة الوضيعة الفاجرة .."

لم تشعر شهد بالرهبة منها وواصلت التحديق فيها باستهانة وعندما اوشكت ان تصل اليها قالت شهد وهي تلتقط ظل اسامة الواقف عند باب غرفة عمه " تراجعي خالتي زليخة فلن يحب اسامة ما تفعلين ؟"

ثم التفتت شهد لتغادر البيت تاركة زليخة غارقة في ارتباكها وغضبها وحقدها الاعمى !

اخيرا تنسفت الصعداء وهي تستند الى مقدمة
سيارة اسامة المركونة على جانب الطريق
امام بيت الاستاذ خليل .. عمه ...

لاتعلم كيف استطاعت قول كل ما قالته
لزليخة لكنها شعرت بروحها تنتفض لتدافع
عن اسامة وكأنها تسعى لحمايته من هذه
السموم التي تبثها تلك المرأة المجنونة !

" شهد ...."

سم اخر ....

لايمكن ان تخطئ صوت مؤيد خصوصا عندما
يناديها بهذه النبرة الآمرة المستهينة !

الفصل الثاني عشر

اعتصرت ناملها الهاتف بقوة وهي تقول من بين اسنانها " ماذا تقصدين انك لاتعرفين اين ذهب ؟! لماذا لم تسأليه ؟ انت سكرتيرته ويفترض ان يخبرك عن سبب تغيبه عن الشركة ليوم كامل "

ردت الفتاة بارتباك " اسفة انسة سهر لم استطع الالحاح ، لقد سألته مرتين وهو رد علي بنفس الكلام ان لديه امور مهمة تخصه وسيعلن عنها غدا ، حتى اني رواغته لاظهر ارتباكي اذا سأل عنه عميل مهم لديه موعد معه فرد ببشاشة (لايهم) ! "

زمّت سهر شفتيها حنقا لتسأل بعدها " وتلك المرأة ، شهد .. ألم تظهر ؟ ألم تعرفي عنها شيئا ؟"

اجابت الفتاة " لا انستي ، لا نعرف عنها شيئا الا ما قاله سيد اسامة للاستاذ بهاء ، بأنها تعمل في مكان اخر بعد ان رفضت الزواج منه "

ارتعشت سهر .. ما زالت تشعر بقبضة مؤلمة تعتصر قلبها كلما تذكرت هذا الموضوع ، انها لاتستطيع تصور ما سيحدث مستقبلا !

قالت اخيرا بصوت حازم " لن اوصيكِ مرة اخرى ، افتحي عينيك واذنيك ، لااريد ان تهملي اي شيء ابدا ومهما كان صغيرا ، وغدا انتظر مكالمة منك لتخبريني بما نوه اسامة عن اعلانه "

ردت الفتاة " مؤكد آنستي ، حال حضوره للشركة واعلانه لأي شيء ساوصل اليك الخبر ولو برسالة نصية "

تنهدت سهر وهي تقول " حسنا .. انتظرك غدا "

ضغطت سهر على زر اغلاق المكالمة ليصلها صوت امها من خلف ظهرها " ألن تكفي عمّا تفعلينه ؟! والدك اذا علم سيغضب منك كثيرا "

لاح ألم على وجه سهر وهي تقول بلوم وعتب " انت ووالدي اخذتما الموضوع ببساطة ! لا افهم كيف تقبلتما ما قاله اسامة عن اننا لسنا متوافقين ، لااصدق انه بجلسة واحدة مع والدي في غرفة الضيوف جعله يقتنع ويتفارقان كأصدقاء ! انا لاافهم .. لاافهم .."

اقتربت منها الام تبتسم بحنو وتقول " حبيبتي ، والدك يحترم اسامة وقد اعتبر ما فعله لمصلحتك اولا "

علا صوت سهر وعيناها تشرقان بالدموع " لا انه لمصلحة اسامة وحده ، هو يريد الارتباط بتلك المرأة ، وبدلا من ان يثأر ابي لكرامتي يعامله بكل احترام !"

تنهدت الام لتقول بأسى " وان يكن .. حتى لو كانت هذه اسبابه فايضا افتراقك عنه في مصلحتك ، فاذا استطاعت تلك المرأة التأثير عليه هكذا فما مصيرك معه ان استمر ارتباطكما ، اما والدك فهو ليس من النوع الانتقامي ، دوما كان هادئ الطباع متمهلا في قراراته ، كما ان الافتراق في فترة الخطبة وارد كثيرا هذه الايام ، فلماذا وجدت الخطبة اصلا ؟!! اليست فترة لاختبار مدى تلائم الطرفين ؟"

غصت سهر بالدموع وهي تقول بأسى " انت لاتفهمينني امي ... لاتفهمين كيف اشعر .."

ثم استدارت لتركض مبتعدة نحو غرفتها بينما الأم تنظر اليها بضيق وتهمس بحنق " اعلم كم هو مؤلم الامر لك لكنه لايستحقك صغيرتي ... لايستحق فتاة رائعة مثلك ، هو الخاسر ... هو الخاسر ... "

" لم اصدق كلام الخالة زليخة وهي تخبرني بالاخبار السعيدة ! "

صوته كان ينضح سخرية مهينة ! التفتت شهد اليه وهي تحاول الصمود امام ذلك الخوف المألوف الذي يضيق بخناقه حولها كلما رأت اخاها ... اجل ... هذا هو شقيقها الذي لم يمنحها يوما الا شعورا بالخوف والضياع والانكسار .. وفقدان الامل و الامان .

لكن لن تسمح له بارهابها ، لن تضعف مرة اخرى ، يكفي ... يكفي

رفعت راسها بكبرياء وهي تنظر لمؤيد في وقفته على بعد بضعة خطوات منها لتقول بهدوء " ماذا تريد مؤيد ؟!"

عقد حاجبيه غضبا فنبرتها مؤكد لم تعجبه ! بدى بوضع مزر ، ملابسه مجعدة وملامحه شرسة بائسة ، عيناه جارحتان بما يسكنهما من نظرات مهينة ، تطلع اليها صعودا ونزولا ليقول بقرف " ايتها العاهرة ، أوَ تسألين بصلف ماذا اريد وقد مرغتِ بشرفنا التراب ؟!!! ام تظنين اني مغفل ؟! من تخدعين بمظهرك الانيق المنافق ؟! من سيصدق ان ذلك المنبوذ قد يتزوجك انت دونا عن باقي الفتيات ؟!

خصوصا عندما يكون خاطبا لفتاة اصغر منك وافضل منك بكثير ومن كل النواحي "

ارتبكت شهد قليلا فلاحت ابتسامة منتصرة على وجه مؤيد وهو يقول بتعبير متعالٍ " اجل اختي الصغيرة ، انا اعرف ان هذا المنبوذ خاطب لفتاة حسناء ذات حسب ونسب وليست نكرة ملوثة بماضيها مثلك ؟"

صدمتها بشاعة كلماته وهو يصفها بهذه البساطة فلم تدرك اقترابه منها حتى علا صوت اسامة من جانب الباب الخارجي للبيت وهو يقول بتهديد " خطوة اخرى تقترب منها وستكون اخر خطوة تخطوها بحياتك "

تسمر مؤيد في مكانه والتفت نحو اسامة ينظر اليه بكره شديد بينما تقدم اسامة على مهل ليقف بجانب شهد فيلف ذراعه حول خصرها ويقول " اقسم لولا اني لااريد افساد سعادة شهد اليوم لمرغت وجهك على الاسفلت الان حتى يفقد ملامحه ؟ "

للحظة ارتبك مؤيد بينما اضاف اسامة بلهجة انتقامية وهو يشدد من احتضان جسد شهد المرتعش " شهد زوجتي ، فلتقتلك كمدا هذه الحقيقة ؟ ولتحترق قهرا لانها تزوجت بي انا المنبوذ "

ودون ان يضيف المزيد استدار بشهد ليفتح لها الباب واجلسها برقة ثم اغلق بابها والتف حول السيارة ليجلس في مقعده وينطلق دون ان يلقَ بالا لمؤيدالذي قتله الغضب والعجز !

كم يود ان يأخذها بين ذراعيه هنا امام كل سكان هذا الحي الكريه ، ليروا ان شهد اصبحت ملكه وتنتمي اليه فلا يجرؤ احد على التطاول عليها مرة اخرى او النيل منها ..

قاوم تلك الرغبة ليوقف سيارته اخيرا امام بيت الشيخ يحيى .

لديه الان هواجس تخيفه .. ترعبه ...

ماذا لو التجأت للشيخ يحيى ليضمها لاختها نجوى في بيته وتحت جناحه ؟ ماذا لو تمسكت بها نجوى ولم تدعم زواجها منه ؟

التفت نحو شهد فوجدها تتطلع للبيت بحزن ثم همست " هل هذا بيت الشيخ ؟ "

رد بحشرجة " نعم ..."

خنقتها العبرة وهي تقول " اذن ... نجوى ايضا وجدت من يعطف عليها ويأويها في بيته !"

غضب ... غضب بشدة .. سحبها من ذراعها ليديرها نحوه قائلا بقسوة تناقض رقته معها امام اخيها " انت زوجتي ! فقط تذكري هذا وستعرفين ان وضعك مختلف عن نجوى "

اطرقت قليلا قبل ان ترفع عينيها قائلة بابتسامة حزينة " اجل مختلف ! على الاقل ظاهريا املك الحق في البقاء تحت سقف بيتك انعم بحمايتك ، فماذا عن نجوى ؟! "

ودون ان تنتظر رده سحبت ذراعها من قبضته وفتحت بابها لتترجل من السيارة .

طرقات تفتقد الصبر قاطعت تركيز نجوى وهي مكبّة على ماكنة الخياطة ، اوقفت الماكنة لتتطلع نحو الباب وهي تقول " نعم جنان ... تفضلي ..."

فتحت الباب ليطل وجه جنان المليء بالحماسة تكاد انفاسها تتقطع من كثرة الحماس بينما عيناها تبرقان بالدموع وابتسامتها شابها فرح عظيم !

دهشت نجوى من حال صديقتها الوحيدة لتخلع نظارتها الطبية وتقف على قدميها تسأل جنان باستغراب " ماذا يحدث جنان ؟ ما بك مبتهجة لدرجة البكاء كطفلة ! "

عبست جنان قليلا لتقول بتسامح " وانا التي احضرت لك مفاجأة لاتقدر بثمن ! لكن لافائدة منك سيظل لسانك حادا بتعابيره "

ابتسمت نجوى لتتجمد تلك الابتسامة ما ان سمعت الصوت المتحشرج القادم من خلف الباب الموارب " لافائدة ... نجوى هي نجوى .... "

لم تصدق نجوى عينيها وهي تنظر لتلك المرأة الانيقة التي ظهرت الان وهي تبتسم ابتسامة بلهاء والدموع تنسكب مدرارا على وجنتيها ! امرأة تحمل ملامح اختها !

همست نجوى بلا تصديق " شهد !! "

اقتربت شهد منها بخطوات متسارعة وهي تشهق بالبكاء لتحتضنها بقوة وهي تبكي بكاءا هستيريا ، خرجت نجوى من جمودها وتبلدها ولم تشعر بنفسها الا وهي تبكي بهستيرية مماثلة !

ظلتا هكذا متعانقتين بقوة تترنحان من شدة البكاء بينما تقف جنان على بعد خطوتين تشاركهما هذا الانفعال الموجع المؤثر .

لحظات بعدها واخذت نجوى تهدر " ايتها الغبية المجنونة ، اين هربتِ ؟ اين اختفيتِ ؟ لقد يئست من ان اراك ثانية .. كنت .. كنت ... "

خنقتها الكلمات وهي تبكي وتصرخ فيها " كنت يتيمة بدونك ! لم اشعر بهذا حتى بوفاة امنا ... يا غبية .... كيف فعلت هذا بي ... دون ان تخبريني حتى !"

ردت شهد من بين شهقات البكاء " انا اسفة ... اسفة ... سامحيني ... انا السبب فيما فعله مؤ..."

لكن نجوى اخذت تحتضنها مرة اخرى وقد عاودتها موجة بكاء هستيري اخر !

تركتهما جنان وهي تمسح دموعها بينما تغلق عليهما باب الغرفة ، شعرت بالسعادة لهما وقد اوجعها ان ترى كل هذا اليتم الذي يحيط بهاتين المرأتين ! يُتمٌ وضعف وانكسار ..

تطلع الشيخ يحيى لوجه اسامة القلق وحركات يده المتململة فتبسم قليلا وهو يراقب نظراته التي لم تحد عن الباب الذي خرجت منه شهد قبل عشر دقائق لترافق جنان نحو غرفة نجوى ، ترى ... هل هو الشوق ام ان ما يقرأه ابعد من شوق المحبين ؟ وكأنه يخشى ان تختفي شهد فجأة !

قال الشيخ " اشرب شايك سيد اسامة فلقاء الاخوات سيطول ..."

هزّ اسامة رأسه وهو يبتسم للشيخ بشرود بينما قلبه ينبض بعنف ويكاد يفقد سيطرته على حاجة ملحة للحاق بشهد ليجرها عنوة من ذراعها ويعيدها معه لشقته ... حيث يجب ان تكون دوما .. قريبا منه ..

اشاحت شهد بوجهها وقد شعرت بالخجل من نظرات نجوى المصدومة بعد ان اخبرتها بكل ما حصل معها منذ ان هربت ليلة العرس وحتى زواجها من اسامة لكن دون ان تدخل بالتفاصيل .

قالت نجوى والصدمة ما زالت تسيطر عليها " وانا التي كنت اظن نفسي حظيت بالقصة الاكثر اثارة !! "

ابتسمت شهد لتقول بسخرية مرحة " اخبريني قصتك فانا لااعرف الكثير فقد اقرر ان قصتك اكثر اثارة من قصتي !"

ضيّقت نجوى عينيها لتقول بهدوء " شهد .. هل انت مدركة لاسباب زواجك من اسامة ؟"

ردت شهد بحيرة " ماذا تقصدين ؟ انا لاافهم ؟"

قالت نجوى بعبوس " انت تقولين ان زواجك صوريا وهذا يثير العجب ! "

احمرت شهد قليلا وهي تسأل " انا لااكذب عليك ؟"

ردت نجوى بعينين متسعتين دهشة " انت لاتفهمين فعلا اليس كذلك ؟!! هل يعقل انك لم تفهمي رغبة اسامة بك منذ كنتِ مراهقة وهو يلاحقك ككلب وفي ؟"

عبست شهد وهي تقول ببعض الحدة " لاتقولي عنه كلب ؟ "

رفعت نجوى حاجبا واحدا لتقول بابتسامة ساخرة " وتدافعين عنه ايضا ؟ عجبا عجبا .."

ارتبكت شهد وهي تلامس قبة فستانها قائلة " وكيف لا ادافع عنه بعد كل تضحياته من اجلي ؟! لقد جعل مني زوجته امام الناس وكان بمقدوره ان ..."

قاطعتها نجوى لتقول بحزم " توقفي عن العيش في الاحلام ؟ يا الهي اما زلت تحبين خلق عالم يرضيك لايمت للواقع بصلة ؟!"

ارتجفت شهد قليلا ثم همست باضطراب " انا لاافهمك ؟"

قالت نجوى ببعض القسوة " بل تفهمين ؟ ولكنك كالعادة تدفعين ما لاتريدين مواجهته في اقصى زاوية مظلمة من عقلك ،

قد اصدق انك لم تكوني متنبهة لهوسه بك عندما كان يافعا منبوذا في الحي وانت مجرد مراهقة ، هوسه بك كان يثير سخرية مؤيد منه وهو يذله بأنه لن يحظَ بنظرة منك ! سمعته اكثر من مرة يقول له ذلك ....
لكن ... الان ... لن تقنعيني انك لاتفهمين الان انه ما زال مهتم بك حقا ..."

تزايد اضطراب شهد وتحشرجت انفاسها بينما كلمات بعيدة تجاهلتها طويلا وقاومتها مهما ألحت عليها تلك الذكريات ، ذكريات عما حصل بينها وبين اسامة في مكتبه تلك الليلة .. كلماته ... تلك الكلمات بدأت بالتوهج في عقلها الان رغما عنها فتبرز كنجوم مضيئة في كبد سماء مظلمة ....

(ما الذي يجعلك تريدين الزواج من بهاء او غيره ؟! تريدين بيتا ؟ استطيع ان امنحك واحدا ليكون ملكك وحدك ، تريدين مالا تضمنين به مستقبلك ؟ انا ايضا سامنحك اياه ، سامنحك كل هذا مع حمايتي ، فماذا تريدين بعد ؟؟ اجيبي يا شهد ؟؟!!)

(هل احببت عدنان كما احببت احمد ؟)

(لن تكوني لغيري مرة اخرى ... ابدا ... ابدا يا شهد ...ابدا .. سافعل اي شيء لتبقي لي ...)

كانت عيناها متسعتين ونظراتها مصدومة بينما همست لاختها " لا... يمكن ... لايمكن ... ان يكون ...."

ثم صمتت فجأة وهي تتذكر ما قاله قبل قليل لاخيها مؤيد

(شهد زوجتي ، فلتقتلك كمدا هذه الحقيقة ! ولتحترق قهرا لانها تزوجت بي انا المنبوذ)

اخذت تهزّ رأسها ببطئ بينما قالت نجوى باشفاق " هوني عليك شهد .. لماذا تجعلين الامور اصعب عليك ؟! ماذا ان كان ما يزال يكن لك العاطفة ؟ بالعكس هذا شيء رائع وفي مصلحتك "

لكن شهد لم تكن تراه بهذه الروعة فقالت بألم " انت لاتفهمين ! لو كان يحبني كما تعتقدين فلماذا يريد زواجنا صوريا ؟ لماذا لم يتقرب مني بالطريقة المعتادة ؟ الا اذا كان في باله امر اخر تماما !! يا الهي ... هل كان يخطط للامر منذ البداية ؟؟ "

احتارت نجوى بردة فعل شهد فسألتها بقلق " ماذا يحدث شهد ؟ ما بك ؟ هل حصل شيء اخر بينكما لم تخبريني عنه ؟"

ردت شهد بحشرجة " انه ... يحقق حلمه بي يا نجوى ، انه يرضي نفسه بامتلاك ما رغب به ولم ينله ، لكن ليس لاجلي حقا !! الان فهمت سر تعامله معي طوال تلك الفترة ، لقد اراد الثأر لنفسه من مؤيد ومني ومن ..."

قاطعتها نجوى لتقول " لحظة شهد ... قد يكون له اسبابه لجعل زواجكما صوريا ، لكن لاتظلميه ، حتى لو كان جزء منه يريد الثأر كما تقولين هذا لاينفي انه ساعدك وحماك كما اخبرتني بنفسك وكان بمقدوره ان يذلك بل ويدمرك "

وضعت شهد كلتي يديها على رأسها وهي تقول باضطراب شديد " انا لاافهم ... لاافهم ... لماذا حياتي كلها بهذا التعقيد ؟! انا ابسط من ذلك بكثير واحلامي لم تكن يوما مستحيلة ! فلم تتعدَ يوما ان اعيش كأي فتاة عادية تحظى بحياة طبيعية وزوج محب وعائلة دافئة "

ربتت نجوى على ظهر اختها لتقول بابتسامة متفهمة " كلٌ يأخذ نصيبه شهد ، فارضي بنصيبك دون ان تستسلمي له بالكامل ، عدم الاستسلام تعني ان تحاولي تغييره للافضل وحتى لو فشلتِ يكفيك فخر المحاولة "

تنهدت نجوى قليلا قبل ان تضيف بهدوء " لقد كان درسا مهما خرجت به من كل ما حصل ويحصل معنا ، درس صعب لم افهمه بشكل صحيح الا بوجود جنان والشيخ يحيى في حياتي "

شردت نظرات شهد بعيدا بينما قالت نجوى بسخرية لاذعة " اذن لاخبرك قصتي حتى نحكم سوية من منا حظيت بالاثارة الاكبر !"

تطلعت اليها شهد ولامستها تلك النظرات التي اطلت من عيني اختها ، نظرات كلها رضا ، لم ترها يوما بهذا الصفاء ....

طريق العودة كان هادئا اكثر مما يجب ! اخذ اسامة يلقي بنظرات جانبية نحو شهد التي بدت اكثر انعزالا عنه من اي وقت مضى !

انه شديد القلق وقلقه هذا يغضبه لابعد حد ! الايكفيه ما يعانيه ؟! هل عليه الان التنبؤ بما يعتمل داخلها الان ؟!!

ما الذي تفكر به ؟ ما نوع الحديث الذي تبادلته مع نجوى ؟ نجوى التي بدت في بيت الشيخ وكأنها في بيتها ! مستقرة النفس هادئة التعابير فخورة معتزة بعملها البسيط كخياطة ...

وجد نفسه يتساءل في سره ببلاهة " هل تجيد شهد الخياطة ؟!"

عنّف نفسه لان افكاره تحوم دوما حول نفس الموضوع الذي يؤرقه ، ان تقرر شهد الانفصال عنه ... خنقته الفكرة اكثر وشعر بالندم لأن قلبه لان لاجلها واراد اسعادها برؤية اختها واعلان الزواج في الحي اولا ...

اجفله صوتها الهادئ وهي تسأله " هل وجدت لي عملا يا اسامة ؟"

السؤال بدى كانتقام منه ! تعذيب ساديّ ..

انها تسأل عن عمل !! يا الهي ... انها تفكر فعلا باقصر الطرق لتبتعد عنه ...

التفت نحوها وتطلع اليها بلهفة حارقة ثم قال بصوت مبحوح " ما زلت انتظر الرد من احدى الشركات .. فقط اصبري اسبوعا آخر ..."

بعد ثلاثة ايام

لم يستطع شرب قهوته ، انها مريعة ! كل شيء اصبح مريعا ومقيتا ، منذ ذهابهم للحي وهي باردة معه تنأى بنفسها عنه بطريقة لايفهم اسبابها !!

حتى فوضويتها توقفت ! لم يعد يلتقط اغراضها المبعثرة هنا وهناك ، لم يعد يغسل كوبها لانها اصبحت تحرص على غسله بنفسها ، وبعد ان كانت تثقل كاهل مشاعره المتأججة وهي تتحرك حوله هي واشيائها المستفزة التي تقع منها باستمرار لم يعد يراها الا لماماً ، اصبحت مجرد طيف هارب يلقي تحيتيّ الصباح والمساء لتتلاشى بعدها خلف باب غرفتها !

مرّر يده في شعره وهو يشعر بالتشوش والاحباط ، انه يفتقدها ، يفتقد كل ما تفعله به من تعذيب عاطفي ، فلتعذبه كما تشاء فقط لتعد كما كانت !!

تنهد وهو يقترب من حوض غسيل الصحون ليسكب فيه ما تبقى من قهوة في فنجانه ثم اخذ يغسله بشرود .

" صباح الخير ..."

اوقع الفنجان من يده ولحسن الحظ وقع في الحوض فلم ينكسر ، التفت نحوها عازما على التماسك امامها ، يجب ان يكون متماسكا وحازما ايضا ، ان لايدعها تتصور فيه الضعف .

كان يرد التحية ب"صباح ال...." عندما تلاشت منه الكلمات وهو ينظر اليها بذهول !

اختنق لرؤية جمالها المختلف عن اي شيء اخر رآه سابقا !

تقف عند باب المطبخ ، وجهها المرهق بدى فاتنا بعينيها الناعستين وشفتيها المرتعشتين ، شعرها فوضوي حولها فلم تبالي بعقصه كالمعتاد ، حتى قميص نومها القطني بدى فجأة اكثر اغراءا من اي قميص نوم حريري صمم لغرض واحد !

هي كلها بدت وكأنها تنتظر العاطفة متعطشة لها بيأس ... مثله تماما !

نفض رأسه ليوقف تماديه في هذه الافكار الخطرة ثم همس بحشرجة " هل تحتاجين لشيء ؟"

اقتربت منه واذهلته عندما مدت يديها الاثنتين لتضعهما على صدره ثم سألت بألم تعكسه نظراتها " لماذا تزوجتني اسامة ؟ لماذا فعلت هذا حقا ؟ اريد ان اعرف ... احتاج ان اعرف ..."

ارتفع وجيب قلبه وعيناه تتسعان ، لسانه عجز عن النطق بينما تعابير وجهها تعذبه وهو يلتاع شوقا اليها ليمحو ألمها وألمه معا ...

تمتم بغباء " شهد ... انا ..."

تساقطت دمعاتها وهي تهمس " هل تزوجتني انتقاما من مؤيد ؟ لتذله .. لتسخر منه وانت تحظى بي مذلولة في بيتك ..."

شهقت وهو يمسكها بعنف من ساعديها ليقول بانفعال هائج " بعد كل هذا شهد ؟!!! تقولين لي انا هذا الكلام الموجع ؟ هل استحق منك هذا ؟ هل اشعرتك يوما منذ تزوجنا اني اريد اذلالك ... يا الهي لااصدق انك قلت ما قلته الان !!! "

اخذ يهزها وقد فقد تماسكه وصبره ليقول " لااصدق انك انت من دافع عني بشراسة امام زليخة ! لم تدافعي عن نفسك ! فقط دافعتِ عني أنا ... جعلتني .. جعلتني ...."

توقف ... تخنقه المشاعر .. يتأوه بعاطفة هائجة منفلتة .. غامت عيناه وهو يقترب منها ليهمس باحتراق قرب شفتيها " لم اعد احتمل ، لم اعد قادرا على صد حاجتي المميتة اليك "

كانت ضعيفة جدا .. هشة ... وهي تهتز كورقة رقيقة بين ذراعيه وعندما همست باسمه تفجرت مشاعره وافلت الامر من يده ،

اخذ يقبلها بجوع رهيب ، بحاجة مميتة كما وصفها بالضبط ! بدى وكأنه سيموت وحياته معلقة بها ... هي وحدها !!

اخذ يضمها اليه بعنف لم يستطع السيطرة عليه ، وليزيد جنونه استجابتها القوية له ، تأوه مرارا باسمها وهي تتعلق به ،

لم يطق اكثر وقد اخذ يفتح ازرار قميصه ويهمس باشتعال " قولي نعم شهد .. قولي نعم والا سأموت الان ...."

لم تنطق وهي غارقة بعاطفته وهو يتوقف لينتظر ردها ! هاتفه النقال يرن فلم يرد واوشك ان يحملها عندما رن الهاتف الارضي هذه المرة .

شتم وهو يرى شهد تستعيد رشدها قليلا وحاولت الابتعاد عنه فلم يسمح لها وهو يتألم من محاولتها تلك ، جذبها بعنف اكبر اليه يحطيها باحدى ذراعيه وهو يمزق قميصه بيده الاخرى وبينما هو يفعل هذا صمت رنين

الهاتف ليفتح المسجل الآلي ويأتي صوت باكٍ اخترق العاطفة الهوجاء ...

كان صوت ام حسن يقول " سيد اسامة اتصل بك ولا ترد ارجوك تعالَ فورا ، عمك بحالة .... سيئة ويرفض الذهاب للمستشفى بل يرفض دخول المسعفين لغرفته حتى تأتي اليه بنفسك ! "

ابتعدا عن بعض ... طأطأت شهد رأسها وهي ترتعش من العاطفة اما اسامة فاخذ ينهت !

همس بوحشية " يجب ان اذهب ..."

هزّت رأسها موافقة وهي تحيط جسدها بذراعيها بينما تحرك اسامة بخطوات هادرة ،

غاب لحظات في غرفته ثم خرج وقد ارتدى قميصا اخر بدل الذي مزقه ، لاقته عند باب الشقة وهي تقول بصوت متحشرج " سألحق بك بسيارة اجرة "

قال بعنف سافر من بين اسنانه وهو يفتح الباب " اذا تحركت خطوة واحدة خارج هذه الشقة لن تلومي الا نفسك ؟"

ثم خرج صافقا الباب خلفه تاركا شهد تحدق وهي ترتجف ....

لم يرَ عمه بهذا الوهن سابقا ! كان يضطجع على سريره مغمضا عينيه ووجه شديد الشحوب ، اقترب من سريره بهدوء ليرسم ابتسامة مشجعة على وجهه وهو يقول " مرحبا عمي ، لقد اتيت ، دع المسعفين يدخلون الان ليحملوك الى المستشفى "

تهلل وجه عمه وعيناه الذابلتان توهجتا فرحا ثم .. فجأة ... لمعتا بالدموع وهو يهمس بأسم ابن اخيه بألم مبرح " اسامة ..."

ما زال اسامة يبتسم رغم الاحساس المرعب الذي يثقل على صدره ، قال اسامة برقة " نعم عمي انا هنا ..."

رأى اسامة تلك الدمعة اليتيمة التي انحدرت من احدى عيني عمه لتسيل حتى وصلت وسادته !

لم يفهم ما به بالضبط لكن رجح خوفه من اقتراب ساعته ، وكأن عمه كان يناجي افكاره فقال بحشرجة ضعيفة " انا لااخاف الموت بحد ذاته ، لكني اخشى ان يداهمني ولم احصل على الغفران ! يجب ان اعترف لاحصل عليه .."

رد اسامة بصدق وتأثر " عمي انا سامحتك ، كم مرة قلتها لك ؟!! لماذا تصر على العودة لنفس الموضوع دائما ؟!! "

كان عمه يحرك رأسه يمينا ويسارا حتى قبل ان يتم اسامة جملته ليقول بعدها بفيض من الألم " اسامة ..بني .. انت لاتعرف اي انسان هو عمك ، تظن ان ضعفي نحو زليخة جعلني اكمل معها اليس كذلك ؟؟ ضعفي ورقة قلبي واشفاقي عليها ..!! "

تغضن وجهه اكثر وهو يضيف بكمات مختنقة " جعلني ارضى بأن ارى معاناتك لاكتفي بادارة وجهي للناحية الاخرى حتى لاتعذبني رؤيتك ، جعلني ... جعلني ارميك في ذلك الملجأ ... عام كامل .. دون ان تهزم شفقتي عليك حبي لنفسي ! "

اخذ العم يجهش بالبكاء بينما اسامة عاجز عن ايقافه او ادراك ما يرمي اليه !

اخذ يقبل رأسه وهو يقول " اتوسل اليك عمي دعني فقط انادي المسعفين انهم بالخارج ، وضعك غير مستقر وقد بدأت اقلق جدا عليك ، انا لايهمني ما حصل في الماضي ، ومقدر انك تحبني حقا وحاولت لكنك ببساطة لم تستطع ... "

لدهشة اسامة تزايد بكاء عمه لدرجة انه اخذ يشهق ! قال من بين شهقاته " انا كذبت عليكم جميعا ، كذبت على زليخة وكذبت عليك ، لم اكن اريد ان ابقى وحيدا ، سامحني بني ، سامحني لاني كنت انانيا جبانا ، وقد عاقبني الله بهذا ، عاقبني بها ... انها صنيعة يدي ... انا لست ذلك الرجل الرقيق القلب الضعيف الحيلة الذي تظنه ! انا حقير ونذل ...."

كان اسامة قد بدأ يهلع وهو يشعر بحالة عمه تزداد سوءا وما زال لايفهم وقد تشتت ذهنه في عدة اتجاهات ، قال اسامة بتوسل " انا اسامحك على كل شيء اقسم لك ... فقط دعنا ننقلك للمستشفى ، وبعد ان تتحسن سنتحدث مرة اخرى عن كل شيء .. "

لكن العم اصر ليكمل بانفاس مختنقة ووجه محتقن " لا ... يجب ان تعرف ، يجب ان تخبر زليخة ايضا ، انا .. انا .... هو ....العقيم .... وليست هي ! لقد كذبت ... كذبت عليها ... كذبت على .... آآآآآآآآآه ... كذبت عليها ... حرمتها من نعمة الامومة .. خدعتها طوال هذه السنوات وانا اسجنها بجانبي .. خلقت منها وحشا لتصب جام غضبها ونقمتها عليك انت ، تحت سمعي وبصري ولم احرك ساكنا.. لم افعل شيء .. كنت اعرف بحقدها على والدتك وغيرتها منها وايضا .... لم افعل شيء لادفع اذاها عنك ... كله لاني لم ارد ان ابقى بدون امرأة ! لم احتمل .... لم تكن هناك امرأة سترضى بي .. انا اسف بني ... آسف لاني فعلت بك هذا ... اسف لما فعلته بها ! "

للحظة جمد اسامة من هول ما سمع ! ألم غريب انطلق ليسري ببطئ في شرايينه ، صور متلاحقة توالت ، نائم في فراشه القذر يتلحف بغطاء رمادي ممزق يسكنه العث ، جسده يختض ليس بردا وانما رعبا ! بينما يشعر بسائل دافئ يتسرب ما بين ساقيه دون ان يفعل شيئا حيال ذلك !

فقط يتمسك بقوة بتلك الشوكة الصدئة التي اعطاها له طفل آخر من عمره كسلاح هزيل ليدافع به عن نفسه !

عاد لينظر بانشداه لوجه عمه المحتقن وقد اتسعت عيناه بنظرة متوسلة مرتعبة واختنق وجهه بالألم ... فتصرف اسامة بشكل آلي وهو يصرخ مناديا المسعفين ...

كان منتصف الليل عندما دخل الشقة ، منهكا جسديا تائها عقليا ، مستنزفا عاطفيا ، و محطم القلب الى درجة الغضب المجنون !

الانارة الخافتة تنتظره في الصالة ، تحرك نحو الاريكة الجلدية يجرجر قدميه جرا حتى وصل اليها وجلس ...

اخذ يحدق امامه بنظرات فارغة ميتة !

هذا هو حاله منذ ان اخبره عمه الحقيقة ... ترتفع مشاعره لتصل للجنون ورغبة حارقة لتحطيم كل شيء ثم تهبط تهبط شيئا فشيئا حتى يسكنه برود ويأس رهيب وكأنه ميت او يوشك ان يحصل !

هل عاش حقا كذبة الغفران لعمه ؟! طوال تلك السنوات يرعاه تحت عنوان هذا الغفران ، غفر له بينما لم يغفر لوالديه اهمالهما له !

فهل غفر لعمه حقا ؟!

ام ان الغفران بالنسبة اليه ما كان الا قشة تعلق بها ليحفظ ما تبقى من انسانيته ؟

انسانيته التي اغتيلت باغتيال طفولته ،
طفولة ومراهقة وفرحة شباب .... لم يشعر
بأيٍّ منها ، انه فقط كان يسعى ، يسير مشوارا
طويلا مضنيا ليخرج نفسه من ذلك الظلام ،
استعان بكل ما لديه من غضب الاحباطات
ليعافر وينحت الصخر حتى يثبت للجميع انه
قوي ، قوي ... قوي .....

هل هو قوي فعلا ام انه يخفي ضعفه المقيت ،
ذلك الضعف الذي يسخر منه الان وهو يقف
وحيدا باردا كما كان تلك الليلة ، اول ليلة
قضاها في الملجأ ... وما اطولها من ليلة ؟!!

" اسامة ..."

التفت نحو صوتها الرقيق الباكي ، وجدها
تقف هناك بنفس قميص النوم الذي كانت
ترتديه صباحا ، ما اغربه من يوم !! لقد
اوشك ان يمتلكها بكل عواطفه ليخطف
منه عمه حتى هذه السعادة المنقوصة !

ولتكتمل غرابة هذا اليوم اخذ يضحك
مقهقها دون توقف حتى سالت دمعة على خده
الايسر ....

لم يمسح تلك الدمعة بينما يشعر بشهد
تجلس بجانبه تحيط ظهره بذراعها تبكي
بنشيج ناعم وهي تضع رأسها على كتفه
وتقول " رحمه الله ، كان رجلا طيبا "

لم يعد يحتمل ... لم يعد يطيق كل هذا !!
دفن اسامة وجهها في كفيه وللحظة تصورته شهد سيبكي لكن .. لم يحصل شيء !

همست بألم تواسيه " ابكِ اسامة .. ابكِ .. لاتخجل من البكاء .. لاتمنعه ..."

فاجأها وهو يبعد يديه عن وجهه بعنف ليدفعها عنه وهو يصرخ فيها " اصمتي ... اصمتي ... لااريد بكاء احد ... لااريد احد .. "

ضرب قبضتيه بقوة على الاريكة وهو يعاود الصراخ بغضب عاصف " ولماذا ابكيه او ابكي غيره ؟!! يكفيه انه حصل على مسامحتي لسنوات وهو لايستحقها اصلا ! هل تعلمين كيف تجبرين نفسك على المسامحة فقط للاعتقاد انه من يحبونا ضعفاء لتكتشفي انهم في الحقيقة جبناء وانانيون !! "

جحظت عيناه وبدت نظراته شديدة الغرابة وهو يهدر بانفاس هادرة " هل تعلمين معنى ان تدعي القوة بينما انت تكادين تتجمدين من شدة الرعب ؟ الرعب ليس من الموت .. بل الرعب عندما تتمنّي الموت ولاتجدينه لينقذك ! "

شعرت بأنها لاتفهمه فنظرت اليه بحيرة وهي تمسح دموعها لتركز معه اكثر علّها تفهم هذا الألم الذي يغلفه غضب حارق تنتفض به جوارحه ..

لم تكن تتصور ردة فعله لوفاة عمه ستكون هكذا ، لا ... هناك ... امر آخر !

قالت بحشرجة " ما بك ؟ لماذا تقول هذا الان ؟ هل ما زلت تحمل على عمك لانه لم يدفع عنك اذى زوجته ؟ لقد احبك .. انت قلت لي هذا وكنت مؤمنا به .. ماذا حصل الان ؟؟ ..."

التفت نحوها وامسك كتفيها ثم اخذ يهزها ويصرخ بكلام هستيري كثير " ما حصل ؟؟ تسألين ما حصل ؟؟؟ ...اجل فأنت لاتفهمين ... لاتفهمين انه لم يحبني فعلا .. لم يحب الا نفسه ! "

شعرت بحيرة اكبر وذهنها تشتت وهي عاجزة عن التخفيف عنه ، عاد ودفعها لينظر امامه بنظرات قاسية ويقول بنبرة اقسى " كان هو العقيم ... هو العقيم ... وليس زليخة .. لقد خدعها ... خدعنا جميعا ... جعلها مجنونة بالحقد ... جعلنا تنهش بي وهو صامت ... صامت ... فقط لانه يريد امرأة ! "

شهقت وهي تحاول تفسير هذه الحقيقة وما تعنيه بالنسبة لاسامة بينما استمر اسامة في كلماته التي ازدادت ضراوة قساوتها

" لقد جعلها ترميني هناك في ذلك الملجأ الحقير فقط حتى لايغضبها ويدفعها لتركه ، لم يحتمل ان يظل بدون امرأة في حياته ، جعلني ادفع ثمن نذالته معها !.... "

وضعت يدها على فمها وهي ترتعش بينما شعرت بجسد اسامة يتشنج وهو يقول بصوت مخنوق " لقد كنت مجرد طفل .. طفل مرتعب ينام في مكان موحش غريب "

ازداد صوته اختناقا وهو يقول " لاسابيع... اسابيع ظللت ادعو اللّه ان يأتي عمي ويأخذني ، لم ايأس ليلة من الدعاء ... لم اكن ... لم اكن الا طفل وحيد ضعيف البنية اواجه عالما بشعا لم اعرف حتى بوجوده .. مجرد طفل في الثانية عشرة ... يا الهي ... ما هذا الألم ..."

اخذت تبكي بحرقة بينما احنى اسامة رأسه لتشعر بتشنجات جسده تزداد وكأنه يقاوم ألم تلك الذكريات المريعة ... انه وحيد حتى في مقاومته لهذا الالم .. !

لم تشعر بنفسها الا وهي تجلس على الارض امامه لتلف ذراعيها حول جذعه تضمه اليها بكل ما اوتيت من قوة ، تغرق وجهها في عنقه تهمس برقة وحنان متدفق " انا اسفة .. اسفة لانك عانيت هكذا .. اسفة لان الحياة قست عليك لهذه الدرجة ... اسفة لخذلان الجميع لك "

اخذ يتمتم وهو يحاول ابعادها " اتركيني شهد ...."

لكنها لم تفعل ... بل تمسكت به اكثر وهي تهمس بعاطفة فياضة " فقط دعني احتضنك .. دعني اريحك قليلا ... "

جسده ما زال متشنجا ورافضا لاقترابها الحميم هذا ، لكنها لم تيأس ...

رفعت وجهها اليه ثم أخذت تقبل ذقنه ورقبته وهي تهمس " انا هنا لاجلك ... فقط لا... لاتبعدني اسامة .. "

للحظة قلقة ظنته سيدفعها بقوة لكن بدلا من ذلك شعرت به يلف ذراعيه حولها وجسده يسترخي شيئا فشيئا بينما هي ما زالت تقبله بعاطفتها الحارة ، جعلته يستسلم لها بل واخذ يقبلها هو الاخر مغرقا نفسه بين طيات شعرها لينتهيا في خضم عاطفة اقوى من العاطفة التي جمعتهما صباحا !

عاطفة عطشى لتعبر عن نفسها ، لتتحرر وتحرر اصحابها ....

همس اسمها بانفاس حارة بينما يداه تتحركان بقلة صبر على قميص نومها ، لم يحتمل اكثر فرفعها بينما ذراعيه وهي تتعلق برقبته ، لحظات ووجدت نفسها على سريره وهي تنظر لوجهه الغارق في الظلمة وجسدها يرتعش باستسلام ...

الفصل الثالث عشر

نسوة متشحات بالسواد كسواد الآثام التي يكتسبنها وهن يخضن في اخبارِ و اسرارِ اغلبها ملفقة وبعضها مستنبطة من خيالاتهن المريضة التي تبحث عن الفضائح ، وخلال ذلك لاينسين بين الفينة والاخرى التباكي على الفقيد الذي يحضرن عزاءه لليوم الثالث على التوالي !

ودوما نفس المشهد يتكرر بنفس النسوة وهن يتحلّقن حول ام سعيد التي توسطتهن بجلسة واثقة مصطنعة الهيبة والمعرفة فبدت كمشعوذة محترفة تقرأ لهن ما خفي عليهن من (طالع) ضحاياهن !

تارة يحدقن بنجوى وهي تجلس بشموخ بجانب السيدة جنان ذات الوجه الصبوح الهادئ فيشهقن في تعجب مصطنع مسموع على تغير الاحوال ويعاودن التكهن بهمس قبيح بما يحصل في بيت الشيخ يحيى من العجائب ! فتدحرهن نجوى وهي ترمقهن باستهانة ثم تلتفت نحو نساء اخريات حضرن فعلا للمواساة فتحدثهن عن حلمها بانشاء مشغل لخياطة الملابس .

فتعبس ام سعيد وتعبس بعدها باقي النسوة اللائي على شاكلتها ليحولن اهتمامهن لضحية جديدة !

وتكون هي شهد اقرب المختارات نظرا لجلوسها قرب نجوى وجنان......

فيتطلعْن اليها بغيظ ويمصمِصْنَ شفاههن حسرة على بناتهن اللواتي كُنَّ اولى برجل كاسامة ، شاب وسيم مقتدر ماديا حتى وان كان منبوذا في صغره !

فتكتفي شهد بقناع اللامبالاة تخفي خلفه ما يعتمل في نفسها من مشاعر مختلطة ...

ييأسْنَ منها ! فيعاودن باهتمامهن لبطلة الاحداث الحالية .... زليخة ... زليخة التي كانت دوما احداهن لتصبح اليوم احدى ضحاياهن !

يبحقلْن فيها بلهاث قميء ، يراقبْن انهيارها الصامت وهي تحدق امامها بجمود غير مفهوم !

يتمتمن بكلمات تبدو في ظاهرها حزن على حالها لكنها تبطن الاستمتاع بتكهناتهن حول ما سيحصل لها بعد ان توفي زوجها وانسحاب اسامة من دعمه لها .... الدعم الذي كانت زليخة دوما تنكره والكل يعرف حقيقته ..

اسامة ... اغمضت شهد عينيها تحارب هذا المشاعر المختلطة التي تراوحت بين انتفاضة جذلى لانوثتها التي تفتحت لاول مرة بين ذراعيه وهو يبثها العاطفة تلك الليلة وبين الشعور بالخزي لما اقدمت عليه ...

هل حقا اغوته ؟!! انها لاتصدق كيف فعلت هذا بطبيعية وكأنها امرأة محنكة !

لم تكن يوما هكذا ، لم تدرك انها ممكن ان تكون هكذا !!

لم تعرف قبل اسامة الا رجلين في حياتها ، احمد وعدنان .. علاقتها بأحمد كانت دوما رومانسية ناعمة حالمة ، اما مع عدنان فكانت علاقة جسدية مشوهة ، ففي كل مرة كان يعاشرها فيها تشعر بانتقاص انوثتها بدلا من ان تشعر باكتمالها !

هذا الاكتمال لم تشعر به الا مع اسامة ، بل لم تكن تعرف بوجود اكتمال كهذا الا بعد تلك الليلة ، لم تظن يوما ان علاقة جسدية ممكن ان تكون فيضا متدفقا من الحنان الخالص والعاطفة المتعطشة للاحتضان ، لقد ذابا وتمازجا روحا بروح لتمتزج آلامهما وتتلاشى في بعضها البعض ، على الاقل هذا ما شعرته هي .. ما شعرته فيما يخصها وما شعرته فيما منحته اياه ، لكن ... اتى الصباح لتجد البرودة تلامسها كبرودة مكان اسامة الفارغ !

لقد غادر اسامة سريره قبل استيقاظها تاركا اياها بمفردها هناك تعاني خزيها وخجلها وهي تتذكر تفاصيل ما حصل بينهما !

وجدت ملاحظة اكثر برودا على ورقة بيضاء كتب فيها (انا ذاهب للتحضير للدفن والعزاء ، ساتصل بك لاحقا)

هكذا ... فقط !

وغاب طوال النهار ثم اتاها وقت العصر ليقول بكلمات شابهت ملاحظته برودا انه اتى لاصطحابها للعزاء ، ورافقته ... صمت خانق غاب فيها تلاقي النظرات وتمازج الانفاس !

ثلاثة ايام مرت وهو على هذه الحال ، برود غريب قاتل ونأي بالروح قبل الجسد !

هل اخطأت ؟! هل اساءت اليه ؟ هل جعلته يشعر بالتورط لانه لم يكن يخطط اصلا لاي علاقة زوجية حقيقية معها !

لكن ... اليس هو اول من هاجم مشاعرها بعواطف هوجاء ذلك الصباح ؟ ألم يقل لها لم اعد احتمل حاجتي المميتة اليك ؟!! ماذا يعني هذا ؟ هل هي حاجة جسدية فقط ؟ هل كان يشتهيها كأنثى .. انثى تحل له شرعا وقانونا .. ام كان يشتاق لتحقيق حلم الحصول عليها وهو شاب يافع ؟!

عقدت حاجبيها قليلا وهي تفكر بتلك الايام الماضية قبل سنوات....

لماذا لم تكن تراه ؟! لماذا لم تره كعاشق متيم يحوم حولها كما رأته نجوى وادركه مؤيد ليتخذه سلاحا ساديا ضده ..

" شهد انا ساغادر..."

رفعت شهد عينيها نحو اختها نجوى وقد وجدتها تقف امامها على وشك مرافقة جنان لتغادرا معا ، قالت شهد بدون تفكير " هل آتي معك ؟!"

دهشة مرّت على وجه نجوى تلاه عبوس وهي تحاول قراءة ملامح اختها الصغرى التائهة ،

همست نجوى وهي تميل لتقبل خدها " انا دائما موجودة متى اردت ان تأتي الي فعلا .."

ابتلعت شهد ريقها وخنقتها العبرة فقبلت اختها وودعتها بابتسامة مرتعشة ونظرات ممتنة ..

" شهد اذهبي وانتظريني في السيارة لو سمحتِ .."

امر بارد منه دون ان ينظر نحوها ، تلقته بهدوء وهي تبتعد عنه لتتركه عند الباب الخارجي لبيت عمه يقف مع .. زليخة ...

لم تستطع مقاومة النظر اليهما ما ان جلست على مقعدها في السيارة ، زليخة تطأطأ رأسها في ذل تسبل ذراعيها جانبا في استسلام بينما اسامة يقف امامها بهيئة باردة يضع كلتيّ يديه في جيبي بنطاله .

رأته وقد بدأ الكلام وزليخة تهز رأسها ثم فجأة ... انهارت زليخة في البكاء !

لم تفهم ما يحصل واسامة يكتفي بوقفته الباردة المسيطرة ينظر اليها دون ان يبدي اي انفعال !

ثم وبكل هدوء التفت جانبا لتلتق عيناه مع عينيها !

للحظة تجمد وشهد تشعر بخفقان قلبها يكاد يخنقها .. ثم استعاد سيطرته ليرميها بنظرة باردة قبل ان يتمتم بشيء لزليخة فيتركها خلفه باكية منكسة الرأس ..

ركب السيارة الى جانبها بينما عينا شهد لم تفارقا الباب الحديدي الصدأ الذي اغلقته زليخة قبل لحظات لتختفي في الظلمة خلفه ..

ماذا يحدث ؟ هل اخبرها اسامة بالحقيقة ؟!!

ام اخبرها انه لن يدعمها ماديا بعد وفاة عمه ؟!

التفت نحو اسامة بحدة والكلمات تكاد تتسابق على شفتيها لكن بروده وهو يتطلع للامام مركزا على الطريق جعلتها تخرس ..

تتحرك ذهابا وايابا في غرفتها منذ ما يقارب الساعتين ، لم تستطع النوم ، لاتعرف كيف تكلمه وقد احتجب عنها كالعادة في غرفته ما ان وصلا الشقة ، عضت شفتها السفلى وهي تستشعر الظلم الرهيب لكل ما يحدث .. يجب عليها ان تكلمه ... يجب ...

لم تشعر بنفسها الا وهي تقف على اعتاب باب غرفته المغلق لتطرقه بثقة مهزوزة ،

مرت لحظات طويلة لاتسمع فيها الا صوت انفاسها المضطربة ثم ... صوته الاجش " ادخلي "

فتحت الباب على مهل وشجاعتها بدأت بالتراجع شيئا فشيئا ...

عيناها مسحتا الغرفة التي سادتها انارة خافتة من مصباح عمودي انيق في احدى زواياها ، وجدته يقف عند شباك الغرفة الواسع ذو الاطلالة المميزة ، لم يغير ملابسه السوداء لكن عينيها التقطتا منظر قميصه المفتوح ليكشف عن صدره ، احرجت قليلا وهي تحيد بنظراتها جانبا وتقول " اسفة .. اذا ازعجت .. خلوتك "

ضحكته الخافتة كانت بلا روح وهو يقول بسخرية باردة " حياؤك الذي يمنعك النظر الي متأخر بعض الشيء الا توافقيني الرأي ؟!"

احمرت بشدة من اشارته الواضحة لما حصل بينهما قبل ثلاثة ليالٍ ..

تجاهلت ما قاله باصرار والتفتت لتنظر لوجهه مباشرة وهي تقول بما استطاعت من الهدوء

" اسامة ماذا قلت لخالتي زليخة ؟"

قهقه ضاحكا بقساوة ثم قال بسخرية لاذعة وهو يتقدم نحوها " خالتكِ زليخة ؟!! ما اروعك وانت تلتزمين بحدود الادب !"

ارتبكت من نظراته الحادة المستهينة لكنها امسكت بتلابيب بعض الشجاعة الهاربة لتقول بتلعثم " ارجوك اخبرني ... هل ... "

خانتها الكلمات ... اخذت نفسا وابتلعت ريقها وهي تسأله بصراحة " هل اخبرتها ؟؟"

عيناه لمعتا بشدة فبدتا كعيني هر شرس ليقول بحدة " هل ترينني انزل لهذا المستوى الوضيع من الانتقام ؟"

تراجعت نصف خطوة وهي تمتمت " لا .. اقصد .. ولكن ..."

هدر بصوت انفعالي " لكنك فكرتِ انني سانتقم من عمي لافضح كذبه لسنوات طوال امام الناس وانتقم من امرأة تقارب الستين لاخبرها انها ليست عاقر كما خدعها زوجها المتوفي طوال حياتهما معا "

شعرت انه يسترهبها ! عبست وهي مصرة على عدم التراجع الان لتسأله دون رادع " اذن ما الذي جعلها تبكي بانهيار هكذا ؟ انها حتى لم تكن طبيعية خلال العزاء "

هدأت ملامحه ليسبل اهدابه وهو يقول بصوت ميت " لم تكن طبيعية لانها ببساطة تشعر بالرعب من وحدتها القادمة ! يبدو ان الوحدة آفة تسكن ذلك البيت والكل يرهبها بجنون "!

اختنقت وهي تسأله بأسى واضطراب عاطفي " لم تخبرني ... لماذا بكت ؟ هل ستمتنع عن دعمها ؟ هل ستتركها تعاني شظف العيش ؟"

رفع اهدابة لينظر اليها وهو يبتسم ابتسامة جانبية تنضح مرارة ليقول ساخرا " كم افكارك عني مبهرة !" ثم رمقها من الاعلى الى الاسفل قبل ان يقول بثبات " لقد اخبرتها انها سترتاح من زياراتي المكروهة ولكن الراتب الشهري سيصلها كما لو كان عمي موجودا ..."

كاد قلبها ينفجر فرحا وشعورا اخر عميق نحوه ، ترقرقت عيناها بالدموع وهي تنظر اليه بتلك الطريقة دون ان تخفي سعادتها وفخرها به .

همس بحدة " اياكِ ان تنظري الي هكذا "

لم تهتم بتعقيداته الان لتقول بنبرة تعكس احساسها " انه رائع منك انك لاتنوي الانتقام "

ادار راسه جانبا وهو يرفع يده ليمرر اصابعه بين خصلات شعره ويقول بنبرة غامضة " لم يعد للانتقام مذاق مؤثر في فمي ، لم يعد يثيرني الانتقام من زليخة او عمي او ... "

توقف قليلا وهو يعيد النظر اليها ليكمل متهكما " او ... مؤيد حتى .... هل تتصورين مدى سعة قلبي ؟!!"

غامت عيناها وهي تقول بتأثر نابع من القلب " انا آسفة لكل ما فعله بك اخي ..انا..."

صمتت قليلا ثم اكملت وهي تواري عينيها منه " انا اسفة من قلبي ... كنت دوما اعتبرك شابا رائعا مكافحا وتقاوم ظروفك الصعبة بشجاعة ..."

همس بحشرجة " ابن الحي المنبوذ ! "

رفعت رأسها اليه لتقول بانفعال عاطفي " لا ... هذا غير صحيح ، لم انظر اليك يوما هكذا بالعكس كنت اشفق على ..."

شراسة نظراته اخرستها ليقول بصوت قاس " كما اشفقت علي ليلة وفاة عمي ؟!"

تخضبت وجنتاها وغزتها الحرارة فهمست بأسمه عاتبة " اسامة !"

اقترب جدا منها وهو يقول من بين اسنانه بشراسة متزايدة " ماذا ؟! لقد استحققت الشفقة بلامنازع تلك الليلة .."

توسلت اليه قائلة " لاتقل مثل هذا الكلام "

شهقت وهو يمسك جسدها بقوة ويدفعها نحو الباب فانغلق خلفها ليسندها عليه وهو يهمس امام وجهها بلا رحمة " ما رأيك ؟ الا استحق الليلة ان تبثيني بعضا من شفقتك المميزة ؟ يبدو انك ماهرة في ذلك .."

دون ان ينتظر ردها مال برأسه ليقبل عنقها بحرارة بينما هي تقاوم مشاعرها وتهمس " لاتفعل اسامة ... ليس هكذا ارجوك .."

فجأة رفع رأسه لينظر لعينيها مباشرة وهو يقول بغيرة وحشية " كيف كنت تبثين عدنان عاطفتك ؟ هل كنت تشفقين عليه بنفس الطريقة "

ارتعشت شفتاها وشعرت بالألم ينهش في قلبها وروحها ... رفعت ذقنها قليلا وهي تقول بعينين مجروحتين " عدنان لم يكن يوما يريد مني اي عاطفة ! كان يكفيه الجسد مستغنيا عن الروح ، مجرد جسد امرأة يفرغ فيها حاجاته الحيوانية دون اي اعتبار لها ، مجرد جارية دفع ثمنها لاخيها لتؤدي هذه المهمة دون ان تطالبه بشيء "

للحظة غامت عيناه ... تلك العينين المرتبكتين اثارتاها فهمست " هل تصدمك اعترافاتي ؟! هل اثير شفقتك الان كما اثرتها وانت تلتقطني ليلة عرسي على العريس او يوم اقتحمت شقة السيدة جهينة لتجد مؤيد يجلدني بحزامه ؟ "

اتسعت عيناه قليلا وبدى وكأنه صدم بتعبيرها عن الشفقة فقال بصوت اجش " يا لنا من ثنائي ؟! ما رأيك ان نتبادل تعاطي الشفقة ؟ فيبدو ان كلينا يستحقها ...."

وانهال على شفتيها وهي بادلته العاطفة بشوق غريب ! كانت تعرف ... تعرف وتؤمن ان هذا ليس تبادلا للشفقة وانما اندماج فريد من نوعه !

نظر اليها وهي تنام بشكل جانبي تتململ من حصار ذراعيه وهو لايبال ! لايبال لانه ليس على استعداد لافلاتها الان ، لكن الندم يتسلل اليه شيئا فشيئا ، يقاوم ظلمة الليل التي تخفيه ، ليل قارب على الانتهاء ، وعند الصباح سيتآكله هذا الندم لفعلته .. لضعفه ، لكن الندم هذه المرة سيكون مضاعفا ! ففي المرة الاولى على الاقل يستطيع ان يقنع نفسه بأنه كان في وضع غير طبيعي واحتاج بشدة للمواساة ، اما هه المرة فما المبرر الذي سيقنع به نفسه ؟!!!

تململت مرة اخرى فعبس وهو يشدد ذراعيه حولها ، ليلة واحدة معها جعلته يحفظ اسرار نومها ، تحب التحرك كثيرا ، تتقلب يمينا ويسارا لكن بهدوء شديد فلا تزعج من يجاورها بالنوم ،

واحيانا تحب الاقتراب وكأنها طفلة تبحث عن رائحة امها لتطمئن بها !

عاد يحدق في ملامح وجهها كما فعل تلك الليلة ، رموشها طويلة وكثيفة شديدة السواد ، شفتاها الناعمتان متراخيتان وتطلقان التنهدات بين الفينة والاخرى ، اغمض عينيه وهو يشتم ثم همس بوعد " هذه اخر مرة ، لن افعلها مرة اخرى ، هي لاتملك علي سلطانا !

لن ارضَ ان استكين لضعفي نحوها وارضى
بمجرد شفقة ... شفقة وشعور بالامتنان
لااكثر ...."

تنهد بأسى ثم قال في سره بيأس " شفقة ...
امتنان .... وماذا بعد ؟؟ من تخدع يا اسامة ؟
لقد اصبحت تسري في دمك ... شفقة ام لا ...
انت تحبها بجنون تعشقها حتى وهي تشفق
عليك ! "

عاد ليحدق فيها باضطراب ومشاعره تخنقه ،
ابتسمت ! فذاب قلبه ثم عبس ! افكاره حادت
نحو مناطق خطرة " اذن ما الذي تنتظره يا
اسامة ؟ لماذا لاتقدم على انتزاع قلبها كما
انتزعت قلبك ؟ لم تهب يوما ان تقدم على

اصعب الخطوات واكثرها مجازفة اذن لماذا
لاتفعل الشيء نفسه مع شهد بدلا من ان ترضى
بفتات مشاعرها الذي تستجديه منها رغما
عنك ، هل تخشى خسارة حتى الفتات ؟

ام انك تخشى التحطم؟ تخشى رؤية ظل
حبيبها احمد ؟ انعكاس حبها له في عينيها
الجميلتين ... يا الهي ... لماذا لاتستطيع
تجاوزه ؟ لماذا لاتستطيع نسيانه ؟!! ما الذي
منحه لها لتتمسك بحبه هكذا ؟!!"

عادت لتململها الحانق فانكشف عنها الغطاء ،
اتسعت عيناه وهو يحدق فيها ليهمس باختناق
" الليل لم ينجل وشمس الحقيقة لم تشرق بعد
لتكشف بوضوح عن معالم وجه الندم ... آآه
يا شهدي ويا مرّي !"

دون تماهل مال نحوها ليوقظها بقبلات متطلبة
لاتعرف اليأس ولا تعرف الصبر !

" الى اين تذهبين ؟"

التفتت سهر نحو امها ويدها ما زالت تمسك
مقبض باب الشقة ثم قالت بثبات

" انا خارجة "

عبست الام وهي تنظر لملبس ابنتها الانيق
وزينة وجهها التي لاتليق بالصباح والتي حاولت
بها اخفاء اثار البكاء الذي استمر لايام !

قالت الام وهي تتقدم نحوها " الى اين
ستذهبين متأنقة هكذا ؟! "

ثم التقطت عيناها الكيس الكبير الذي
تحمله ابنتها وتحاول عبثا اخفاءه خلف
جسدها لتضيف الام بعبوس اكبر

" وما هذا الكيس الذي تحملينه ؟ اخبريني
الان .. الى اين تنوين الذهاب ؟؟"

رفعت سهر ذقنها لتقول بشموخ رغم ارتجاف صوتها " اعيد اليه هداياه ، لااريد شيئا منه يذكرني به "

واجهتها الام بقسوة رغم ان قلبها يتمزق من اجلها " هل جننت لتذهبي لرجل متزوج تعيدي اليه هداياه !! كيف ترضين لنفسك هذه الاهانة ؟! لماذا لاتستطيعين نسيان كل ما حصل ؟ انت لست اول بنت تفسخ خطبتها "

ردت سهر بتمزق غاضب " لا لست اول بنت ولكن هل تدركين سرعة ارتباطه بتلك المرأة ماذا يعني لي ؟ ماذا يعني للناس الذين يشكلون محيطنا الاجتماعي ؟ لقد امتنعت عن الخروج لايام بسبب شعوري بالخزي !"

ردت الام وقد لانت ملامحها " هو الخاسر بنيتي والكل يعرف من انت ، دعيه يتزوج من يريد وانت تعرفين انّ الكثيرين سعدوا لفسخ خطبتك على امل نيل رضاكِ "

شهقت سهر وهي تفتح الباب قائلة باختناق " ليس قبل ان ارد كرامتي ، ليس قبل ان اريه انه لم يعن لي شيئا ..."

وقبل ان تتدارك الام الموقف كانت ابنتها قد خرجت وصفقت الباب خلفها !

رمشت بعينيها تقاوم اشعة الشمس التي تدغدغ جفنيها ، ابتسامة ذائبة على شفتيها ورفرفة تحوم حول قلبها ، لم ينْتَبْها شعور الاستغراب لوجودها في غرفته ، انها تشعر باحساس الانتماء الى كل ما يخصه ، لانها تشعر بالانتماء له هو ....

تبسّمت وهي ترفع جذعها بميوعة وتتمطى بكسل ، حادت نظراتها ناحية الفراغ بجانبها على السرير ، الفراغ الذي كان يشغله قبل ساعتين لااكثر ، يظن انها لم تشعر بتلك القبلة التي سرقها من شفتيها قبل ان يخرج ، لقد ادعت النوم بمهارة ! لاتعرف لمَ انبأها حدسها ان الصباح سيعيده لمزاجه السيء !

وكانت محقة .... حتى وهو يسرق تلك القبلة كان ينفث لهب الغضب ، بعد ان خرج فتحت عينيها وغرقت في التفكير ، تذكرت كل تفصيلة وهو يبثها العاطفة ، كل لمسة كل قبلة كل تأوه حارق وهو يهمس باسمها ، انه يحب اسمها .. يحب تكراره وهو في اوج عاطفته ، احيانا كانت تشعر ان هناك كلمات تخنقه لكنه يسجنها بعناد !

لايمكن ان يمنحها كل هذا الفيض من المشاعر دون ان يحمل لها عاطفة قوية ، قد لاتكون حبا واضحا ولكنها تبقى عاطفة لها قيمتها المميزة ،

لاتعلم لماذا تذكرته عندما كان في العشرينات ، تلتقيه احيانا عند ذهابها للمدرسة ، كان يصبح عليها بملامح مترددة فتبتسم له وترد تحيته فيتألق وجهه بشْرا فتسعدها رؤية ملامحه العابسة دوما وقد لانت بابتسامتها له .

فكرت شهد انه كان يبحث عن الالفة ، يحتاج من يعامله باهتمام ، من ... يحبه ، وهنا اوصلتها افكارها لمنحى اخر حرك حنانها نحوه ، اسامة لم يعتد على تلقي الحب وربما يستغربه ولايفهمه وما حدث مع عمه واكتشافه لتلك الحقيقة المريعة جعله غاضبا ومشوشا ، هي ايضا تشعر بالتشوش ببعض الارتباك مما تشعره نحوه ، لكنها متيقنة من امر واحد ، ان مشاعرها نحو اسامة لم تشعر بمثلها من قبل ، تريد قربه وتهفو لابتسامته ، تحب رائحته وتطمئن بوجوده ، كم تتمنى ان تسعده ان تمنحه ... الحب !

وعلى هذه الفكرة غفت مرة اخرى ولم تصحو الا الان ...

تطلعت نحو الساعة الجدارية فوجدتها تشير الى العاشرة صباحا ، ابتسمت بحنو وهي تقرر في نفسها امرا ...

نظرت جنان نحو نجوى ببعض الفضول ، انهما تجلسان حول مائدة الافطار الصغيرة في المطبخ منذ نصف ساعة وقد بدت نجوى ساهمة ولم تأكل الا القليل وحتى فنجان قهوتها لم تتمه !

مضى عليها بضعة ايام وهي بهذه الحالة ! تسرح بعيدا لكنّ عينيها كانتا تتوقدان بشعلة ملفتة ومبهرة ، بدت كمن يستغرق في تفكير عميق او كمن يخطط لامر مهم .

لم تعد تستطيع ادعاء الصبر وتنتظرها تفصح عن افكارها من نفسها ولذلك قالت لها بعبوس محبب " اخبريني عما يشغلك ، لم اعد استطيع الانتظار اكثر من ذلك !!"

ابتسمت نجوى وهي تنظر لوجه جنان المليح بحمرته الطبيعية ثم قالت بغموض تغيظها " دوما تفتقدين الصبر عزيزتي "

كزّت جنان على اسنانها غيظا وهي تقول " لاتلعبي معي هذه اللعبة وتحاولي اثارة حنقي حتى لاالح عليك بالسؤال ، اخبريني الان ماذا يدور في عقلك ؟ انت تخططين لامر ما "

ضحكت نجوى من قلبها وهي تقول من بين ضحكاتها " تقولين هذا وكأني اخطط للاستيلاء على بنك !" ثم غمزت لها وهي تضيف " مع اني قد احتاج للاستيلاء على بنك "

ردت جنان باستهجان " اعوذ بالله !"

ضحكت نجوى مرة اخرى ثم قالت وهي تتنهد " لاعليك عزيزتي ، انها مجرد افكار حول حلم اود تحقيقه "

تحفزت جنان وهي تسأل بلهفة " ماذا ؟ ماذا؟ اخبريني "

شردت عينا نجوى وهي تقول بهدوء " احلم ان اقيم مشغلا للخياطة ، وفيه جزء لتعليم الفتيات هذه المهنة ، انه اقرب للمعهد باسعار رمزية وبنفس الوقت هو مشغل ينتج الملابس "

للحظات صمتت جنان ثم قالت بحنان " لماذا تجعلينه يبدو وكأنه حلم بعيد المنال ؟"

ضحكت نجوى باستهانة وهي تقول " الا تدركين صعوبة الامر يا جنان ؟! انه يحتاج للمال ، لكثير من المال ، مقر للمشغل وتجهيز لمكائن خياطة ولوازمها واشياء كثيرة لاتعد ولاتحصى "

مدت جنان يدها عبر المائدة لتربت على يد نجوى وهي تقول بلطف وبشاشة " الاحلام نبدأها صغيرة ثم تكبر شيئا فشيئا ...هذه متعة تحقيقها ان نراها تكبر امامنا ، وانا لدي فكرة بسيطة قد تكون نواة صغيرة لكنها بأمر الله ستنمو وتطرح البركة "

رفعت نجوى حاجبيها قليلا وسألت باهتمام " ما هي فكرتك ؟"

ردت جنان بنفس الوجه البشوش " ساخبرك ولكن اولا اعدي لي فنجان قهوة فلا احد مثلك يجيد اعدادها "

ضحكت نجوى وهي تقف على قدميها قائلة " لا ... اختي شهد تعدها افضل مني وامنا رحمها اللّه كانت افضل منا نحن الاثنتين "

انه غير قادر على التركيز في شيء ومزاجه سيء لابعد حد ، لايطيق كل هذا التشوش ، لايطيق توتره وقلقه الغير مبررين ، لايطيق ... لايطيق ... انه ... مجبر على الابتعاد عنها !

تأوه هامسا بحرقة " يا الهي .... لااريد "

تحرك مبتعدا عن كرسيه وهو يرخي قليلا من عقدة ربطة عنقه ، اخذ يتحرك في محيط غرفة مكتبه وهو يمرر يده في شعره .

الافكار تعذبه ، لقد اطل الصباح وانكشف وجه الندم وكان ... بشعا .. نهما لافتراس رباطة جأشه .. وليس الندم فحسب بل امتد لشعور بالخزي من اهانة النفس وجرح الرجولة وتحطيم الكبرياء ، لقد اقسم يوما انه لن يدع احدا مهما كان ان يذله ويهينه ، وها هو وبكل غباء يهين نفسه بنفسه ، يعاشر امرأة تهفو روحه لروحها فلا يجدها فيرتضي بتلك العاطفة الجسدية كأحمق مستجدٍ للحب !

انحنى امام مكتبه ليرتكز بكفيه على الحافة الملتمعة ،

يتمنى لو كان لديه الجرأة ليحطم كل شيء حوله علّه يخفف من هذا الغضب ، ان يقمع تلك الثورة التي تمردت عليه لتتشكل في جموع لاترحم ترميه بكل النعوت (غبي .. ضعيف ... بلا كرامة ... تستحق الشفقة التي تستجديها منها !)

نقر على الباب جعله يعود من ثوراته وجموح مشاعره ، اخذ نفسا قبل ان يقول بهدوء مصطنع " نعم ؟"

اطلت سكرتيرته وقد بدى على وجهها سمات الارتباك ، ظلت تمتمت " سيد اسامة ... سيد ... اسامة ...."

تحامل اسامة على نفسه وهو يسألها بصبر " هل هناك شيء ؟"

ردت الفتاة وهي تتجنب النظر اليه مباشرة " الانسة ... الانسة سه...سهر .. تصر على رؤيتك ... الان .. اخبرتها انك مشغول ولاتستطيع رؤية احد لكنها ... اصرت ، قالت ... انها لن تأخذ الا بضع .. دقائق من وقتك .. "

عقد اسامة حاجبيه ! وشعور بالعجب يرواده !
ما الذي تريده سهر منه ؟ ولماذا جاءت اليوم ؟
هل يعقل انها تريد تعزيته بوفاة عمه ؟؟ لكن
سهر التي يعرفها لاتفعل هذا ، على الاقل
لاتأتي الشركة لتعزيه ...

الكل هنا تناقل الاخبار حول ما حصل ، سهر
خطيبته السابقة التي تركها من اجل
الموظفة شهد ، ولذلك فآخر ما توقعه ان
تأتي سهر بنفسها لمقر شركته وتعرض نفسها
لاعين وهمسات موظفيه !

قال اسامة اخيرا وهو محتفظ بهيئته الصارمة
" ادخليها ..."

بعد لحظات دخلت سهر بذقن مرفوع وهيئة
باردة متماسكة ، رغم جمالها الواضح لكنها
بدت مختلفة ، انطفأ شيء فيها مما اثقل عليه
واشعره بضيق اكبر .

قالت بصوت بارد " مرحبا " رد لها التحية
بهدوء " مرحبا سهر ..."

خطوتان تفصلهما عن بعض ، يقفان احدهما
مقابل الاخر يتطلعان لبعض بمشاعر مختلفة !

هو ينظر اليها بعجب لماذا لم يحبها هي ؟!
وهي تنظر اليه بألم تضمه بين جنباتها
وتتساءل بحرقة لماذا لم تحبني أنا ؟!!
لا هو قالها... ولا هي اظهرت حرقة قلبها !

و بدلا من هذا رمت عند قدميه الكيس
الكبير الذي كانت تحمله ثم قالت بحقد"
خذ هداياك لي فربما ستنفع عروسك
ولاتكلفك مزيدا من المال ، فامرأة مثلها
لاتستحق الا ان تحظى بهدايا لم تكن لها
كما حظيت برجل ليس لها .. "

رغم انه في اعماقه مدرك لمبلغ الألم الذي
تشعر به وانه هو من تسبب فيه الا انه لم
يستطع ان يتمالك نفسه فقال بصوت بارد في
نبراته حاد في معانيه " عروسي حظيت برجل
دوما كان لها ومؤكد ستحظى بهدايا خاصة
بها وحدها لانها لن تليق بغيرها "

لايعرف من اين خرجت هذه الكلمات ؟!!!
لايصدق انه قال ما قاله للتو وبكل هذه
البساطة وبكل تلك الضراوة ! حتى شحوب
سهر لم يجعله يستيقظ من حقيقة ما قاله ،
هل حقا هو دوما كان لشهد ؟ هل حرمانه منها
كل تلك السنوات امده برد فعل عكسي ؟
مزيدا من التمسك بها الى درجة ... الى درجة
ينزل من قدر نفسه ويتذلل لعشقه لها ،
بوجودها وبغيابها هكذا ؟؟

تقطعت انفاسه وروحه الأبية تنتفض لتقاتل
هذه العاطفة المضنية التي تمتصه ، تمتص
روحه ورجولته وكبرياءه ، فليُلعن العشق ما
دام لن يحظى بها كما يريد ،

لن يكون رجلا وهو يعاشر امرأة قلبها ما زال معلقا برجل آخر ، انه لايريد استجابتها الانثوية التي لم يعرف زوجها الحقير كيف يحصل عليها ، انه لايريد خداع نفسه بالمزيد من الاكاذيب ، ليس بعد ما حصل مع عمه ، لن يعيش في الاحلام ويتوهم يوما انه قادر على تحويل تلك الاستجابة الغريزية لشيء اخر اعمق واقوى ، لن يحتمل التحطم عندما لن يرَ العشق في عينيها ... عشق بحث عنه في ظلمة الليل فلم يجده ليرتوي ...

صوت سهر جاء مجروحا مثخنا بالنقمة محملا برائحة الرغبة بالانتقام " لن تهنأ ابدا يا اسامة ، ساتحين الفرص وساقتنص اللحظة التي ارد فيها لك بعض الالم الذي تسببت به لي "

ثم خرجت بخطوات ثابتة لكنها تبث الغضب حولها بينما اسامة يعيش غضبا من نوع آخر وذكرى قبلته الصباحية لشفتيها تؤجج نقمته على نفسه اكثر ! قبلة لم يستطع منع نفسه من سرقتها وهو يقنع نفسه انها نائمة ولن تدرك غباء لهفته اليها ....

كانت شهد تنظر لملابسها بعبوس ! ألم تكن غبية كفاية لاختيار لونين غير متجانسين كهذين اللونين ؟!!

انه دوما انيق وها هي تحضر للشركة لاول مرة بعد زواجهما وهي بمثل هذه الملابس التي تفتقر لحسن الذوق والاختيار .

عندما فتح المصعد على الطابق السادس اخذت عدة انفاس قبل ان تجرؤ على مغادرته ، العيون اخذت تتطلع اليها وهمهمات لاحقتها ، البعض بارك لها باحترام

" مبروك سيدة شهد "

بينما البعض كان يبارك ولمحة من تسلية تتراقص في نظراته وهو ينقلها بينها وبين الجهة التي يقع فيها مكتب اسامة .

شعرت بالتوتر وبعض التوجس ، دخلت المكتب حيث تجلس السكرتيرة التي كانت تتطلع ناحية باب مكتب اسامة الموارب وقد بدت متوترة اكثر منها !

كانت شهد على وشك اصدار صوت ما لتتنبه السكرتيرة لوجودها عندما فتح باب مكتب اسامة لتفاجأ بهيئة تلك الفتاة الفاتنة الانيقة وهي تخرج بخطوات غاضبة ، لكن ما ان لمحتها حتى ابطأت خطواتها وتوهجت عيناها الخضراوان كالاحجار الكريمة لتقول باستعلاء " مرحبا بالسيدة شهد ، تركت لك بعض اغراضي القديمة عند زوجك ولا تخافي فلم استخدمها الا قليلا !"

كان رؤية سهر صدمة ! وكلامها كان مهينا بطريقة الجمت لسانها للحظة وعندما تماسكت لتحاول ان ترد كانت سهر تمر بها مغادرة وهي تهمس بسخرية " عليك الاهتمام بملبسك اكثر فاسامة يعشق الاناقة "

احمرت شهد بشدة بينما صوت اسامة اتاها غاضبا من عند الباب " شهد تعالي ادخلي !"

كل تفاؤلها الصباحي الوليد تشتت ليضيع في شحنات من الغضب والكره والاستحقار الذي حظيت به للتو ، تحركت بخطى ميتة لتدخل مكتب اسامة الخاص تحت انظار السكرتيرة المرتبكة !

اغلقت الباب خلفها واستندت اليه ، رفعت رأسها لتنظر لاسامة الذي يقف على بعد خطوات ، كان غاضبا جدا ، انها تعرفه ، نظراته اخافتها وكأنه ... وكأنه يكرهها !!

تشوشت اكثر وهي ترى كيسا كبيرا مرميا على الارض وقد بانت بعض محتوياته من ملابس وعلب انيقة .

سألته بصوت مبحوح " ما الذي كانت تفعله سهر هنا ؟"

رد عليها بشراسة " وما الذي تفعلينه انت هنا ؟ !! "

سؤاله اوجعها وهو يتردد بصدى مهين في اعماقها وذكريات الليلة الماضية تعطيها الجواب لكن ... هل هو الجواب حقا ام انها تعيش الاوهام ... مرة اخرى ، ولانها لم تجد جوابا غيره تمسكت به وكأنه طوق نجاتها لتقول بثقة مهزوزة " الست زوجتك ؟ الا يحق لي زيارتك في شركتك ؟!"

ضحك اسامة بقسوة جرحتها ثم قال ساخرا " هل مشاركتي السرير اعطتك هذه الشجاعة السخيفة لتحضري هنا وتثبتي للموظفين مكانتك الجديدة "

شهقت بينما هو يتابع بقساوة اكبر " لاتنسي ابدا ان ما بيننا ليس زواجا حقيقيا لتتفاخري به هنا وهناك ، فعلتها لمساعدتك فقط فلا تطمعي بالمزيد لاني ضعفت كرجل وعاشرتك "

ترنحت شهد وتشوشت الرؤيا للحظات فلم تعد تراه لتهمس بحشرجة ويداها تبحثان عن مقبض الباب " اسفة ... لحضوري ... لن يتكرر الامر .... اعدك ! "

الفصل الرابع عشر

اصابه التبلد وهو ينظر لخطواتها المبتعدة حتى اختفت ! تبلد جعله يتلبس شخصا اخر غير ذلك الكائن الضعيف الذي يئن لاجلها ويتلوع من رغبته للحاق بها ... يحتضنها... يدفن فيها اهاته لتسامحه ... لترضى عنه ..

اطل وجه سكرتيرته المرتبك عند الباب الذي تركته شهد مفتوحا بعد مغادرتها ، سمعها تقول " سيد اسامة ... هناك موعد مهم بعد عشر دقائق .. هل ....؟"

تركت سؤالها معلقا بالهواء ! ناظرها بهدوء غريب ليقول وهو يشير للكيس عند قدميه " ارمي هذا بعيدا ، وحال وصول العميل ادخليه مباشرة "

استدار حول مكتبه ليجلس على كرسيه بينما سكرتيرته تتقدم نحو الكيس فتحمله والحيرة بادية على وجهها فكأنّ لسان حالها يقول (اين سارميه ؟!!)

سيارة الاجرة اوصلتها لبيت الشيخ يحيى ،

اعطت السائق اجرته لتترجل من السيارة بهدوء شديد ، اغلقت الباب والتفتت نحو هذا البيت الصغير بينما سيارة الاجرة تبتعد ...

منذ ان غادرت مكتب اسامة وهي تشعر بهذا الهدوء ، لا ... ليس هدوءا ... بل فراغا !

فراغ و خواء .... تماما كما شعرت يوم خرج وليدها من احشائها وبدلا من ان يؤنس بصرخاته وحدة جسدها المنفصل عنه للتو اذا به يفجعها بصمته ليضمه اللحد بدل المهد ...

ارتعشت شفتاها لكنها ابت ان تنصاع للدموع ، تقدمت ناحية باب البيت لترن الجرس ...

لحظات واطل ذلك الوجه الصبوح للسيدة جنان ، رغم ابتسامتها المرحبة كانت تنهت وهي تقترب لتفتح لها الباب ، عدوى الابتسامة اصابتها فابتسمت براحة غريبة وهي تقول بتحشرج " مرحبا سيدة جنان ، اسفة لحضوري وانا ..."

قاطعتها جنان وهي تميل نحوها لتقبل خديها بألفة وتقول بلهجة مغتاظة " بل جئت في وقتك يا فتاة ، اختك هذه تثير الجنون ، لايرضيها شيء على الاطلاق ولاتعترف بالصبر لنيل مبتغاها "

ضحكت شهد رغما هنا ، ضحكت وهي تتجاهل ذلك الوجع الذي يخز قلبها ،

ضحكت وهي ترفض استعادة نظرة عينيه العاطفية عندما كان يبثها الغرام ليلة الامس ! اين ذهب كل هذا ؟!! اين ضاع في وضح النهار بدلا من ان ....

سحبتها جنان من افكارها وهي تسحبها من ذراعها لتدخلها البيت وهي تقول " تعالي وانظري بنفسك لتحكمي .."

اخذتها جنان للداخل ثم مررتها عبر غرفة المعيشة نحو باب خلفي ادى الى فسحة خلفية للبيت مكشوفة للهواء ، على اليمين غرفة صغيرة تبدو كمخزن وعلى اليسار حديقة صغيرة لاتتجاوز ابعادها ثلاثة في اربعة امتار ، كانت حديقة مهملة نوعا ما وقد افتقدت العناية ووسط هذه الحديقة رأت اختها نجوى هناك ، تتطلع حولها وهي تعقد حاجبيها بغير رضا !

لاتعلم شهد لم رؤية نجوى جعلتها اكثر هدوءا ! شعورها بوجود نجوى قريبا منها خفف عنها عبأ الألم الذي شعرت به صباحا عندما ذهبت لرؤية أسا... قاطعت افكارها وهي تهمس في سرها " لا ... لااريد ان اذكر اسمه ... لااريد ان افكر ... ليس الان ... "

قالت شهد بصوت متحشرج لتتنبه نجوى لوجودها " صباح الخير "

التفتت نجوى نحو مصدر الصوت لتقول بدهشة
" صباح الخير شهد ، متى حضرت ؟!!! كنت
اعتقد انك جنان فحسب "

ثم عادت وأمالت رأسها نحو جنان التي كانت
تتوارى خلف شهد وقالت " اذن تتخفين خلف
اختي بعد ان فشلت باقناعي ؟!"

ضحكت شهد بينما تتحرك جنان من خلفها
لتواجه نجوى وتقول بغيظ " انت صعبة
المراس وحادة المزاج ولايمكن ارضاؤك
بسهولة "

عبست نجوى فاضطرت شهد للتدخل قائلة "
هلا اخبرتماني ماذا يحصل هنا بالضبط ؟!!!

اشعر اني غبية وانا اقف بينكما ولاافهم شيئا
مما تتبارزان حوله بالكلمات !"

فتحت جنان فمها لتتكلم عندما سبقتها
نجوى قائلة وهي تشير لما حولها " انظري شهد
حولك واخبريني هل هذا ينفع لنبنيه
كمكان لتعليم الفتيات فن الخياطة ؟!!! "
كانت شهد سترد عندما واصلت نجوى بتذمر "
انه صغير جدا ! ما ان نبني اربع حيطان حتى
يتقلص اكثر وسيكون خانقا تماما كالسجن
، كما ان البناء سيكلف الكثير من المال "

هبّت جنان لتقول مدافعة عن فكرتها " المال
سنحاول جمعه عن طريق الشيخ يحيى ومؤكد
ان ..."

قاطعتها نجوى وهي تقول باحباط " جمع المال سيأخذ وقتا طويلا وحتى لو جمعناه يبقى المكان صغيرا وغير مريح "

هنا قالت شهد وقد استوعبت ما تصبو اليه نجوى " انت تريدين مكانا مناسبا لتعلمي الفتيات الخياطة اليس كذلك ؟"

ردت نجوى متنهدة " نعم ... كنت افكر بمشغل محترم لكن ..."

هزت كتفيها بقنوط دون ان تكمل جملتها ، ابتسمت شهد برقة لتقول " لاعليك اختي ، كل شيء يبدأ صغيرا ويكبر .."

هنا رفعت جنان حاجبيها عاليا لتقول بشموخ " ألم اقل انا نفس الكلام ؟!!"

زمت نجوى شفتيها بعدم رضا بينما اقتربت شهد من اختها لتتوسط الحديقة تتطلع حولها بتفكير لتقول بعدها " يمكننا الاستغناء عن البناء المكلف وبدلا من ذلك اقامة اعمدة حديدية في زوايا الحديقة لنضع فوقها هيكل مناسب كسقف ثم نغطيه بقماش خاص بالمظلات ، هكذا سيكون المكان مفتوحا وليس خانقا "

صفقت جنان حماسا للفكرة بينما نجوى شككت بها قائلة " لكن هذا ينفعنا حاليا والجو ما زال ربيعيا ماذا ان اتانا الصيف بحره اللاهب "

عبست جنان وهي تنظر لشهد وكانها تطلب منها حلا سحريا يرضي نجوى عندها قالت شهد " بامكاننا ان نستخدم مكيف هواء عمودي "

ما زالت نظرة عدم الرضا في عيني نجوى لكنها تبسمت في وجه شهد وقالت " هل قلت لك صباح الخير ام نسيت ؟!!..."

اختنقت شهد بعبرتها فهربت من عيني نجوى المتسائلتين وهي تنحني لتضمها لصدرها ،

قالت نجوى بتسلية " تبدو العروس غاضبة مع زوجها !"

امسكت شهد عن الكلام بينما فاجأتها نجوى بالقول " ما رأيك ان تقودي حملة اقامة مشغلنا الصغير ؟ انت تعرفيني لااحب الخروج كثيرا من البيت والبحث في الاسواق وجنان اسوأ مني في هذه الامور .. "

ضحكت جنان بينما فتحت شهد عينيها على وسعهما وهي تبتعد عن حضن اختها لتسأل بدهشة " حقا ؟! هل حقا ... تريدين مني المساعدة في..."

قاطعتها نجوى بهدوء وهي تستقرئ نظرات عينيها قائلة " بل هو عمل اطلبه منك .. فما رأيك ؟ هل تلتزمين معنا بهذا العمل ام .. ربما سيعارض اسامة ..."

عند ذكرها لاسمه اصابها شيء من القهر ! همست بلا تفكير " اسامة لن يعارض ... لن .. يهتم !"

بعد اسبوعين

تطلع الى الساعة الجدارية في المطبخ والتي تشير الى الثامنة صباحا ، عبس بشدة وهو يفكر انها تتعمد الخروج مبكرا حتى لاتراه !

منذ ذلك اليوم وهي تتبع اسلوب البرود معه ، البرود والتجاهل ! حتى عندما اخبرته بعملها مع نجوى لم تبالي بغضبه منها لانها لم تستشره اولا ولم تهتم بتحذيراته من مؤيد انه قد يتعرض لها وكل ما فعلته انتظرته ان يكمل ثورة هياجه لتقول بعدها بكل برود " لااحتاج لاستشارتك بشيء فالامر ابسط من ذلك بكثير كما اني ألهي نفسي بدلا من جلوسي هنا بلا اي عمل نافع ، اما اخي فلم يعد يهتم بي بعدما اجدنا ادعاء الزواج امامه "

يعترف ان الغيظ تمكن منه وجعله يقول ببرود مماثل " نحن متزوجان فعلا ولاندّعي ذلك "

رفعت ذقنها لتقول بنظرات باهتة " اجل ... متزوجان ... ولكن لغاية وسبب وقد تحققت اهم الغايات ولم يبقَ الا القليل "

التماسك هو ما تشبث به عندما سألها " اي قليل ؟!"

لترد بنفس النظرات " ان ابني نفسي واحصل على عمل " ثم تألقت عيناها وهي تضيف " وانا اشعر ان عملي مع نجوى سيكون البداية الصحيحة ..."

استبد به القلق وهو يقول " ولكني وعدتك بعمل افضل "

نظرت اليه نظرات غير قابلة للتفسير لتقول " الافضل ان اكون بجانب اختي فليس لنا الا بعضنا بعد اللّه عز وجل "

وانتهى النقاش .... وما زال نفس الضيق يلازمه منذ ذلك اليوم رغم مرور اسبوعين شاقين جدا عليه ، انه مرهق ... مرهق جدا وكل ما استطاع فعله ان يفرض عليها سائقا مع سيارة خاصة تتنقل معه في ذهابها وايابها ، كما انه وظف حارسا شخصيا لحمايتها دون ان تعلم ،

لقد وعدها بالحماية ولن يستطيع توفير الحماية لها بنفسه وهي مصرة على الذهاب للحي كل يوم ، وهكذا ... تخرج من الصباح الباكر ولاتعود الا عند المغرب ، تحركاتها عنده دائما لكن هي ... هي بعيدة جدا ... ما ان تصل الشقة حتى تدخل غرفتها لاتغادرها الا لشرب الماء من المطبخ او الذهاب للحمام وتحرص دوما على الابتعاد عن طريقه وتجاهله اذا التقيا صدفة !

لقد اصبحت مختلفة منذ عملها اللعين هذا ! متباعدة عنه لكن في قوة ... في كبرياء ! ورغم ان الامر يريحه ان تبتعد هكذا ، على الاقل ليلتقط انفاسه يسترجع ذاته لكن في نفس الوقت لايتحكم في هذا الشوق المستعر الذي يختار من ظلمة الليل مرتعا له ! يناوره وهو يلسعه بلهيبه والشفاء من حروقه يبعد عنه بضعة امتار ... فقط بضعة امتار ويكون في احضانها مرة اخرى ...

" لا .... "

صرخة خرجت منه بقسوة وهو يرمي كوبه بعنف في قعر الحوض حتى اوشك ان يتحطم ، اجتاحته تلك القسوة فجأة لتجعل من حروق الشوق شيء لايذكر !

لقد صمد لاسبوعين ، وسيصمد للنهاية التي لايعرف متى ستحل ، لكنه يجب ان يصمد ،

لن يهين رجولته مرة اخرى بأخذ العاطفة منها بتلك الطريقة التي تقتله ... لن يبتز انوثتها المتلهفة ويستغل ضعفها واحتياجها ...

ما فائدة العشق حين يفقد الرجل ذاته ؟!

سيكره شهد في النهاية كما سيكره نفسه !

دخل الشيخ يحيى غرفة المعيشة بعد ان نبّه لوجوده بنحنحة واضحة ، القى السلام على النساء الثلاثة وهو يطرق برأسه ، عادة يستأذن بعد السلام ليتركهن لشأنهن ويذهب لمخدعه فتلحقه زوجته تلبي احتياجاته ، لكن ...

اليوم الامر مختلف ، وقد جذب وقوفه الصامت انتباههن .

شعر بخطوات يحفظها تقترب منه فحاول الابتسام وهو يقول لزوجته هامسا " هناك امر مهم "

ردت جنان همسا وقد لاح عليها بعض القلق " ماذا يحصل يا شيخ ؟ "

رفع نظراته المطمئنة لوجه زوجته فقال بصوت منخفض " هناك اخبار محزنة للاختين "

شهقت وهي تضع يدها على صدرها فحدجها محذرا ليقول بعدها هامسا ايضا " سافتح باب غرفة الضيوف لادخل رجلين احدهما مؤيد والآخر غريب .."

القلق كسا ملامح جنان بينما اكمل الشيخ بهدوء " بعد ان نضيّفهما دعي نجوى وشهد تدخلان "

عادت جنان لتسأله باشفاق " اخبرني ماذا حصل ؟"

تبسم وهو يربت على كتفها " كله خير بأذن اللّه "

بدت نجوى اكثر ثباتا من شهد وهما تجلسان على اريكة لوحديهما على جانب غرفة الضيوف ، نجوى تطالع وجه اخيها مؤيد بتحدٍ بينما شهد تتجنب النظر نحوه ليس خوفا منه لكن ذلك الرجل الذي يصطحبه معه زيجلس بجانبه لم ترتح له منذ اول دخولها ، فما ان رآها حتى اخذ يتطلع اليها بانبهار كريه ! ولم تفتها انحناءته نحو اخيها والتهامس الذي تبادلاه ...

عمّ الهدوء للحظات قبل ان يقطعه الشيخ ، اولا سمّى بأسم اللّه ثم صلى على الرسول الاعظم وعلى آله وصحبه ،

بعدها قال موجها كلامه للاختين " لااعلم ما تأثير ما ساقوله لكما الان لكني مضطر لابلاغكما به "

بادرت نجوى للكلام " ماذا يحصل يا شيخ يحيى ؟ هل هناك اخبار سيئة ؟"

رد الشيخ يحيى وهو يطرق برأسه " اختاه ، هل كان ايٌ منكم على اتصال مع اخيكم ماجد ؟"

شهقت شهد رغما عنها وهي تضع يدها على فمها بينما ارتعش صوت نجوى وهي تحاول التماسك قائلة " لا ... للاسف ... لقد انقطعت اخباره منذ سفره "

صمت الشيخ ثم حوقل بهمس بينما فاجأت شهد الجميع وهي تهب واقفة على قدميها لتقول بتحشرج وعيناها تغرغران بالدموع " هل مات اخي ؟؟ اجبني يا شيخ يحيى ؟"

رد الشيخ وهو ما زال مطرقا " الموت علينا حق وكل سالك نفس هذا الدرب انه قدر اللّه مكتوب علينا جميعا "

شهقت شهد وانسابت دموعها بينما بدت نجوى اكثر تماسكا رغم شحوبها الشديد لتلتفت نحو مؤيد وتسأله بحشرجة " من اخبرك بهذا ؟"

رد مؤيد بلامبالاة " جاءني اخطار من السفارة هناك ، ماجد توفي في حادث انقلاب شاحنه حمل كان يعمل عليها منذ اسبوع تقريبا ، سقطت من على جرف هارٍ ، وقد تم دفنه هناك بناءا على وصيته "

اجهشت شهد بالبكاء وهي تترك جسدها لينهار على الاريكة خلفها بينما لم تستطع نجوى الصمود لتطأطأ رأسها وتنساب دموعها بصمت ، يدها كانت ترتعش وهي تضعها في حجرها فوق يدها الاخرى بينما اكمل مؤيد ببرود قاتل " لاشيء لديه هناك ، لامال و لابيت ولا زوجة ولا اطفال ، لايملك شيئا على الاطلاق .."

ثم صمت قليلا ليكمل " املاكه فقط هنا ... بيت والدنا "

عندها فقط التفتت شهد بحدة لتنظر نحو الرجل الذي يرافق مؤيد وقد استشعرت شيئا خبيثا يحصل ، لم تخفها نظرات الرجل التي كانت تخصها هي بالذات ، قالت شهد بحدة وهي تمسح دموعها " والان يا مؤيد ... لماذا اشعر انك تريد شيئا محددا عدى طلب المواساة من اختيّك لوفاة شقيقنا .."

نظر اليها مؤيد بكره قبل ان يقول " البيت اصبح لنا نحن الثلاثة وانا اريد بيعه ، وهذا صديقي حاتم " واشار بيده للرجل المرافق له ليكمل " يريد شراءه ، انه يشتري ويبيع العقارات ، هذا عمله لذلك فأنا ..."

قاطعه صوت نجوى الحاد وهي ترفع رأسها دون ان تبالي بمسح دموعها " فلتحلم ببيع بيت والديّنا ، لن نمكن لك في هذا "

ابتسم مؤيد بتحفز وهو يقول " لن تمنعاني من البيع اذا لم ترضيا ببيع حصصكما ، استطيع تقديم شكوى في المحكمة لاستحصال ثمن حصتي بالبيت كمتضرر فيكون امامكما اما ان تدفعا نصيبي او قد يباع البيت في المزاد رغما عن انفيكما "

تقبضت يدا شهد وهي تقول بانفعال " ان هذا البيت فيه رائحة امنا .. ذكرى ابينا ، الا يهمك هذا ؟!"

شوح بيده مستهينا بكلامها بينما تدخلت نجوى لتقول بهدوء بارد هذه المرة " سنفكر ونرد لك الجواب "

اوشك ان يرد مؤيد بضيق عندما وقف الشيخ يحيى على قدميه ليقول بهدوء

" شرفتنا بحضورك سيد مؤيد انت وصديقك لكن اعذراني لدي صلاة الحق بها في المسجد ولايجوز بقاءكما في بيتي دون وجودي فيه "

اعترض مؤيد قائلا بانفعال سمج " لكن يا شيخ يجب ان نتفاهم ؟"

لاحظ الشيخ نظرات ذلك المدعو حاتم لشهد فقال في حزم " الاختان قالتا ما عندهما فانتظر الرد عن طريقي انا .. والان اعذراني "

فلم يجد مؤيد بدا من المغادرة مع صاحبه بينما ارتمت شهد اخيرا في حضن نجوى لتجهش بالبكاء وتقول " كنت .. اتمنى ان اراه ... يوما ... لقد مات ... ماجد يا نجوى ... مات ولم يعرف بموت امنا ...."

ردت نجوى بنشيج مكتوم " رحمه اللّه وغفر له ، لقد انقطع عن رحمه فمات غريبا وسط الغرباء "

ركب مؤيد الى جوار صاحبه حاتم في سيارته وهو يتأفف منزعجا فقال له صاحبه مبتسما وهو يتحرك بسيارته " لاتقلق ، ستهدآن بعد ايام وستجدان ان افضل حل هو البيع لي وعندها ستحصل على المال الذي تحتاجه "

شتم مؤيد وهو يقول " لاافهم ما هذه العواطف السخيفة عند النساء ؟! اي رائحة واي ذكرى واي بيت ؟!! من مات مات وانتهى ... والبيت خرب ولا ينفع لشيء "

التمعت عينا حاتم وهو يقول ببحة " اختك جميلة جدا للاسف انها متزوجة كنت ساطلب منك النسب ومهرها سعر البيت باكمله ! "

تطلع مؤيد نحو حاتم وهو يكتم استهانته به ليقول " نعم للاسف ، وزوجها مجنون قد يقتلك اذا علم بأنك تفكر بها كزوجة ثالثة لك .."

ضحك حاتم ضحكة قبيحة ثم قال " يحق له ان يغار عليها ، انها امراة بمعنى الكلمة "

لم يرد مؤيد بشيء بينما فكره يبتعد نحو المال الذي يريده لبدأ مشروعه الجديد .

صرخ اسامة في الهاتف قائلا " ألم اقل لك ان تتصل بي ما ان يحدث شيء كهذا ؟"

رد الرجل " سيد اسامة الشيخ يحيى طمأنني انها ستكون بامان بوجوده "

شعر اسامة بالندم لانه اطلع الشيخ على وجود حارس خاص لشهد ، فعل هذا كي لايتفاجئ بوجوده اذا اقتضت الحاجة والشيخ حفظ الامر ولم يخبرها .

قال اسامة وهو يحاول السيطرة على غضبه " مرة اخرى يجب ان تخبرني مباشرة ، فذلك الرجل لايؤتمن ابدا وهو مصدر قلقي على .. زوجتي "

خنقته الكلمة وهو يتلفظها ثم ابتلع ريقه وهو يسأل " هل علمت من كان معه ؟"

رد الحارس " لا سيد اسامة قال الشيخ انه ضيف ويريد شراء شيء "

لم يرتح اسامة للامر ولكنه سيفهم الامر قريبا من الشيخ او من شهد اذا تعطفت عليه ورضيت ان تكلمه الليلة !

ارخت رأسها جانبا وهي تجلس في الجزء الخلفي من السيارة الخصوصي التي اجبرها اسامة على القبول بها ، السائق كان عجوزا هادئا ومريحا ، لايتأخر عليها ولايسألها عن شيء وهذا اراحها للغاية ، وكأنها لوحدها تماما ، تلك الوحدة التي تنشدها لتبتعد عنه ... لتتعود الحياة بدون الاعتماد على وجوده ، انها تخرج يوميا للعمل ومهما كان بسيطا يبقى عملا وجدت فيه ذاتها ،

اتفقت بنفسها على قضبان الحديد ومشطت الاسواق لتبحث عن افضل انواع الاقمشة باقل الاسعار ، الشيخ يحيى اعطاهم بعض المال من التبرعات التي يحصل عليها وقد وعد بمحاولة تدبير مكيف هواء عمودي مستعمل ، بعدها اخذت جولات اخرى في السوق مع نجوى بحثا عن مكائن خياطة مستعملة بالتقسيط وما زال المشروع في اوله ولكنها مرتاحة وسعيدة بخطواتها مع اختها .

دمعة تسللت من عينها وهي تستعيد خبر اليوم المفجع ، ماجد ... مات .. لم تعد تذكر ملامحه جيدا ! كان شابا طموحا جدا ولايهتم الا بنفسه وها هو لم يحقق شيء الا العمل على شاحنة للحمل !

بعد كل هذه السنوات بدلا من ان تصلهم رسالة منه فلم يصلهم الا خبر وفاته ودفنه في بلد الغربة .

شعرت بالاختناق .. همست بضعف " اوقف السيارة ارجوك ، سادخل هذا المجمع التسويقي "

ركن السائق جانبا وهو يقول " هل انتظرك هنا سيدة شهد "

ردت وهي تترجل من السيارة " ساتصل بك انا ، ربما ساخذ بعض الوقت "

مرت ساعتين وهي تلف من محل لمحل ، تناظر المعروضات دون اهتمام ، لم تكن يوما من محبي التسوق لكنها وسيلة ناجحة لالهاء الفكر ، ذكرى قديمة لاسامة وهو يأخذها لنفس المجمع حتى يشتري لها الملابس بعد هروبها من العرس ، الذكرى الان تثير سخريتها حقا ! كم كانت مثيرة للشفقة وهو يأخذها هنا وهناك يبتسم تلك الابتسامة الغامضة التي لم تفهمها يوما !

خفق قلبها وهي تقف عند محل لبيع ملابس الاطفال الحديثي الولادة ، جذبتها الالوان الزرقاء المعروضة دون الوردية ، دوما حلمت بانجاب ولد ! لاتعلم لماذا ؟!! ربما لانها في اعماقها لم تكن تريد انجاب فتاة لتعيش حياة كالتي عاشتها هي !

التمعت عيناها بحنان وهي تناظر البلوزة الصوفيه الصغيرة تلائم جذع صغير و قد تعلق بها كفان صوفيان من نفس اللون ، غطاء للرأس ، جوارب منتهى الصغر تثير الشعور بالحماية لمن سيرتديها ، مسحت دمعة سالت على خدها واوشكت ان تستدير لتبتعد عندما ... لمحته عبر نافذة العرض ، كان هناك داخل محل الاطفال يبتسم بسعادة وهو ينظر للمرأة جواره نظرة جمعت الاغاظة و ... العشق ! انها نظرة تعرفها ... لانها كانت موجهة لها يوما ما ومن نفس تلك العينين ...

ارتعش شيء عميق في داخلها وعيناها تهبطان لبطن المرأة ... همست " مرام حامل ! " لاشعوريا ارتفع كفها لتلامس بطنها بشرود ، اجفلها صوت ضحكات احمد ومرام تنظر اليه بحاجبين معقودين بينما البائع يطالعهما برضا وهو يسلم احمد كيسين كبيرين .

التفتت شاهقة تريد الهرب وهي تدرك انهما على وشك مغادرة المحل لكنّ ساقيها لم تطيعاها فاكتفت بادارة جذعها وهي تستند بيدها على نافذة العرض بينما تشاغلت باخراج نظارتها الشمسة من حقيبتها ولبستها بينما تسمع صوت احمد من خلف ظهرها يقول بمرح هامس " لاتحنقي يا مرامي ، احببت ان افرح الرجل بأنه اكتسب زبائن مستديمين !"

ارتعشت شهد اكثر وهي تطأطأ رأسها بينما صوت مرام يصلها سعيدا رغم ادعائها الغضب " انت لاتكف عن احراجي بحديثك الدائم عن رغبتك بانجاب ستة اطفال ! الا تخجل ؟!"

كانت ضحكاته الصافية اخر ما سمعته شهد قبل ان يتلاشى صوتيهما مع اصوات خطواتهما !

خرج اسمه من بين شفتيها متألما " احمد ... ها انا اراك من جديد ، لقد وجدت سعادتك ، وانا ...؟ ماذا عني انا ؟! ..."

" مرحبا شهد ..."

التفتت بقوة نحو مصدر ذلك الصوت الانثوي لترى امامها صورة وجه سهر الجميل وهي تبتسم بانتصار !

بدت باردة شامخة متعالية ... شامتة !

الجمتها مفاجأة رؤيتها عن رد تحيتها فلم تهتم سهر وهي تكمل بابتسامة عكست مشاعرها " من احمد هذا ؟ هل هو ذلك الوسيم الذي خرج من المحل بصحبة المرأة الحامل ؟ هل هي زوجته ؟"

تشوشت شهد للحظات ثم فجأة صفا ذهنها لتقول ببرود " عفوا لا وقت لديك لتبادل حديث تافه معك "

ردت سهر باستهانة " النظارة السوداء لاتخفي دموعك التي تسيل على خديك !"

لم تحاول شهد حتى رفع يدها لتمسح دموعها بل اكتفت بأن شمخت برأسها لتتحرك مبتعدة عن سهر دون ان ترد بشيء على تهكماتها .

قدماها تقودانها بلا هدف واضح وهي استسلمت لتحركاتهما بينما عقلها ينعزل عما حوله من الوجوه لتغرق في مواجهة تلك الابواب التي شرعت في داخلها ، ابواب مفتاحها تساؤل واحد (الى متى ؟!!)

الى متى تسمح للرجال الذين يمرون بها ان يكون لهم السطوة عليها ؟ الى متى تقصر حياتها على الادوار التي تنتظر منهم ان يلعبوها ليحددوا مصيرها ، كم هي مثيرة للشفقة ؟! ها هو احمد يعيش حياته سعيدا مع زوجته التي يعشقها ويخطط لانجاب الكثير من الاطفال ، وهي .. شهد ... ماذا عنها هي ؟!!

خطواتها اوصلتها لبوابة المجمع التسويقي وما ان عبرتها حتى لفحتها نسمات هواء رقيقة جففت دموعها الذابلة على خديها ، انحنت قليلا فاخرجت هاتفها من الحقيبة لتتصل بالسائق حتى يأتي ليقلها .

انهت المكالمة واعادت الهاتف مكانه بحركة آلية ، تلاعبت نسمات الهواء بخصل شعرها هذه المرة ، استكانت لتلك المداعبة ثم اخذت تسترجع الايام منذ ذلك اليوم الذي ذهبت فيه لاحمد عارضة عليه ان يتزوجا رغما عن مؤيد حتى يومها هذا وهي زوجة اسامة الهاشمي .... ان صح التعبير!

لقد حصل الكثير خلال تلك السنوات ....
ورغم كل ما حصل ها هي اليوم تجد نفسها
لم تحقق اي شيء ! لاشيء على الاطلاق ...
عقدت حاجبيها دون ان تشعر ثم اخذتها
افكارها لاسامة ، لقد تجاوز هوسه بها ما ان
امتلكها ، لماذا لاتحاول مواجهة الامر
بمنطقية بدلا من هذا التخبط الذي تهرب منه
بالعمل مع نجوى في مشروعها ، ثم تعود اليه
... لشقته حيث يأويها كـ.... زوجة !

صوت منبه السيارة اجفلها بينما سائقها يقف
بجانبها، اكتفت بتحية باهتة للسائق العجوز
لتركب خلفه وتكمل تلك المواجهة مع
النفس ، همست في سرها بجمود " حان الوقت

يا شهد ، حان وقت انتفاضة متأخرة جدا
لتنقذي نفسك من كل هذه الدوامات ،
لااحمد ولاعدنان ولا مؤيد ولا .... اسامة ...
تحرري من وهم فارس الاحلام ، اجعلي
لنفسك قيمة حقيقية قبل ان تتمني ان
يراك الاخرون قيّمة ، الناس يروننا كما نرى
انفسنا ! "

توضحت لديها الرؤية تماما لكن لم تستطع
منع تلك البرودة الجليدية التي اكتسحت
روحها ، ألم اعتصر قلبها .. همست بصوت
مسموع " انتهى الامر ... انتهى ...."

مشت سهر الهوينا وهي ترتجف انتصارا! اخيرا نالت منها وستنال منه !!..... همست بابتسامة مالت للتشفي " اخيرا ساؤلمك اسامة كما آلمتني !"

ايام وهي لاتهجع ! لاحقت شهد لعدة اماكن عسى ان تكتشف شيئا عنها لكنها تلتزم ذلك البيت العتيق في الحي البائس !

تخرج احيانا لاسواق رخيصة لاشيء اكثر من ذلك ...

لقد استخدمت سيارة اجرة في تنقلاتها حتى لاتكشف وجودها ، لم تبالي بما تعانيه هذه الملاحقة من مس بكرامتها وتقليل لشانها ، المهم ان ترد لهما الوجع ، كادت تيأس والغضب في داخلها يستعر كوحش مفترس جائع يبحث عن فريسته ولايجدها !

لم تعد تستطيع النوم ولم تعد تأكل الا القليل وهي تفكر بوسيلة للانتقام ، هي سهر التي يحلم بها اي شاب يرفضها اسامة من اجل امرأة كشهد ، تلك الحقيرة التي سرقته منها تستحق كل الالم الذي رأته في عينيها قبل قليل ، واسامة يستحق ان يعرف بأن زوجته تفكر برجل آخر غيره ....

اخذت نفسا عميقا راضيا وهي على وشك افتراس فريستها الاخرى ... اخرجت هاتفها واتصلت ... به !

انهى اسامة مكالمته مع الشيخ يحيى وقد انتابه شعور بالقلق على شهد ، كم تمنى لو كان قربها وهي تتلقى خبر وفاة اخيها ، انها امرأة عاطفية حنون وستتأثر حتى لو مرت سنوات طويلة على انقطاع ماجد عنهم.

همس بحنان متدفق " ترى هل آلمك جدا موت ماجد يا شهد ؟ ام سيؤلمك اكثر اذا فقدت بيت عائلتك ؟!"

رن هاتفه وهو ما زال في يده ، تأفف ضجرا وعيناه تلتقطان اسم سهر .. حتى انه شعر بالاكتئاب!

اوشك ان يهمل الاتصال لكنه تراجع وقد قرر ابلاغها ان لاتتصل به مرة اخرى والا سيخبر والدها بالموضوع .

فتح الخط ليفاجأه صوت سهر المرح " مرحبا "

عبس قليلا مستغربا حالها هذه ليقول بحزم دون ان يرد تحيتها " ماذا تريدين سهر ؟"

جاء صوتها كما يعرفه عندما تدعي الدلال والخصام لتقول " هكذا ترد علي وانا التي اتصلت لاني قلقت على زوجتك "

تنبهت حواسه كلها وهو يسأل بقلق شديد خانق " شهد ؟! ما بها ؟ اين هي ؟ "

صوتها كان حادا قليلا وقد فقد مرحه لتحل السخرية وهي تقول " لاترتعب هكذا .. لم يحصل لها شيء لكني رأيتها صدفة في المجمع التسويقي هائمة على وجهها حزينة ثم فجأة وقفت امام محل ملابس لاطفال حديثي الولادة "

صمتت قليلا بينما هو يستوعب ما تقول ...

(شهد عند محل لبيع ملابس الاطفال ؟!!!)

لكنها اكملت بنفس النبرة الساخرة " للوهلة الاولى تصورتها حامل ! لكن يا خسارة فملامح البؤس على وجهها والحسرة وهي تناظر قطع الملابس الصغيرة جعلتني اتيقن انها ليست حامل بل وانها تتحسر لانها ليست كذلك !"

شعر اسامة بالغضب الشديد فقال في قسوة " الن تكفي عن اعمالك الطفولية السخيفة هذه ؟ اليس لديك كرامة ؟ هل تراقبينها الان ؟ هل وصلت لهذا الدرك ؟!!"

ردت عليه بحقد رهيب " كم انت مغفل بائس ، انك غبي لدرجة انك تدافع عن امرأة تتنهد وتتحسر على رجل غيرك !"

جحظت عينا اسامة وجمدت نظراتهما بينما تباطأت نبضات قلبه ليسأل بحشرجة " ماذا تقصدين ؟!"

ردت بتشفٍ متماهل منتقم" لقد رأيتها عند نافذة العرض تتطلع بتلك الحسرة ثم فجأة لمحت احدهم في الداخل فسارعت لاخفاء نفسها وارتداء نظارة شمسية ما ان خرج شاب وسيم جدا من المحل وبصحبته امرأة جميلة تبدو في اشهرها الاخيرة من الحمل ، لم ينتبها لها في وقفتها المنهارة وهي توليهما ظهرها وما ان ابتعدا عنها حتى التفتت نحوهما لتتطلع اليهما بألم وهي تهمس بلهجة مثيرة للشفقة (احمد احمد لماذا فعلت بي هذا يا احمد) "

صوت ضحكة سهر الخبيثة وصلته بشكل ضبابي وهو عاجز عن النطق لتسأله بعدها ببراءة مصطنعة " ترى من يكون احمد هذا يا اسامة ؟!"

لم يشعر اسامة انه اغلق الخط فقط تركه ينساب من يده ليقع ارضا بينما احساس هائل يهدر في داخله ، يزحف يزحف ليلتف حول رئتيه يمنعه التنفس !

فتحت شهد باب الشقة لتدخل بهدوء ، هدوء نابع من اعماقها يمنحها سكينة لكنه يمزق قلبها الما !

رأته امامها هناك ... يقف عند باب الشرفة لكنه يواجهها هي يتطلع اليها دون ان تتبين ملامحه ، فضوء النهار يلملم شتاته عند العصر فيمنح ظلالا تثير الشجن ...

اخذت نفسا عميقا قبل ان تقول بصوت ثابت " مرحبا "

مرت لحظتين ... ثلاث... قبل ان يرد بصوت غريب " مرحبا ...."

لحظات اخرى وكل منهما يقف في مكانه بشموخ وسيطرة على النفس ، اخيرا تمتم بعزاء لوفاة ماجد وهي شكرته تمتمة ايضا !

عاد الصمت .... استجمعت شجاعتها لتقول بصوت متماسك " اسامة .. انا فكرت مليا وقررت ... اني اريد ... الطلاق !"

لم ترَ اي تغير فيه عدى سماعها لحشرجة انفاسه ! ما زالت ملامحه تخفيها تلك الظلال ...

طال صمته فاكملت وهي في سرها تطلب العون من اللّه " انا شاكرة لكل ما فعلته لي لكني الان بخير ، ساواصل عملي مع اختي نجوى وسنعود للسكن في بيتنا القديم حالما نتفق مع مؤيد "

صمتت للحظة تأخذ نفسا يهدأها ثم اكملت " احتاج ان اكون قوية بنفسي لم يعد ينفع اتكالي عليك او على غيرك ، لم اعد خائفة من مؤيد ولن يستطيع اجباري على شيء بعد الان " احنت رأسها قليلا وقد شعرت بالانهاك ! ثم قالت بنبرة اقل تماسكا " نجوى ايضا تغيرت وستعين احدانا الاخرى "

صمتت وهو ما زال صامتا....

تكلم بعد لحظات ... جاء صوته باردا وهو يسأل " هل هذه كل اسبابك لتطلبي الطلاق اليوم بالذات ؟"

لم تفهم ما يعنيه ! وكانت اكثر ارهاقا من ان تحاول تفسيره ، قالت بعزم " اريد حريتي اسامة ، مهما كانت اسبابي ! لقد وعدتني انك ستمنحني اياها ما ان اطلبها وها انا اطلبها منك اليوم !"

عاد الصمت فاضافت بحشرجة لم تستطع منعها " ساذهب لاجمع اغراضي .."

خطت نحو غرفتها ، دخلتها ثم توجهت نحو السرير لتنحني حتى تخرج حقيبة صغيرة من تحته .

اخذت تلملم اغراضها وتضعها في الحقيبة ، لم تأخذ الا بعض الاغراض ، خجلت حتى وهي تأخذ القليل ، ما زالت تشعر ان هذه الاغراض ليست لها ... اسامة اشتراها لها ... لكنها ليست لها !

اخيرا .. اغلقت الحقيبة وقبل ان تحملها توجهت نحو منضدة الزينة وبارتعاش خلعت خاتم الزواج مقاومة غدر الدموع ثم وضعته على المنضدة ، لن تجرؤ على الاقتراب من اسامة الان لتسلمه الخاتم ... تخشى الضعف يتمكن منها وشجاعتها لتقدم على خطوات صحيحة ما زالت كطفل رضيع يحتاج للدعم ...

خرجت لتجد اسامة على نفس وقفته عند باب الشرفة ! ابتلعت ريقها وهي تفتح باب الشقة وتقول " طلقني اسامة ، الان لو سمحت ارمِ علي اليمين قبل ان اغادر ..."

هل هذا صوت انفاسه ام انفاسها ؟!!

حلقت كلمتان ... مجرد كلمتان حملهما الهواء منه اليها .... " انت...... طالق !"

الفصل الخامس عشر

حجر قاس محشور في حنجرتها يمنعها النطق ،
لاتعرف كم سارت في ذلك الشارع الهادئ
الانيق الى ان توقفت لها سيارة اجرة دون ان
تشير لها حتى ، وكأن هناك ايدٍ خفية
تسندها من حيث لاتدري !

سائق السيارة ساعدها بوضع حقيبتها في
صندوق السيارة الخلفي ثم صعد لمقعده
ليسألها عن وجهتها فاختنقت اكثر ولم
تستطع اخراج حرف واحد !

اعاد الرجل السؤال وهو ينظر اليها عبر المرآة
الامامية الصغيرة ، لكنها تطلعت اليه بوجه
شديد الشحوب يحمل كل ملامح العجز !

تنهد الرجل ثم قال " لاحول ولا قوة الا باللّه
العلي العظيم ، سيدتي تبدين مرهقة خذي
بضعة انفاس ثم حاولي ان تذكري لي عنوانا
اوصلك اليه "

هزّت رأسها وهي تتبع نصيحته بشكل آلي ،
بعد نصف ساعة نزلت عند بيت الشيخ يحيى
وبعد خمس دقائق كانت في احضان نجوى
التي لمتها لصدرها بينما شهد تشهق بالبكاء

وتقول بتمزق وألم مبرح " ما .. ان .. طلبت الطلاق ... حتى .. حتى ... قالها ... قالها يا نجوى ... قال انت طا.....ااالق .."

صراخه الهائج اختلط مع اصوات تحطم الاشياء من حوله ، كان يحطم كل ما تصل اليه يداه دون رادع او ذرة تعقل ، حتى افترشت ارضية غرفة الجلوس الانيقة بقطع الزجاج والفخار والخشب المحطمة ، كلٌ اختلط ببعض كلوحة سيريالية تعبر عن الغضب والألم ....

صرخ صرخة اخيرة وهو يشد ساعديه على جانبيه وقد تقبضت يداه " لاااااااااااااااا"

ثم صمت وجسده يهتز انفعالا ... انفاسه تهدر بجنون ... يده اليسرى تنزف الدماء من اثر جرح عميق ...

وبحركة عنيفة عتّ قميصه من فتحة الرقبة لتتقطع الازرار وتتناثر فوق الحطام وكأنها اللمسة الاخير لتلك اللوحة الرهيبة !

صدره يغلي حتى تمنى لو استطاع ان يشقه من منتصفه كما فعل بقميصه ،

فقط يريد ان تخرج تلك الامواج اللاهبة علّه يستعيد تحكمه بوحشه الذي خرج معربدا وفي اسوأ حالاته ... تحرك فوق الخراب الذي عم المكان نحو الشرفة فتح بابيها ووقف هناك تضربه ريح رقيقة وكأنها اشفقت عليه فأتت راكضة لتخفف عنه ......

همس وهو يغمض عينيه والعرق يتصبب من جسده " لماذا اخسرك دائما؟! لماذااااااااا ؟!!! "

نظر والد سهر لساعته للمرة العشرين خلال الربع ساعة بينما امها تبكي بصمت خشية على ابنتها ، مرر الاب يده في خصلات شعره الاشيب وهو يقول بقلق رهيب " لم اعد احتمل ، الشمس غربت وما زال هاتفها مغلقا "

التفت نحو زوجته ليتساءل مرة اخرى نفس التساؤلات وبنفس اللهجة الغاضبة " لاافهم لماذا لاتأخذ سيارتها ، لاافهم معنى استخدامها كل يوم لسيارة اجرة !! ماذا يحدث معها بالضبط ؟! لقد انقلبت تلك الفتاة المرحة لفتاة غامضة حانقة بوجه عابس !! "

ردت الام بارتجاف " لقد عجزت عن فهمها انا الاخرى ، عجزت عن منعها من الخروج وانا اراها بحالة لم ارها بها سابقا ، قالت .. قالت لي انها اصبحت تضيق بالقيادة وسط الشوارع المزدحمة وهي تحتاج للخروج للترفيه عن نفسها "

هدر الاب قائلا " ما معنى كل هذا ؟! هل جنت ؟! ماذا ان فسخت خطبتها من اسامة ؟ ماذا ان تزوج غيرها ؟ حزنت ؟ جرحت ؟ من حقها ... لكن لاتصل لهذه الحالة المزرية ، الا ترى كم تهين نفسها وهي تعتزل الجميع ؟! "

ردت الام دفاعا عن ابنتها " لاتستهن بألمها ، انها لاول مرة تواجه امرا صعبا كهذا ، دوما كانت مرحة وذكية وقادرة على الحصول على كل ما تريد "

رفع الاب سبابتها امام وجه زوجته ليقول باتهام " كله بسبب دلالك انت ... جعلتها دوما تظن ان الحياة سهلة ويمكنها اخذ كل ما تريد ، زرعتِ فيها الانانية دون ان تشعري وانت تحققين لها كل رغباتها ، لقد حذرتك مرارا ولكنك كنت تفعلين ما تريدين من وراء ظهري .."

اوشكت الام ان تدافع عن نفسها عندما اوقفها صوت قفل الباب وهو يفتح ثم تنفست الصعداء وهي ترى ابنتها امامها سليمة معافاة ، لكن وجهها ... وجهها بدى شديد الشحوب وعيناها غائرتان ، نظراتها زائغة !

سبقها الاب ليسأل بصوت صارم " اين كنت سهر ؟ ولماذا هاتفك مغلق ؟"

بخطى متثاقلة تقدمت سهر نحو والدها ثم فاجأته بأن رمت نفسها على صدره تلف ذراعيها حول جذعه وتهمس بألم " ابي ... لقد فعلت ... شيئا مريعا !"

نامت شهد تلك الليلة في احضان نجوى ، كانت شهقات البكاء ما تزال تلازمها ونجوى تشدد من احتضانها ، ما زال فم نجوى يقرأ سورة يس وهي تمسد على شعر اختها ، حتى شعرت انها استرخت اخيرا .

فكرت نجوى ان كلام الشيخ يحيى صحيح ، لاداعي لاعلان خبر الطلاق الان فلا نعرف ماذا حصل بالضبط وما سيحصل في المستقبل ، وشهد ما زالت في فترة العدة ، وفكرة جنان بأن نقول انها على خصام مع زوجها افضل ، فاذا اعادها اسامة لعصمته كان خير واذا ثبت الطلاق سيكون تحصيل حاصل للخصام .

همست نجوى وهي تنظر لوجه اختها النائم الحزين " انت تحبينه شقيقتي ، لم أرك تبكين هكذا يوم طلاقك من عدنان ، اما اليوم فرأيتك تبكين اسامة، اسامة الغبي المتيم بك كما انت متيمة به ! "

يوم ... يومان .. ثلاثة ...

تمر صدمة الحدث بكل الآمه المبرحة ويأتي الافتقاد كفارس مغوار معتليا صهوة جوادٍ جامح لايعرف معنى للصبر ! مقتحما الاسوار ليصل لصلب الحصون ويتربع ملكا على عرش المشاعر ..

وحالما يتملكنا الافتقاد فانه يشعل فتيل لاينطفأ ...

ما زالت لهذه اللحظة تحاول الاعتياد على فكرة انفصالها عنه ، تحاول ان تشغل عقلها بالاسباب التي دفعتها لتطلب منه هذا الانفصال ، الاسباب التي تتمحور حول ذاتها هي ، كينونتها التي تريد بناءها ..

ولاجل ذلك وحالما بدأ الافتقاد يغزوها اغرقت نفسها في دوامة العمل ،

ليس في المساعدة لاقامة مشروع نجوى فحسب وانما ادخلت نفسها في خضم العمل التطوعي لجمع تبرعات للعوائل المحتاجة .

ومرت الايام ... والليالي طوال ... طوال جدا ليسخر منها ذلك الافتقاد لوجود اسامة في حياتها ، لرؤية وجهه ... مبتسما .. غاضبا ... حانقا ... هادئا ... غامضا ... ساخرا ... في كل حالاته وانفعالاته ....

تفتقد تلك العينين الخضراوين في جنح الليل تلمعان بينما صوته يهمس باسمها ....

" شهد ..."

اجفلت شهد وهي تلتفت نحو اختها قائلة بعتب " افزعتني نجوى !"

لم تهتم نجوى لعتبها وهي تغلق باب غرفتها خلفها ، هذه الغرفة التي تتشاركها الان مع اختها لكن تعذر وضع سرير خاص لها لضيق المساحة فاكتفت شهد بافتراش الارض ،

دوما شهد القنوعة الراضية بالقليل وربما هذه هي مشكلتها الحقيقية !

قالت نجوى وهي تخلع الحجاب " عليك الذهاب مرة اخرى للسوق ، هناك مكائن بسعر ارخص اخبرتنا عنها احدى الجارات ، سارشدك للمحل "

عبست نجوى قليلا وهي تكمل " انا احيانا لااجيد التعامل من الناس ، يجدون كلماتي غير مستساغة !"

تبسمت شهد بحنان ثم قالت " لاعليك سأذهب انا "

استلقت نجوى على سريرها وقالت دون ان تنظر نحو اختها " تبدين مرهقة الوجه فهل انت واثقة من قدرتك على الذهاب غدا ؟"

اسبلت شهد اهدابها وقالت بصوت منخفض " لاتقلقي ... انا بخير ..."

استدارت نجوى جانبا لتوليها ظهرها وهي تقول " حسنا تصبحين على خير ، انا متعبة جدا اليوم انهيت خياطة اكثر من طلب دفعة واحدة "

لم ترد شهد بشيء بينما اضافت نجوى بلهجة جافة قليلا تعكس حنقها الذي تخفيه " اطفئي النور لو سمحت وارجو ان لاتبكي هذه الليلة ايضا او تتقلبي في نومك وتتنهدي حتى تحولي احلامي لكوابيس !"

هزّت شهد رأسها باستسلام ثم وقفت على قدميها لتذهب نحو زر النور وتطفئه ..

ومر اسبوع .....

اشعة الشروق تداعب الستائر الطفولية الشفافة لتتخللها بتماهل ناعم حتى تناغش تلك الفتاة التي تجلس على سريرها تنحني للامام وهي تضم ساقيها لصدرها وتستند بذقنها على ركبتيها ...

عيناها استقرتا على رسمة من الرسوم المتحركة لاميرة البحر ذات الشعر الاحمر ، كانت قد لصقتها بنفسها على حافة سريرها الزهري عندما كانت في التاسعة او ربما العاشرة ..

ابتسمت دون ان تشعر وهي تتذكر عنادها للتمسك بهذا السرير حتى بعد ان اصبحت مراهقة ، لم تبالي بسخرية الفتيات وهن ينعتنها بالطفلة ، كانت تحب سريرها الزهري الى ابعد حد وتحب اميرات الرسوم المتحركة وتلصق صورهن دوما دون ان يخجلها هذا حتى وهي في سن الخامسة عشرة !

ربما لانها مجرد عنيدة وهي تتحدى صديقاتها عندما يزرنها ويدخلن غرفتها الخاصة وربما هي ببساطة تتعلق باشيائها ولاتريد مفارقتها ... لقد افتعلت مأساة عندما ارادت امها اجبارها على تغيير اثاث الغرفة الطفولي وهي بسن السابعة عشرة ،

فتمسكت برأيها وعاندت بتصلب شديد بل حتى بكت بهستيرية طفولية تخجل من تذكرها اليوم !

تنهيدة مرتعشة تسللت لصدرها وهي تفكر بخجل اعمق واكثر خزيا !

حتى هذه اللحظة تجد صعوبة في استيعاب الحالة التي كانت فيها خلال الاسابيع الماضية ! وكأنها لم تكن هي ! وكأنها كانت مغيبة عن سهر التي تعرفها .....

لم تكن يوما تتصور انها ستهين نفسها بجريها خلف انتقام مذل مهين ، انتقام حالما تذوقته بفمها بصقته لمرارة طعمه !

بصقته وهي تشعر بالمرض من نفسها ومما فعلته باسامة وشهد ، ومما فعلته بنفسها هي ايضا !

ما الذي جرى لها لتفقد السيطرة وتخرج من حدود شخصيتها التي تألفها وتحبها لتتقمص شخصية اخرى غريبة مريرة حاقدة مؤذية دون اي رادع !

لقد آلمها ان يتركها اسامة لاجل امرأة اخرى تعتبرها اقل منها شأنا وفي كل شيء ، لكن هل هذا يعطيها الحق لفعل ما فعلت ؟

ربما يمكنها ان تتغاضى عن تسخير
سكرتيرته لتنقل لها اخباره فأي امرأة وهي
تستشعر ان خطيبها تركها لاجل امرأة اخرى
تظل تحوم حوله تنتظر تلك اللحظة التي
تنكشف فيها الحقائق ، وقد تتغاضى ايضا
عن ذهابها اليه وهي ترمي في وجهه الهدايا
التي قدمها اليها خلال فترة الخطبة وان تعذر
نفسها لانها كانت تشعر بكرامتها هدرت
وارادت ان تنفس عن غضبها فيه ...

لكن ما لايغتفر اهانتها لذاتها وهي تلاحق
شهد هنا وهناك كمعتوهة مهووسة بغية ان
تمسك عليها شيئا والامر والادهى انها حالما
حصلت على شيء وضعته بصورة اسوأ وهي
تقدمه بتشفٍ مريض لاسامة !

دفنت سهر وجهها بين كفيها وهي تستشعر
هذا الخزي يلاحقها واحساس بالذنب يتآكلها
...

لماذا فعلت هذا ؟ لماذا كذبت على اسامة
واخبرته بكلمات لم تقلها شهد حقيقة ؟! هل
الهب حقدها دفاعه عن تلك المرأة التي
اعتبرتها سارقة ؟! هل آلمها عشقه الواضح لها
مع كل همسة قلق خرجت من فمه لاجلها ؟

لماذا فعلت هذا .... لماذا ؟!! انها حتى لاتشعر
انها احبته حقا ،

كانت يثير فضولها وحماستها ، كان يشكل تحديا طفوليا انثويا ممتعا وهي تسعى للحصول على قلبه ، الامر كان اشبه بلعبة ! لكنها لم ترد مواجهة نفسها بذلك ... لم ترد الاعتراف .. والنتيجة اتت باسوأ مما كانت تتخيل !!

تنهدت واقشعر جلدها وهي تتذكر حالها ما ان انقطع الخط معه ! لاتزال حشرجة صوته ترن في اذنيها وتعذبها ، لم تكن يوما هكذا .. اكتشافها انها قادرة على فعل امر دنيء كهذا صدمها !

رفعت رأسها واشراقة الشمس تلمع على صفحة وجهها الجميل الحزين لتهمس باحساس رهيب بالذنب " ترى ماذا حصل بينكما ؟!!"

عند الصباح الباكر فتحت شهد باب البيت الخارجي لتغادر ، لديها اعمال كثيرة هذا الصباح ، عليها ان تستلم مكائن الخياطة وعليها شراء بعض الاقمشة الرخيصة من تجار الجملة ، فغدا ستحضر فتاتين من فتيات الحي اللواتي انقطعن عن الذهاب للمدرسة ليبدأن مع نجوى دروس تعلم فن الخياطة ...

تنهدت شهد وهي تستدير لتغلق الباب خلفها .. انها مرهقة ... لاتنام اغلب الليل لكنها تشعر براحة من نوع خاص ، تشعر ان عملها يعطيها الطاقة بدلا من ان يستنفذها منها ، طاقة لتعيش لتستمر لتستشعر لَبَناتِ البناء التي تصنعها بيديها دون ان يذلها احد ....

مع ذلك فنجوى غير راضية ! وعدم رضاها هذا من النوع الصامت فتعبر عنه بالنظرات فقط وهذا لحسن الحظ ! فلو اطلقت نجوى لسانها فلا تعتقها من سلاطته ... وتشعر ان جنان تلعب دورا في امساك نجوى عنها !

خطت شهد خطوة واحدة لتصعقها رؤيته امامها مباشرة ودون اي مقدمات ....

اسمه خرج من بين شفتيها حاملا ذلك التوق الممزوج بالالم " اسامة ؟! "

بدى غريب الهيئة ، عيناه محمرتان ووجهه نحيل وشاحب حتى جسده بدى اكثر نحولا وملابسه اقل ترتيبا مما اعتادته منه !

وماهذا اللاصق الطبي في اعلى جبينه ؟!
وتلك الكدمة الخفيفة على صدغه ؟!

همست بعفوية دون ان تدرك غرابة سؤالها وهما في هذا الموقف " ما هذا اللاصق على جبينك ؟ وتلك الكدمة ...."

صدره يعلو ويهبط فاقترب نصف خطوة منها ليسأل بصوت أجش يحمل شحنات من الغضب " هل طلبت الطلاق لانك رأيته ؟"

تشتتت وهي تحاول ابتلاع الألم والشوق معا " ماذا ؟ ! من ؟ ..."

مد يده بعنف ليمسك ذراعها ويسأل بوحشية " هل طلبت الطلاق ذلك اليوم لانك ... رأيته ؟ "

تأوهت من قسوة انامله على ذراعها فاحنت رأسها نحو ذراعها الاسيرة لترفع يدها الاخرى تحاول تخليص تلك الذراع ، شهقت بقوة وهي تقول " يا الهي ! ما هذا الجرح العميق في يدك ؟!"

صرخ فيها " اتركي جرحي اللعين واخبريني ... هل طلبت الطلاق .. لانك .. لانك .. ما زلت تحبينه ؟"

تجمدت شهد وهي تستعيد تركيزها على كلماته لترفع وجهها اليه وتهمس بعينين متسعتين ذهولا " ماذا تقول ؟"

صوته رغم ما يحمل من غضب حمل ألما مبرحا وهو يقول " احمد يا شهد ... احمد ... لقد رأيته ذلك اليوم في المجمع اليس كذلك ، رأيته مع زوجته ، انهرت من رؤيته .. من رؤيتهما معا اليس كذلك ؟ خنقتك الغيرة الى درجة ... الى درجة ... جعلتك تنبذينني ولاتطيقين حتى البقاء معي ، ماذا فعل لك لتتحسري عليه هكذا لتظلي على حبه بعد كل هذه السنوات ؟!! يا الهي اتمنى ان اعرف ما سر هذا العشق ؟!"

كان يعاني الآمه لكنها انشغلت عنه بالآمها
الخاصة ، قالت بصوت مرتعش وعينين دامعتين
غاضبتين " هي اخبرتك اليس كذلك ؟
لقد رأتني هناك واخذت تكلمني بصفاقة !"

صمتت قليلا وانفاسها مرهقة كأنفاسه لتسأله
بتهور " هل عادت سهر لحياتك الان ؟"

جلجلت ضحكاته القاسية ثم قال بعنف
ساخر " نعم ... انظري الي كم انا سعيد
ومبتهج وسهر ببساطة عادت لحياتي حالما
خرجتِ انت منها ! "

ادارت وجهها جانبا لتقول بهمس غاضب " لا
اعلم ما قالته لك لكن رؤية احمد وزوجته
جعلتني ادرك بعض الامور لااكثر ...
جعلتني ادرك اني ... ببساطة ... لاشيء !"

تلفظ باسمها بقسوة " شهد .." لكنها قاطعته
وهي تعيد وجهها اليه لتقول بشفتين مزمومتين
" اسمعني الان ... عليك ان تسمع مني ما اريد
قوله ... لم اعد اتحمل كل هذا الضغط ..."

اخذت نفسا عميقا قبل ان تقول بتماسك
مهزوز " انا في الثلاثين يا اسامة ولست شابة
صغيرة تبحث عن احلام وردية ، وما عشته في
حياتي يجعلني اشعر اني ضعف عمري ! "
تنهيدة عميقة ثم اضافت " كانت لي احلامي
كبنت وتمثلت فيه هو .."

رغما عنها توجع قلبها لتعبير الألم الذي اعتصر على ملامحه ، ابتلعت ريقها لتكمل بشجاعة " لكن هذا انتهى ، وانتهى منذ فترة طويلة ايضا ... الان انا اريد ان اكون نفسي .. ان استعيد شهد .. لم اعد استطيع تحمل ضعفي لم اعد اطيق استكانتي لكل صفعة تلقيتها واتلقاها في حياتي .. استكانة مذلة مهينة وكأني اطالب بالمزيد من الصفعات .. "

قال بحشرجة " لكني ..." قاطعته مرة اخرى قائلة وهي تقاوم دموعها بصعوبة شديدة " انت ساعدتني ... لاانكر ... لكن ... هذا لااحتاجه الان .. انا احتاج شهد فقط لتساعدني .. احتاج ان اجد تلك الفتاة التي ضاعت مني وتحولت لشبح خائف مرتعب ... انت منحتني بعض القوة لاقف على قدمي لكني لااحتاج للوقوف فقط ، احتاج ان اخطو للامام .. امشي مشوار الحياة ... اركض ... احلق في سماء رب المخلوقات ... "

كان ينظر اليها الان نظرات غريبة ، شعرت انه يرى فيها اشياء لم يرها من قبل ! ولا تعلم اي راحة غمرتها وهو ينظر اليها هكذا .

همست بضعف وهي تبعد يده المتراخية عن ذراعها " جرحك ملتهب عالجه ... انت تجيد تضميد وتعقيم الجروح ..."

عبست وهي تنظر خلفه فلا تجد سيارته لكنها لم تسأله ...

تحركت بحرج لتتركه في وقفته تلك وهي تلهي نفسها لالتقاط اي سيارة اجرة مارة ...

تشنجت كل عضلة في جسدها وهي تستشعر وقفته خلفها ، اخيرا تنفست الصعداء عندما توقفت لها سيارة اجرة ، ترددت قبل ان تفتح باب السيارة الخلفي لكنها لم تستطع الا ان تلتفت نحوه ، رأته يقف مكانه ينظر اليها وكأنه يمنع نفسه من فعل شيء ، ارتعشت شفتاها لتقول بعدها " انا لم اعد شهد التي احبت احمد يوما ... واحمد لم يعد يعني لي اكثر من ذكرى بعيدة يا اسامة .. ذكرى فقط ..."

عاد لشقته .... اخيرا سينام ... بعد ليال مرت عليه كالجحيم يتقلب مع اشواكه التي تمزق روحه ... يعيد مرارا وتكرارا كلمات سهر التي نقلتها عن شهد ذلك اليوم .. فتحتد الاشواك وتنهش فيه اكثر واكثر ...

اليوم فقط استطاع الاختلاء بعقله الذي ضاع منه ، اليوم فقط واجه سؤالا غاب عنه في غياهب شعوره المريع بخسارتها .. بغضبه الجامح منها ...

كان يحملق بغباء في اوراق على مكتبه عندما نبض السؤال فجأة في عقله " لماذا يثق بسهر ؟! لماذا يثق انها قالت الحقيقة ؟! "

فلم يشعر بنفسه الا وهو يقف على قدميه ليغادر مكتبه بخطوات متسارعة دون ان يبال بنظرات سكرتيرته المتساءلة وحتى انه لم يستطع انتظار سائقه ليحضر بالسيارة وبدلا من ذلك اوقف اول سيارة اجرة رآها في الشارع متجها من فوره لبيت الشيخ يحيى ...

لايعلم ما هو الشيء الذي استكان في داخله بعد مواجهته معها ... لكنه يعلم سبب هذه الاستكانة ... انها هي ... فقط هي ... دون اي تفاصيل ....

بدلا من التوجه لغرفته دخل لغرفتها ... غرفتها التي كان يتجنب حتى النظر لبابها المغلق ... الان سيدخلها والشوق يسحره ...

فتح الباب واستنشق الهواء بعمق فتسارعت نبضات قلبه ورائحتها تصله ... نفس الرائحة التي استنشقها منها اليوم وجلدت قلبه ... تلك الرائحة ما زالت هنا كشاهد اثبات انها شاركته العيش تحت سقف واحد....

تحرك بخطوات مرهقة ورمى جسده على سريرها دافنا وجهه في وسادتها ثم حرك ذراعيه ليحتضن بقوة تلك الوسادة ويهمس باسم صاحبتها " شهد ..."

تراخى ذهنه على نسمات عطرها وخيالات وجهها القلق من جرح يده ...

همس اخيرا وهو يستسلم للنوم " سانام ... اخيرا ..."

بعد اسبوعين ...

قال الاب لابنته وهو يناولها هاتفه النقّال " اتصلي به الان ومن هاتفي انا لانه مؤكد لن يرد عليك اذا رآى رقم هاتفك "

نظرت سهر للهاتف في يد والدها وبدلا من ان تأخذه منه رفعت عينيها لوجه والدها باستعطاف قائلة " ما زلت اشعر اني لااستطيع مواجهته ، لااستطيع الاعتراف بما فعلت .."

احتدت نظرات الاب وما زالت يده ممدودة بالهاتف ليقول بحزم " لقد مر وقت طويل بما يكفي لان تستجمعي شجاعتك ، لن امهلك اكثر ونحن لا نعرف الى اي مدى تسببت بالضرر ..."

رآها تضطرب فاضاف ببعض الرقة " اثبتي لي اني احسنت تربيتك ، اثبتي لي ان ما حصل كان فعل خارج عن سيطرتك واني ربيت فتاة شجاعة لتعترف بخطأها ،

ليس امام والديّها فحسب بل امام من اخطأت بحقهم ايضا ، وهذا ليس اي خطأ هذا بنيتي ... انه خراب بيوت ..."

ارتجفت شفتا سهر فاغمضت عينيها ثم اخذت نفسا عميقا، شعرت بالتماسك ففتحت عينيها هذه المرة وقد عقدت العزم فتناولت الهاتف من يد والدها وضغطت على الزر المناسب ...

حالما جاء صوت اسامة مرحبا بتحفظ وقد ظنها والدها حتى قالت له بصوت ثابت " اسامة ... انا كذبت عليك !"

عبست نجوى وهي تنظر لشهد وقد اختلت باحدى الفتيات في غرفة الجلوس ، بدت الفتاة خجلة جدا وهي تهمس لشهد بكلمات لم تصل لاذني نجوى !

هتفت نجوى بحنق " ماذا تفعلين هنا يا فتاة ؟! الا يفترض ان تتمي ما طلبته منك من واجب مع سعاد وسمية ؟!"

ارتبكت الفتاة وشحب وجهها مما اثار حنق شهد وهي تحدج نجوى بنظرات مؤنبة .

قالت شهد وهي تحاول التكلم بلطف " نرجس كانت تريد اخباري برغبتها في تعلم القراءة والكتابة "

عبست نجوى مرة اخرى وهي تقول باستنكار للفتاة " انت لاتجيدين القراءة والكتابة ؟!!"

هزّت الفتاة رأسها نافية ووجهها يحمر خجلا وخزيا، عقدت نجوى حاجبيها ثم قالت وهي توجه كلامها لشهد " حسنا تستطيعين تعليمها ولكن ليس في وقت واجباتها في الخياطة .. والان اذهبي لان الشيخ يحيى يريد مكالمتك في غرفة الضيوف بعيدا عن هرج ومرج الفتيات كما قال !"

ضحكت شهد بينما انحنت لتقبل وجه الفتاة ذات الخمسة عشرة ربيعا ثم توجهت ناحية غرفة الضيوف ...

نظرت نجوى بعبوس لوجه تلك الفتاة نرجس ! كانت الفتاة لطيفة المحيا رغم كثرة البثور على خديها ، عيناها دوما تنظران للاسفل عندما يكلمها احدهم وهذا كان يغيظها بشكل عجيب !

ازداد عبوسها وهي تراها مرتبكة بينما الفتاة الاخرى سعاد تهمس لها شيئا وقد بدت ملامحها مشاكسة ، حتى ان نرجس اخطأت وآذت اصبعها بأبرة ماكنة الخياطة .

تقدمت نجوى منها وقالت بحزم " لاتدعي احدا يزعجك اثناء عملك ، تعلمي ان تكوني قوية ومثابرة لتنالي ما تريدين ،

الحياة قاسية احيانا فكوني اقسى منها بأن
تقهري قساوتها بنجاحك "

هزّت رأسها ب(نعم) وهي هي ما زالت مطرقة
برأسها وقد رفعت اصبعها المصاب لتضعه بين
شفتيها ..

انحنت نجوى نحوها وهي ترتكز على المنضدة
الصغيرة حيث تضع الماكنة ثم قالت "
وارفعي رأسك عاليا يا فتاة ، فمن يملك وجها
جميلا كوجهك لاينكسه هكذا .."

رفعت الفتاة وجها محمرا مذهولا لتنظر لنجوى
وهي عاجزة عن قول شيء لكن تلك العينين

نطقتا بالكثير ... فرحة .. أمل .... طاقة ..
امتنان !

رفعت نجوى نفسها لتوجه كلامها لهن جميعا "
تعلمن التكاتف فأنتن بأمس الحاجة لذلك
حتى تكملن الطريق ويشتد عودكن "

ثم اولتهن ظهرها وهي تقول بحزم " اكملن
عملكن وانا ساعود لاكمل عملي "

طرقت شهد باب غرفة الضيوف استئذانا ثم
دخلت لتجد الشيخ بانتظارها فعلا وهو جالس
على احدى الارائك يشرب فنجان القهوة .

القت عليه السلام فتبسم في وجهها رادّا لها السلام ثم قال ببشاشة وهو يرفع فنجانه عاليا " عجزت جنان عن ارضائي بقهوتها بعد ان تذوقت قهوتك فغضبت مني لاني صارحتها بذلك لتتركني وحيدا هنا قائلة انها ستذهب لاعداد شي من الحلوى للفتيات الصغيرات دون ان تعطيني منها لقمة واحدة !"

ضحكت شهد وهي تتجاهل تلك النغزة في قلبها لتذكرها ان اسامة كان يمدح قهوتها دائما ثم قالت للشيخ بحنان " زوجتك نعمة يا شيخ يحيى .."

رد وهو يطرق براسه " نعم ... انها نعمة كبرى احمد اللّه عليها كل يوم ..."

ترددت شهد ان تبادره هي الكلام فسبقها بالقول " اجلسي يا ابنتي ، هناك امران مهمان ، الاول يخصك مع اختك والثاني يخصك بمفردك ... فاما الاول فقد اخبرت به نجوى وهي تركت لي حرية التصرف فيه وانتظر منك ردا لانك معنية بالامر "

جلست شهد قبالته وقالت ببعض التوجس " خيرا يا شيخ ؟"

رد الشيخ " خير ان شاء اللّه ، الموضوع يخص بيت عائلتك ، مؤيد اتاني للمسجد وهو متذمر حانق لاننا لم نتخذ اي اجراء فيما يخص البيت واعتقد واللّه اعلم انه بدأ يشك انك انفصلت فعلا عن زوجك والامر ليس مجرد خصام زوجين كما ادعيّنا امامه سابقا "

ابتلعت شهد ريقها لتسأله بقلق متزايد " ماذا يعني هذا يا شيخ ؟ وما علاقة زواجي بالموضوع "

قال الشيخ بتأنٍ وهي يطرق قليلا برأسه " علي ان اكون صريحا معك ، في اعتقادي الراسخ واللّه اعلم ان مؤيد لم يسكت عن حقه الا لانه يعوّل على اسامة لانه قادر على دفع ثمن حصته في البيت فلذلك هو ماشانا في تأخيرنا لحسم الموضوع "

اضطربت شهد وهي تتساءل بقلق واضح " اذن ماذا سنفعل ؟ "

دون ان يرفع الشيخ رأسه قال " من جهتي انا ماطلته اكثر وليسامحني اللّه لهذا لكن ليس بيدي حل آخر ، انا احاول جهدي البحث عمّن يشتري حصته ويشارككما في البيت "

وضعت شهد يدها على فمها لتقول بحشرجة " لكن يا شيخ هل سيشاركنا الغرباء في بين والديّنا ؟!!"

رد الشيخ بلطف " ابنتي ... انا في بالي امر اخر يخص بيت العائلة ، البيت ينفع ان يكون كمشغل للخياطة الذي حلمت به نجوى وسيكون مصدرا للرزق والثواب ايضا ، لذلك انا ابحث عن ممول او حتى ممولين لهذا المشروع بمعنى سيكون شريك بالمشغل وليس البيت "

تفاجأت شهد ... لم تخطر في بالها هذه الفكرة ابدا من قبل ! سيكون امرا رائعا حقا ويمكنها ان تخصص قسما خاصا من البيت لتعليم الفتيات وتثقيفهن ممن لايجدن الفرصة لذلك ...

اخرجها صوت الشيخ من شرودها ليقول ببشاشة " تبدو ان الفكرة اعجبتك لتجعلك تبتسمين هكذا .."

ردت شهد بفرح حقيقي " اجل يا شيخ .. الفكرة رائعة جدا واتمنى تحققها فعلا "

لكنها عادت لتتنهد وهي تضيف " لكن خوفي من مؤيد ان لايصبر علينا حتى نجد مشترِ والاسوأ .." تلكأت الكلمات على فمها وهي تطرق برأسها قائلة " الاسوأ ان ام سعيد لاتتركنا في حالنا وهي تراقبني في ذهابي وايابي وتحاول سحب الكلام مني مدعية انها تنصحني لاعادة المياة لمجاريها مع .... اسامة ... "

رفعت شهد رأسها لتكمل وهي تتجاهل هذا الالم المعتاد " في اخر مرة شعرت انها لم تعد تصدق ان الامر مجرد خصام بين زوجين "

قال الشيخ بهدوء " يفعل الله ما يريد ... وهنا نصل للموضوع الآخر ... زوجك بعث لك بنفقة "

هبّت شهد على قدميها لتقول بحدة وعنفوان " انه ليس زوجي يا شيخ ولااريد منه شيئا "

استغفر الشيخ قبل ان يقول بلطف " اجلسي يا ابنتي من فضلك .."

جلست شهد وهي ترفع يدا مرتعشة تلامس عنقها ، لاتعلم لمَ اثارتها كلمة (زوجك) ..

ربما لانها تشعر بالخذلان منه ، ما زالت في داخلها حمقاء وتتمنى ان يأتي ليراها ، ان يشتاق اليها كما تشتاق اليه ، لكن مع مرور الايام ... يئست من النظر عبر النافذة ويئست من البحث عن ظل يلاحقها وهي تسير في الشارع رغم انها وبطريقة ما تستشعر وجوده حولها بشكل غريب !

قال الشيخ بصبر وتأن" اولا انت ما زلت في فترة العدة ، وهو ما زال يعتبر زوجك وبامكانه ردك متى شاء " رفع يده ليمنعها من الكلام عندما حاولت الاعتراض فاكمل بملامح متسامحة " تقبلي هذا الامر يا ابنتي ولاتعترضي ،

ان اقول حقائق لااكثر ومن ضمن هذه الحقائق حقك عليه بالنفقة حتى انه عرض ان يجهز لك سكن خاص "

ردت شهد بتسرع والعبرة تخنقها " هل اثقلنا عليك يا شيخ ؟"

بهت الشيخ قليلا ثم رفع حاجبيه عاليا ليقول بعدها " معاذ الله ! كيف تقولين هذا ؟! يا ابنتي هذه حقوقك من زوجك وهو واجب عليه القيام بها نحوك "

ردت شهد وهي تكتم المها " بالله عليك يا شيخ يحيى ، لااريد شيئا منه ولااطلب الا ان تصبر علي انا واختي حتى نسترجع بيت عائلتي "

استغفر الشيخ قبل ان يقول " يا ابنتي الموضوع لايخص اقامتكما عندي ، صحيح اني رجل بسيط الحال لكن المولى يرزق البركة وانت واختك امانة في عنقي والمولى يرزقني برزقكما ... انا اتكلم عن حقوقك انت والمال من حقك احتفظي به لنفسك .."

ردت شهد بهدوء " حسنا شيخ اسامة اذا اصريّت على الامر فأي مال يبعثه خذه انت وتصرف فيه كما تشاء ، اعتبره من ضمن المال الذي يأتيك بالتبرعات "

تنهد الشيخ وهو يسألها " هل انت واثقة من رغبتك هذه ؟"

ردت بثبات " كل الثقة ..."

بعد شهر ...

قالت جنان وهي تناظر الاختين يرشفان القهوة الصباحية " انا ذاهبة للتسوق يا بنات ، هل تريدان شيئا مني ؟"

ابتسمت شهد وهي تهز برأسها علامة النفي بينما قالت نجوى " هل تريدين مني مرافقتك يا جنان ؟"

ردت جنان بوجهها الصبوح " لا عزيزتي ، لن اشتري الكثير ، ساعة على اكثر تقدير وساكون في البيت ان شاء الله "

خرجت جنان والاختان شابهما صمت متوجس ، الفكرة البغيضة ذاتها تسيطر عليهما معا ، الشيخ يحيى لم يصل لمشترٍ وقد حاول جمع المال ولكن لم يصل حتى لربعه ، وقد عاد اليه مؤيد بالامس يلح عليه في تجبر مقيت ويهدده برفع قضية فما كان من الشيخ الا الرد عليه بأنه سيرفع لاختيه قضية ايضا

لانهما ليس لديهما مأوى غير هذا البيت
وعندها سأله مؤيد بصفاقة عن وضع شهد ؟

اطلقت شهد تنهيدة عميقة مما جعل نجوى
ترفع رأسها نحوه لترى هذا القلق الذي يغطي
محياها ، ربتت على يد اختها لتقول " سنجد
حلا يا شهد ، انا اثق ان الله سيلهمنا الحل "

ثم ابتسمت لتشجعها قائلة " وحتى لو اضطررنا
لبيع البيت لامشكلة ابدا نستطيع ان نجد ما
يؤينا "

همست شهد بارهاق ذهني " هل تضحكين على
نفسك يا نجوى ؟! نصيبنا في البيت لن يجعلنا
نجد شيئا مناسبا كما اننا لا نستطيع البقاء
هنا في بيت الشيخ الى الابد ، وماذا عن
مشروعك وقد التحقت فتاتان اخريتان والحر
هلّ مبكرا ولحد الان لم نستطع تدبير
مكيف هواء ... كل الامور تشابكت
واصبحت صعبة ... الناس هنا بدأوا يسمعونني
الكلام بسبب عدم حضور اسامة لمصالحتي
حتى ان ام سعيد سألتني قبل يومين ان كان
طلقني فعلا ؟"

صوت رنين الجرس انهى حوارهما فاستقامت
نجوى واقفة على قدميها لتقترب من الشباك
وتنظر من يقف بالباب ..

همست نجوى بتصلب " شهد ... هذا مؤيد"

وقفت شهد لتقترب من اختها وتنظر هي الاخرى ، رأت مؤيد عند الباب يقف متململا حانقا ..

زمّت شهد شفتيها وقالت بصلابة " سادخله ، ولنرَ ما يريد ، لقد تعمد الحضور بغياب الشيخ ومؤكد رآى جنان تخرج قبل قليل ... اذن هو يريدنا نحن فقط ويظن اننا اضعف من مواجهته دون وجود الشيخ وجنان "

تحركت نجوى بهدوء فالتقطت حجابها وضعته كيفما اتفق على رأسها وقالت وهي تفتح الباب لتخرج " سيبقى غبيا للابد !"

تكتفت شهد وهي تنظر لمؤيد ببرود بينما نجوى تطالعه بلا مبالاة اما مؤيد فلم يهتم للحظة بردة فعليهما وعندما اراد اغلاق الباب خلفه اوقفته نجوى قائلة " دع الباب مفتوحا فلن يطول بقاؤك هنا "

عبس مؤيد وهو يقول " هل ستدعين اخاك يكلمك من عند الباب وهو واقف على قدميه ؟!"

ردت شهد ضاحكة بسخرية " اتمنى ان تتوقف عن مشاهدك التمثيلية هذه لانك فاشل جدا في ادائها "

رفع مؤيد حاجبا واحدا وهو ينظر لشهد باستهانة ثم قال مبتسما ابتسامة فجّة " ما اجمل المشهد الذي تمثلينه انت يا اختاه ؟!! الفتاة القوية التي لاتهاب شيئا .."

عندها قالت نجوى ببرود " ماذا تريد مؤيد ؟"

تركزت عينا مؤيد على شهد وقد التمع فيهما المكر ليقول بلهجة غامضة " جئت من اجل اختي الصغيرة ال ..... مطلقة ..."

شحبت شهد فاخرستها كلماته بينما لمع الانتصار في عينيه فحاولت نجوى تدارك الامر قائلة " انها ليست مطلقة ، هي فقط ..."

قاطعتها شهد لتقول بثبات وهي تنظر لعيني مؤيد ندا بند " انا مطلقة ... نعم ... وماذا تريد الان ؟! هل لديك عجوز جديد تريد بيعي له ؟"

ضحك مؤيد ضحكة قبيحة ثم قال ببشاشة مصطنعة كريهة " يا اختي الصغيرة الجميلة ... انت لاتعرفين قدر نفسك ويبدو اني غبنت حقك ايضا .."

كان صوت نجوى قلقا وهي تسأله " ماذا تقصد بهذا الكلام يا مؤيد ؟ حتى وان تطلقت شهد لن تستطيع اجبارها على شيء ؟"

رد مؤيد والابتسامة لم تفارق شفتيه ليقول " حتى وان كان العريس على استعداد لشراء بيت والديّنا العزيز جدا بروائحه المميزة الغالية ليكون بالكامل باسمها ؟ اليس هذا افضل من انتظار الشيخ الى الابد في محاولات سخيفة مضحكة لجمع ثمن حصتي من البيت "

تلعثمت نجوى وهي تنظر لشهد التي لم تفارق عيناها عينيّ مؤيد لتقول بشراسة تنبع من خوفها على اختها " مؤيد اخرج من هنا "

لكن مؤيد لم يبال بكلام نجوى وظل ينظر لشهد ثم قال " والرجل ليس عجوزا بل انه في نهاية الاربعينيات فقط ، رآك مرة واحدة وجن بك "

رفعت شهد حاجبيها باستهانة لتسأله " واين رآني بالضبط ؟"

لهث مؤيد وقد تصور بعض الرضا في سؤالها ليقول على عجالى " انه السيد حاتم الذي احضرته لشراء البيت سابقا ، منذ ان رآك وهو متيم بك وقد نستطيع ايضا اجباره على تطليق زوجتيه اذا كان هذا يرضيك "

هدر صوت نجوى قائلة " ايها الحقير البائس "

صرخ مؤيد بنجوى مهينا اياها قائلا " اسكتي ايتها القبيحة الغيور .. انت وهذا الحجاب القميء الذي زادك قبحا .."

علا صوت الصفعة وللحظة تصورت نجوى انها هي من صفعته ! لكن لم تكن الا شهد من فعلتها وهي تصرخ في وجه مؤيد الذاهل " انت القبيح الدنيء عديم الشرف ، لااعلم كيف خرجت من رحم امنا ، تلك الام التي امتلكت كل الطيبة ... انك حقير وتافه وحثالة و ...آآآ"

خرج مؤيد من ذهوله ليزمجر قبل ان يمد يده يمسك بشعر شهد بعنف من الخلف وهو يشتمها بافظع الشتائم ، انتفض غضب عارم في صدر شهد فاخذت تكيل لوجهه الضربات وتخربشه باظافرها وهو يلعن ويشتم !

ثم فجأة شعر مؤيد بشيء يخز بطنه من الجانب وصوت نجوى يقول بمقتٍ شديد " ابتعد عنها ايها النذل قبل ان اغرز السكين في بطنك "

في لحظة واحدة تحررت شهد وتراجع مؤيد خطوة بعيدا عنهما معا ...

كان وجهه يحمل سمات الخوف والجبن وهو يتطلع لوجه نجوى المصمم بينما يدها اليمنى تحمل سكينا كبيرا ترفعها دون وجل او ارتعاش امامه اما شهد فشمخت بجانب اختها وهي ترمقه باشمئزاز وتقول " ابتعد عنا مؤيد ، انسَ ان لك اختين ، مع انك لاتعرف اصلا ان لك اختين من دمك ولحمك ..."

قالت نجوى بنفس الاشمئزاز " اي اخ ؟! انه مجرد رجل ديوث ... "

اصوات حركات في الخارج لم يتنبه اليها ايٌ منهم واما مؤيد فرغم خوفه من تهورهما نحوه الا انه قال وقدماه تتراجعان للخلف " ستندمان على فعلتكما هذه .."

ذراعان قويتان طوقتا مؤيد بعنف من الخلف وصوت هادر يقول " انت الذي سيندم ان اقتربت مرة اخرى ، لقد حذرتك ان لاتقترب .."

جحظت عينا شهد وهي ترى اسامة يحمل مؤيد الى الخارج ودون تفكير لاحقتهما لترَ كيف رماه ارضا امام باب البيت الخارجي ثم بصق في وجهه ، ثم تنبهت لوجود رجل ضخم الجثة يقف قريبا وقد بدى متحفزا لكنه لم يتدخل بينما مؤيد تحامل على نفسه ليقف على قدميه وهو ينظر لاسامة ببغض شديد ويقول " لايحق لك التدخل بيني وبين اختيّ ،

وسابلغ عنك الشرطة لان شهد لم تعد زوجتك اصلا ، وساتهمك انك تلاحقها وقد جن جنونك عندما علمت بزواجها من رجل اخر افضل واغنى منك ، واياك ان تنكر انك طلقتها لاني اعرف عن يقين انك فعلتها "

اطلق اسامة صوتا يعبر عن غضب مجنون فتقدم نحوه بينما شهد تناديه بقلق شديد " لاتفعل اسامة ... ارجوك ... لاتثر لنا فضيحة في الحي .."

زمجر اسامة وبدلا من ان يضرب مؤيد أمسكه من ياقته بعنف وهدر قائلا " شهد مسؤوليتي رغما عنك قبل ان تكون زوجتي وليكن في معلومك اني رددتها لعصمتي فانسَ اي اتفاقات حقيرة تريد عقدها على حسابها "

ثم رماه بعيدا ليقول بانفاس هائجة " وحقك في بيت والدكم سيصلك عن طريق الشيخ واقسم باللّه ان رأيتك قربها او قرب نجوى مرة اخرى ساقتلك بنفسي ..."

ابتعد مؤيد هاربا بينما استدار اسامة نحو الرجل الضخم المتحفز ليقول بغضب من نوع آخر " وانت حسابك معي لاحقا ، كان يجب ان تدخل قبل هذا ولاتنتظر وصولي ، فماذا ان تأخرت لاي سبب ؟ "

فرد الرجل معتذرا " آسف سيد اسامة لكنني احترمت حرمة بيت الشيخ ومع ذلك كنت قريبا فعلا وعلى وشك التدخل عند وصولك "

كانت شهد ما تزال تقف مع نجوى في المرآب الصغير على بعد بضع خطوات من اسامة بينما وصلتها همسات نجوى المتسلية " يبدو انك يا اختي قد عدت متزوجة فجأة ودون علمك ويا لها من مفاجأة !"

عقدت شهد حاجبيها واستدارت لتدخل البيت بينما لحقتها نجوى لتمسك ذراعها وهي تقول بعجب " الى اين تذهبين ؟!!! يجب ان تتكلمي معه .."

قالت بعنف " لااريد ... لايحق له فعل ما فعله "

جاء صوت من عند الباب " سنرى الحقوق فيما بعد ، لكن .... عندما نكون على انفراد "

قالت نجوى بسخرية وهي تنسحب " غرفة الضيوف على جهة اليمين ... "

لم ترفع شهد رأسها لتنظر اليه فاكتفت بأن قالت بتصلب " تفضل من هنا .."

ضحكته الخافتة تلاعبت بقلبها .. يا الله مر زمن طويل منذ ان رأته وسمعت ضحكته ..

سبقته الدخول لغرفة الضيوف وما ان لحق بها حتى التفت ليغلق الباب خلفه فعقدت حاجبيها وهي تنهره قائلة " لاتفعل ... لااريد ان ينغلق علينا باب واحد .."

غامت عيناه وهو يتطلع اليها صعودا ونزولا فاشاحت بوجهها بينما قال بصوت اجش " اعتذر ولكن نحتاج لهذه الخلوة "

ودون ان يبال باعتراضها اغلق الباب ..

تقبضت يداها وهي تنظر لعينيه بثبات رافضة وهنها وذلك الافتقاد الذي يفترسها من الداخل ...

سألته بتماسك وهي تدعي السيطرة والبرود " اولا اريد ان اعرف ماذا حصل للتو ؟! من ذلك الرجل الضخم وكيف حضرت في هذا التوقيت بالذات ؟! هل ...."

قاطعها ببساطة وابتسامة واهنة على شفتيه " نعم اراقبك والرجل لحمايتك من مؤيد بالذات ، وكل يوم كنت افكر بقتل ذلك الضخم البليد لانه يحظى برؤيتك دونا عني ، ولاتلوميني لاني اخاف عليك ولم احتمل ان تبقي دون حماية "

ابتلعت ريقها رافضة تأثرها بغزله غير المباشر ثم قالت وهي تتكتف مستعينة بأي غضب تجده في اعماقها نحوه " هل رددتني حقا لعصمتك حقا ؟"

تقدم منه عدة خطوات ليهمس قريبا منها بصوت أجش " لا ... لم افعل !"

تراخت ذراعاها لتسقطا جانبا ! لاتعرف ما هذا الخليط العجيب من المشاعر الذي انتابها ، غضب ... قهر ... خيبة امل !

سألت ورعشة تخذلها " لم تفعل ؟! "

اكتفى بهز رأسه علامة النفي وهي تستشعر اقترابه اكثر حتى لامستها انفاسه الحارة ...

ابعدت وجهها وهي تقاوم دموع الغيظ وخيبة الامل لتقول بحنق شديد " اذن لماذا اتيت ؟ لماذا ضربت مؤيد وقلت له .... ما قلت ؟!؟ "

تطلعت اليه مباشرة وهي تشعر بكل هذا الضيق منه فوجدت عينيه تلمعان وهو يدقق النظر في وجهها وقد تعلقت ابتسامة عاطفية على شفتيه ، احمرت رغما عنها وهدرت بغضب " هل ما زلت تعتقد اني اضعف من ان ادافع عن نفسي ؟ انت مخطأ ... مخطأ كليّا... حتى لو قتلني فلن اهابه ... "

لم يرد ... فاكملت بتحشرج وغضبها اللعين يتراجع لسبب ما " لذلك .... انا لا احتاج لمساعدتك .. "

ايضا لم يرد ولم تتغير تعابيره وهو يرمقها بتلك النظرات التي امسكت بتلابيب قلبها فقالت بعناد واهن وهي تشعر انها تتلاشى امامه " لم اعد اريد تلك المساعدة ... لا اريدها "

مال بوجهه نحوها حتى انها اقشعرت تأهبا لملامسته التي لاتجد قوة لمنعها الان ولكنه لم يفعل ! فقط همس فوق وجنتها " فعلتها لاجل نفسي .. نفسي فقط !" ثم مال اكثر نحو اذنها ليهمس بحرارة " لا اطيق ان ينظر اليك رجل فكيف اذا فكر احدهم أنه يستطيع الزواج منك لقد تحملت فيما مضى ولكني لن احتمل بعد .. "

انفاسه الدافئة ما زالت تلفحها وهو يرفع وجهه قليلا وقد تهدلت بضع خصلات من شعره على جبينه وماجت عيناه بالعاطفة ليهمس بصوت مبحوح " هذا لايعني اني لااريد ان اردك حقيقة ... لكني احتاج فقط ان... تقوليها ..."

ارتجفت وهي تسأل ببلاهة " ماذا اقول ؟"

رد بنبرة لحوحة حارة " قولي (رُدني اليك اسامة) وسافعلها في التو واللحظة " رأته يبتلع ريقه بوضوح وهو يكمل " لن افعلها حتى تطلبينها انت بنفسك "

ارتبكت من هذا الهجوم الناعم على كل دفاعاتها فهمست بأسمه " اسامة .."

يداه ارتفعتا فجأة لتحتضنا وجهها بارتعاش يوازي ارتعاش صوته وهو يقول " فقط احبيني قليلا لتجدي قولها يسيرا عليك ... لتشعري بالرضا لأن تعودي لي وانا ساكون راضيا في كل الاحوال ما دمتِ ستعودين "

مال اكثر وقد بدى فاقدا قليلا للسيطرة ، لامس بانفه جانب خدها واخذ نفسا عميقا ..

همست وهي ما تزال تقاوم كل ما يحدث " اسامة ابتعد .."

ضحكته الخافتة سبقت صوته وهو يهمس " اني اشمك فقط ... رباااه .. اشتقت لرائحتك التي تسربت من اركان شقتي هربا من ملاحقتي الدائمة لها "

همست وهي تنهار " اسامة "

رد همسا وفمه امام فمها " اسامة مذبوح من الوريد الى الوريد .. عشقا بك "

عاندته ولا تعلم لماذا! قائلة بتقطع " كا... كاذب .."

تنهد بقوة وهو يقول بشجن " ليتني كنت ! لكنت كذبت على نفسي بأني لااحبك وارتحت ... "

لم يصبر اكثر وهو يضمها اليه محطما ذلك القيد الذي وضعه هو بنفسه على نفسه ..

تمادى وهو يترك شفتيها ليقبل عنقها بعاطفة عميقة .. عمق عشقه لها...

كانت تستند لكتفيه وهو تعترض بوهن "ماذا تفعل ؟! انت .. هل .. جننت .. اقسم انك .. مجنون و..."

باب وانفتح على مصراعيه وتدفقت مشاعره كرياح عاتية ... همست وهي تحاول دفع يديه عنها " لا اسامة ....لا ..."

واجهها وهو يهمس بحرقة " انا غبي لاني سمحت للحظة جنون ان تقودني للتفريط بك ... "

رأت في تلك العينين الخضراوين ألما لايطاق فقالت برقة وهي تلهث من تأجج مشاعرها " انا من طلبت الطلاق "

رد بهمس غاضب " وانا منحتك اياه ... "

رفعت احدى يديها لتلامس خده وتقول بتسامح " لانك سبق واعطيتني كلمتك انك ستحررني متى طلبت .."

ادار وجهه جانبا ليلثم باطن كفها ويقول بحشرجة " بل لاني خفت عليك من جنوني ساعتها ..."

تطلعت اليه بحيرة وهي تسأل " انا لاافهم ..."

ردد بارتعاش " لايهم ... لايهم اي شيء ...
المهم اني اريدك كما انت ، لكن ..
برضاك هذه المرة ... دون ان اضغط عليك ..
لاني هذه المرة لن اطلقك ولاخلاص لك
مني الا بالموت "

رفعت يدها بقوة لتضعها على فمه وهي تقول بعنين دامعتين متألمتين " لا تقل هذه الكلمة "

رد بحشرجة " هل تخافين علي ؟! انا راض بهذا .. لم يعد يهمني ان تحبيني ، يكفيني ان تشعري نحوي بما يجعلك قلقة علي تلاحقيني باهتمامك الحنون ، اما انا فلا اريد اكثر من ان احبك .. ان احبك وكفى .."

شيء ما يمنعها من ان تقول ... من ان تفتح تكشف قلبها امامه .. ذلك الغبي العديم الفهم ! ... قالت بتردد " اسامة ... هل انت واثق حقا انك تحبني ام انها رغبة قديمة لامتلاكي ؟ يرعبني التفكير اني لاامثل لك الا رغبة للحصول على ما حرمت منه وهذا ... هذا يؤلمني بشدة ويجعلني اشعر ......"

لم تستطع ان تتم كلامها وقد خنقها
الاحتياج لان يكون يعشقها فعلا ...

صمت لبضع لحظات قبل ان يقول " هل هذا ما
تظنينه يا شهد ؟ اني مجرد مهووس بك؟ "

عضت شفتيها بينما يكمل اسامة بضعف "
نعم انا مهووس بكل يخصك ، مهووس بشهد
الطفلة التي كانت تحاول ابعاد اذى مؤيد
عني وهي اضعف منا نحن الاثنين وشهد
المراهقة التي كانت تبتسم لي فتشرق شمسي
الخاصة ، وشهد الشابة العاشقة لاحمد وانا
اموت ألما وغيرة لاحظى ولو بنظرة حب واحدة
منها، وشهد العروس التي راقبتها تغادر مع
عريسها عدنان وانا اشعر ان قلبي يتفتت

كمدا، وشهد الضعيفة التي تتهرب من نظرات
الناس حولها وتستكين بيأس لتجبّر مؤيد
عليها فاقتل غضبي لامنع نفسي من ان اخطفها
بعيدا رغما عنها وعن الجميع "

سألت دموعها وهي تضحك تأثرا وتقول "
ولكنك فعلتها ! خطفتني وانا اركض
كالمجنونة في الشارع "

لامس خديها يمسح دموعها ليقول بصوت أجش
" لم احلم تلك الليلة وانا اراقب زفافك للمرة
الثانية انك ستفعلينها حقا ... انت لاتعرفين
كيف زلزلتِ كياني تلك الليلة وكيف
اختلطت مشاعري ولم اعد اعرف من أنا وماذا
اريد حقا !"

حدقت فيه فاطرق قليلا وهو يعترف همسا " لايام اوهمت نفسي اني اساعدك فقط وفي المقابل سارد لمؤيد الصاع صاعين وهو يراك تحت جناحي ، أأ ... أعترف اني في غمرة مشاعري المختلطة كان هذا ما يطفو على السطح ، خصوصا مع وجود سهر في حياتي ، سهر التي اخترتها لانها تمثل الحياة التي تعبت في بنائها لنفسي "

عاود النظر اليها وهو يتوقع انه جرحها وبدلا من ذلك وجدها تنظر اليه بأمل ! فاكمل بعاطفة " لكن ... كلما مر يوم وجدت اني ابتعد عن سهر واقترب منك انت .. كنت الهث انهاكا وانا امنع نفسي عنك ، لكن افلت الامر مني وتزوجنا ثم انهارت مقاومتي تماما وانت تعذبيني بوجودك قربي .. انت واشياءك المبعثرة حولي، بعدها ... اصبحت فجأة بين ذراعي ! اهمس باسمك واتعذب وانا اكتم كلمات العشق عنك ..."

تأوه وهو يدفن وجهه في عنقها هامسا بعذاب " انت ... دوما انت يا معذبتي ... وستبقين دوما بهذا التأثير القاتل علي ! " اختنق وهو يكمل " حررتك مني لاني شعرت انك لن تحبيني ابدا والغيرة نهشت روحي واحرقت صدري لانك طلبت الطلاق فقط بعد رؤيتك لاحمد ... خفت عليك من جنوني فلم اقترب ولم اعارض....

ظللت لايام ادور في انحاء الشقة كالمجنون بعد ان كسرت كل شيء حولي ، كنت لااطيق البقاء ليلا فاخرج في شوارع المدينة اقود سيارتي برعونة حتى فقدت السيطرة ذات ليلة لاصطدم كاحمق بجذع شجرة "

همست بتحشرج " يا الهي ! تلك الكدمة .. واللاصق الطبي ... "

همس دون ان ينظر اليها " لا بأس .. لم اصب بسوء ... فقط سيارتي تحطمت "

سألته على حين غرّة "هل لهذا اتيتني ذلك اليوم ؟ لانك كنت تريد ان تعرف لماذا طلبتها!"

هزّ رأسه ايجابا وهو يلامس بشفتيه بشرة رقبتها ويقول بارتعاش عاطفي " تركك لاسابيع كان مدمرا لي ، لكني اردت ان تصنعي شهد جديدة ، اعشقها كما عشقت سابقاتها ، لكن هذه المرة شهد ستكون لي انا وحدي ، اعلمها ان تعشقني انا وحدي .."

لفّت ذراعيها حوله تضمه اليها دون خجل تدفن نفسها في دفئه الذي لاينضب .... تأوه مرة اخرى وهو يعتصرها عصرا بين ذراعيه يشمها يهمس باسمها .. يطلق كل آهات العشق التي كتمها سنين طوال....

دفنت وجهها في رقبته تستنشق رائحته وهي تهمس بعاطفة حارة " افتقدتك الى درجة الألم ، افتقدت دفئك ورائحتك .."

ارتعش جسده فرد لها بهمس متوسل " يا الهي شهد ... انت بلا رحمة! قوليها .."

ضحكت ضحكة ناعمة خافتة ثم رفعت رأسها قليلا لتلامس شفتاها اذنه " اسمع صوت الشيخ يحيى وهو يدخل البيت فلا تتهور وانا اقولها لك ... انا لاافتقدك وحسب يا غبي انا احبك بجنون يا مجنون! احبك لدرجة اني ساموت ان لم تردني اليك الان .. "

جمد تماما ليخرجه من جموده صوت طرقات على الباب فشتم بينما شهد تبعده عنها وهي تبتسم له نفس الابتسامة التي عشقها يوما.. ابتسامة صافية من القلب علت وجه مراهقة سكنت كل ايامه ... واغلى احلامه .

الخاتمة

بعد عام ...

عصرا ....

ترجلت نجوى من الحافلة بصحبة سلمى التي ما زالت لاتتكلم منذ خروجهما من مركز الشرطة .

حاولت نجوى جهدها ان لاتظهر تأثرها بخطوات سلمى المتعثرة وهما تسيران عائدتين للمشغل ..

المشغل... ابتسمت رغما عنها ساخرة من تعودها على اطلاق هذه التسمية لما كان يوما بيتها ... بيت عائلتها ... بيت كانت تمقته وهي تمد جذورها الواهنة فيه (مرغمة) تتعلق كطفيلية ضعيفة بأمان جدرانه الكاذبة !
ثم اكتشفت بعد اربعين عاما في هذه الدنيا ان الامان لايحدده سقف ولاتحتضنه جدران اسمنتية ، الامان ينبع من اعماقنا عندما ندرك اننا تحت ظل المولى سبحانه هو من يسبب الاسباب ، هو .. جل في علاه ... اذا شاء فانه يبني جدرانا لاتهن ابدا في حماية من يستجير به ويتوكل عليه ...

وهكذا عادت لذلك البيت الذي كرهته لسنوات تستجير بفكرة العطاء ليجعلها اللّه حصنها الحصين لها ولغيرها ...

تعثرت الفتاة بحجر قاسٍ كبير واوشكت ان تمد نجوى يدها لتسندها لكنها تراجعت وهي ترى سلمى توازن نفسها بنفسها ...

هذا افضل ... يجب ان تتعلم الفتاة التعامل مع عثرات الحياة بنفسها .

كتمت تنهيدة وهي ترى بطرف عينها تلك الفتاة المراهقة منسكة الرأس تحاول جهدها كتم دموعها ، ما حدث اليوم والفضيحة التي اثارها والد الفتاة السكير في المشغل كان مخزيا لسلمى امام بقية الفتيات .

ابتسمت نجوى ابتسامة عريضة حتى اوشكت ان تضحك وهي تتذكر اختها شهد التي اظهرت غضبا مرعبا ارعب الرجل والفتيات الاخريات في المشغل وحتى ارعبتها هي نجوى نفسها !

لقد اخذت شهد تزمجر وتهدر وهي تسحب سلمى بقوة لتخلصها من قبضة ابيها القاسية بينما كان ذلك الرجل البغيض يحاول جر ابنته خارج المشغل بحجة ان ما تحصل عليه من راتب ضئيل لايكفي لمأكلها ومشربها حتى !

سخرت نجوى في سرها قائلة " الراتب الضئيل لايكفي لتوفير قنينة خمر يومية والتي لايستغني عنها ابدا !! "

كانت نجوى على وشك الوصول للمشغل مع الفتاة عندما التقت على الجانب الآخر من الشارع الضيق بأم سعيد وزليخة ، ابتسمت نجوى ساخرة وهي ترد على نظراتهما الفضولية المتفحصة ! مؤكد هما كانتا بانتظار عودتها ليجدا حديثا ينشرانه في الحي على طريقتهما الخاصة.

تعجبت نجوى من احوال زليخة هذه ! فبعد وفاة زوجها ظلت لفترة معتصمة في بيتها ، هزّت نجوى رأسها وهي تتذكر كيف انها شعرت فعلا بالاشفاق عليها !

لكن فيما بعد بدى واضحا ان خنوع زليخة ما كان الا مجرد فترة عابرة لتنهض المرأة من جديد وتستعيد روحها القبيحة وتأخذ دورا يلائم هذه الروح فتصبح (المساعد الشخصي الاول) لام سعيد !

وهكذا تقضي المرأتان الوقت بالتنقل بين ارجاء الحي والتقاط الاخبار هنا وهناك من ألسنة النساء التافهات ، بعدها يبتدعا القصص المحكنة ليرضيا تلك النزعة المرضية التي تتوق للتفوق بالمعرفة حتى وان كانت معرفة ملفقة !

لامست نجوى الباب الحديدي الابيض للبيت فابتسمت بحنو وهي تنظر لتلك اللمعة المميزة لاصباغ رخيصة استخدمتها هي والفتيات لطلاء الباب واخفاء الصدأ القبيح

الذي شوهه ونخر فيه ثم تذكرت كيف تحمست بعض الفتيات فتبرعن بصبغ اطارات الشبابيك ايضا .

فتحت نجوى الباب وصوت خطوات تقترب من خلفها وبينما تلتفت سمعت صوت الشيخ يحيى يقول ببعض القلق " السلام عليك اختاه "

ردت نجوى السلام ثم قالت لسلمى " ادخلي يا صغيرة وخذي حماما ساخنا لتسترخي فما زال لديك عمل لتنهينه قبل صلاة العشاء "

هزّت سلمى رأسها ايجابا قبل ان تدخل بتعثر اكبر لتتخفى من خجلها خلف جدران ذلك البيت الذي اصبح بيتا يأويها الى ما شاء اللّه ...

انتظر الشيخ يحيى دخول الفتاة قبل ان يسأل باهتمام " جنان اخبرتني ان والد الفتاة اتى مرة اخرى وكان عنيفا وهو يحاول اخراج الفتاة من المشغل "

ابتسمت نجوى ساخرة " كل ما يراه في سلمى قنينة شراب لايقاوم ادمانها فمتى ما حصل على مبتغاه نسي سلمى وكل ما يخصها !"

حوقل الشيخ وهو يسأل بقلق " وكيف انتهى الامر ؟"

ردت نجوى بابتسامة مرحة " بعد ما فعلته شهد به وذهابنا لمركز الشرطة ارضيته بأن اعطيه جزء من راتب سلمى على ان تقيم معي بشكل دائم وانا ساكون معنية باكلها وشربها "

قال الشيخ بهدوء وترو " اختاه جازاك الله كل خير لكن هذه ثالث بنت تأويها ، سيكون صعبا عليك اذا استمريت على هذا المنوال !"

ردت نجوى بثبات " الرزق من الله يا شيخ وكلما آويت فتاة اشعر ان بابا جديدا يفتح من حيث لاادري .."

تبسم الشيخ وهو يقول " بارك الله بك وفي رزقك ورزق فتياتك "

ابتسمت نجوى وكلمة (فتياتك) تمنحها شعورا لايضاهى بالفرح وبالفخر ، لم تعقب بشيء بينما احنى الشيخ رأسه ليمد يده في جيب جلبابه ثم اخرج ظرفا ليناوله لها وهو يقول بوجهه المشرق " بداية الغيث قطرة ، اعطاني احدهم اليوم هذا المبلغ لاعطيه لمن يحتاج ، كان الرجل مبتهجا لشفاء ولده ، هو ليس بالمبلغ الكبير لكنه سينفعك في معيشة الفتيات "

اطلقت نجوى نفسا مرتاحا مبتهجا وهي تأخذ الظرف وتقول " ألم اقل لك ؟! الحمد للّه ، كنت اعرف انه سبحانه لن يخذلني "

حمد الشيخ ربه هو الآخر عندما فاجأته نجوى بالقول " انا دخلت بيتك يا شيخ كسيرة مهيضة الجناح وخرجت منه محلقة في السماء ! وهذا ما اريده لتلك الفتيات ... فتياتي ... واتمنى ان اقدم لهن ما قدمته لي انت وجنان ولو بمقدار ضئيل "

اطرق الشيخ ليبهرها بهذا الخجل من كلمات مدح يستحق افضل منها فاضافت بامتنان " انت اخي يا شيخ يحيى .. اخي الذي لم تنجبه امي ، انت علمتني معنى هذا الشعور بالاخوة ، اخوة في الدين ونظراء في الخلق كما عبّر الامام علي كرم اللّه وجهه "

رد الشيخ متبسما دون ان يرفع وجهه " حسنا ، اخوك في الدين يطالبك بفنجان قهوة الليلة ، ساحضر جنان ونأتي لنسهر معكم ، فجنان لاتكف عن التذمر منذ رحيلك .."

قالت نجوى مرحبة بملامح مشرقة بالرضا " سأكون بانتظاركما دوما .. "

تطلع الرجلان لبعضيهما وهما يستمعان بملل لصراخ مؤيد في الداخل ، قال احدهما متذمرا " هل ساظل انتظر حتى يشبع رغبته المجنونة لارعاب النساء ؟! لقد اصبح لايطاق .. "

ابدى الثاني ملامح لامبالية مع بعض الاشمئزاز الصامت ليلتفت نحو المنضدة امامه مادا يده ملتقطا قنينة الشراب فيسكب بعضا منه في كأسه ليتجرع ما سكبه دفعة واحدة ..

قال اخيرا وعيناه تجولان حوله " هذه الشقة افضل من سابقتها ، اكثر ترتيبا ونظافة "

ضحك الرجل الاول عاليا ليقول بعدها " هذه الشقة يا عزيزي لاتقل وساخة عن سابقتها لكنك تغرك المظاهر فحسب "

برم الثاني شفته السفلى بلا اهتمام ليكمل الاول وهو ينحني براسه نحو صاحبه هامسا " هل تعلم ان مؤيد خسر الكثير من المال في السوق مما جعله يمتهن ادارة بيت للدعارة ؟!"

عاد الثاني ليسكب المزيد وقد ازعجه سماع صوت مؤيد يصرخ مرة اخرى مع صوت بعض الصفعات ثم قال مشمئزا " نعم اعرف ، انه غبي وضعيف لايجيد لعبة السوق لكنه يجيد لعبة السيطرة على النساء الضعيفات !"

اوشك الاول ان يعقب لكنه امتنع ما ان سمع صوت احدى ابواب الغرف يفتح ليطل منه مؤيد بوجهه العابس لكنه سارع لرسم ابتسامة مقززة وهو يقول رافعا حاجبا واحدا بسماجة " من عليه الدور يضع المال امامي قبل ان يدخل "

بعد ساعة ...

اختلط صوت ضرب مبرح وصرخات جريحة مع صوت الباب يكسر ورجال الشرطة يداهمون المكان الذي ازكمت رائحته الانوف بفضائحه واصمت الآذان بفظائعه ...

بعد منتصف الليل ..

دخل اسامة الشقة بعد منتصف الليل حاملا كيسا صغيرا بيده عسى ان يشفع له عندها ، ابتأس عندما لم يجد نورا خافتا بانتظاره في غرفة الجلوس كما تعود منها ! اذن فهي ما زالت غاضبة منه لحد الان ...

تنهد وهي يجر خطاه كطفل خائب الامل ، مر بالغرفة القديمة التي كانت لها يوما.. لكنه تجاهل النظر لبابها المغلق وتابع السير نحو غرفة نومهما الرئيسية ممتنيا النفس انها لم تفعلها به مرة اخرى !

لكن ما ان دخل الغرفة حتى اطلق تنهيدة اكثر حسرة ! شهد ليست في سريرهما !! اذن فهي غاضبة جدا .. اكثر مما كان يأمل ... اذن فهي تنام في تلك الغرفة التي تلتجأ اليها كلما غضبت منه

شتم وهو يتوعد انه سيهد بنفسه غدا صباحا تلك الغرفة !

زمّ شفتيه حنقا وهو يرمي الكيس على كرسي قريب ثم اخذ يخلع ملابسه متوجها نحو الحمام ، كان رذاذ الماء يصب فوق رأسه وذكرى ما حصل في مركز الشرطة يصيبه هو الآخر بغضب متجدد !

لايصدق انها تتشاجر مع رجل سكير وهي في حالتها هذه ؟!! انها تصبح مجنونة احيانا اذا تعلق الامر بتلك الفتيات في المشغل ! لقد جعلته يفقد اعصابه في مركز الشرطة عندما استدعوه ويضرب رجلا يكبره بعشرين عاما على الاقل لانه تجرأ وشتمها ..

اكمل حمامه واكتفى بارتداء سروال قطني طويل قبل ان يحمل الكيس في يده مرة اخرى متوجها لغرفة الاعتصام !

اخذ نفسا قبل ان يمد يده ليفتح الباب وارتاح قليلا انها لم تغلقه بالمفتاح ...

وجدها تتكوم بشكل جانبي على سريرها القديم وهي توليه ظهرها ، ابتسم بحرارة وهو يراها لاترتدي الا قميص نوم خفيف ، قصير وبحمالات رفيعة على الكتف ، لقد اصبح شعورها المتزايد بالحر ممتعا له ...

اقترب على مهل ثم خلع خفيه قبل ان يُخرج قطعة الملابس الزرقاء من الكيس ، لقد اشترى هذه القطعة الصغيرة خصيصا لتتشفع له عندها ..

تسلل ليندس بجانبها ثم وضع بحذر البلوزة الصغيرة على بطنها المنتفخ مفترشا اياه عليها ثم ارخى كفه فوقهما معا .

غمر انفه بين طيات شعرها ليصل رقبتها يتشممها وهو يهمس برقة وخفوت " حبيبتي الغاضبة ، كم احبك ..."

غفا وشفتاه ملتصقتان ببشرتها ...

شعر في نومه بشفتين تلامسان وجهه وشفتيه ، اطلق نفسا مرتاحا ملتاعا من عاطفة تملئ جوانح صدره وتوقظه من سباته ...

فتح عينيه ليرَ وجهها امامه عبر ظلمة الغرفة المغادرة ، عيناها الجميلتان بدتا دامعتين في ضوء الفجر الخجول ...

همس بحنان " اسف لاني صرخت فيك في السيارة ، كنت غاضبا جدا لما فعلته مع ذلك المجنون السكير ، كان بامكانه اذيتك انت و .... ابننا ... ابراهيم .. " كان قد وضع يده على بطنها عندما قال كلمته الاخيرة .

وضعت يدها على يده المستريحة على بطنها فاستشعر قطعة القماش التي تتمسك بها لتقول بتأثر مخنوق " متى اشتريتها ؟"

رد بابتسامة حلوة مشاكسة " بعد ان افترقنا متخاصمين اخذت الف في انحاء المدينة بمفردي ثم رأيت المحل صدفة ، فركنت السيارة ونزلت ، كانوا على وشك الاغلاق لكني توسلت اليهم ليسمحوا لي بشراء شيء وما ان رأيت البلوزة الزرقاء حتى قلت انها ستلائم ابراهيم ... اشتريتها ثم اخذني وقت طويل وانا اتأمله كأحمق حتى قررت العودة اليك ..."

مال براسه يقبل كتفها العاري وهو يتأوه جذلا بينما هي تقول بعتب ناعم " عندما تغضب لااتعرف عليك !! لاافهم كيف تملك كل هذا الحنان والقسوة في روح واحدة "

رد بضحكة خافتة وهو ما يزال يقبل بشرتها " هذا أنا .. وانت تعشقيني لاني هكذا ، ألم تقولي هذا مرارا ام كنت تشفقين عليّ بطريقتك المميزة ؟! "

ضربته في كتفه وهو يضحك نفس الضحكة ويتمادى في قبلاته هامسا بحرارة " احب قميص النوم هذا .. انه لايرهقني لاصل الى ما اريد .."

ضربته مرة اخرى وهي تقول بحنق " هذا لن يجعلني اسامحك على صراخك المجنون علي وانا لم اخطأ بشيء .. انه ذلك العجوز الحقير الذي يريد استغلال ابنته "

رفع رأسها لينظر اليها مباشرة قائلا ببعض الجدية " شهد انت حامل في الشهر السادس ، هل تعلمين اذا فقد ذلك الحيوان شعوره وهذا مرجح نظرا لادمانه الخمر هل تعلمين انه قد يوجه اليك ضربات هستيرية ! كيف تجرؤين على صفعه لتثيري جنونه ولولا وجود نجوى والفتيات ليمنعنه عنك لكان آذاك وفي نهاية الامر احضر رجال الشرطة واتهمك باحتجاز ابنته والتعدي عليه بالضرب !"

انفعلت شهد لتقول " انه كلب حقير وكان يستحق كل ما قلته له والصفعة ايضا كانت قليلة بحقه "

تنهد اسامة ليقول بنعومة " شهد يبدو ان هرومانات الحمل بدات تؤثر عليك كثيرا لان انفعالاتك زادت عن الحد الطبيعي لذلك لمَ لاتستريحين قليلا من العمل في المشغل ؟!"

فجأة اخذت الدموع تسيل من عينيها بغزارة حتى اخذت تشهق بالبكاء فشعر بالعجز وهو يطبع قبلات متتالية على كل وجهها ويهدأها بكلمات حنونة " لاتبكي .. اتوسل اليك .. انا غبي .. غبي ولااجيد الكلام.. انت تعرفيني اليس كذلك يا قلبي .. لااتحمل دموعك هذه ... لكني اخاف عليك ..فقط لاتبكي يا شمسي ... "

هدأت قليلا وهي تلتجأ لاحضانه تغمر جسدها فيه مستسلمة لقبلاته وذراعيه ...

همساته الحنونة ..حشرجاته الحارة .. لمساته العاشقة .. كان لها مفعولها لتتراخى وتهدأ تماما ..

همست بهيام وشهقة بكاء تخونها " انا .. احبك ... احبك جدا اسامة .. اسفة لاني اثير قلقك .. لكني لااحتمل ان ارَ فتاة بهذا الضعف .."

رد متنهدا " فقط لو تسمحي لي بالتدخل ، استطيع المساعدة لتجديد المشغل واقامة نظام حماية ، استطيع وضع حراسة ايضا "

هزّت شهد رأسها رفضا وهي تهمس " لماذا لاتفهم ؟ هذا المشروع لنا وحدنا ، انا ونجوى ، نريد بناءه دون اسناد من احد ، يكفي انك اشتريت نصيب مؤيد وسجلته باسمي "

رد متبرما " لكنكما تأخذان مساعدات من الشيخ يحيى واياك ان تنكري! "

ردت بضحكة خافتة " انت تغار اليس كذلك ؟! "

سحبها بقوة ليضمها اليه بعنف وهو يقول من بين اسنانه " لماذا ؟! فقط قولي لي سببا مقنعا ! لماذا الشيخ وانا لا ؟"

ردت وهي ترفع يدها لتلامس وجهه برقة " الشيخ يساهم بمساعدات بسيطة لان جزء من المشغل انساني لمساعدة الفتيات ، لكن العمل الحقيقي لتطوير المشغل نريده بجهدنا الخاص ، انها متعة البناء يا اسامة وانت يجب ان تكون اكثر من مدرك لهذا الشيء على وجه الخصوص لانك فعلت نفس الشيء وانت تبني نفسك ، لذلك يجب ان تكون فخورا بنا بدلا من ان تغضب كالاطفال ! "

عبس اولا ثم لاحظ ابتسامتها المشاكسة فزمجر غاضبا " ساريك معنى ان يغضب طفل كبير ... "

لم يعتقها وهو يغرقها بعشق الانصهار الروحي ثم بهجة الدفء الذي لايضاهيه دفء اخر وهما يتشبثان باحضان بعضهما البعض كتشبثهما بما جمعهما بعد طول معاناة ...

*** تمت ***